كلية الدراسات العليا

برنامج الدراسات الدولية

دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر

The Role of Aljazeera in Shaping Qatar International Relations

محمد أحمد محمد أبو الرب

إشراف: د. وليد الشرفا

2008

دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر

The Role of Aljazeera in Shaping Qatar International Relations

محمد أحمد محمد أبوالرب

لجنة الإشراف والمناقشة

د. وليد الشرفا (رئيسا)

د. مجدي المالكي (عضوا) **د. باسم الزبيدي (عضوا)**

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية،

من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين.

دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر

The Role of Aljazeera in Shaping Qatar International Relations

محمد أحمد محمد أبوالرب

حزيران 2008

لجنة الإشراف والمناقشة

د. وليد الشرفا (رئيسا) ----------

د. مجدي المالكي (عضوا) ----------

د. باسم الزبيدي (عضوا) ----------

الإهداء

إلى والدي ووالدتي عنوان وجودي.

إلى المضللين في شرك المرئي، أملا في يقظة قريبة.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني على إنجاز هذه الاطروحة، وعلى رأسهم مشرفي د. وليد الشرفا، والاستاذ جمال أبوالرب، والصديقة العزيزة أماني الكرنز.

كما أتقدم بالشكر إلى عميدة كلية الدراسات العليا د. ليزا تراكي، ود. عبد الرحيم الشيخ، وزملائي في وحدة المساندة الأكاديمية والدراسات العليا: هشام القدومي ومراد البسطامي ورائد شنيور ولينا الجندي، على مساعدتهم الهامة في القضايا الفنية والجوهرية.

ولزاما عليا أن أقدم شكري الموصول، وتقديري الكبير لأعضاء لجنة النقاش

د. باسم الزبيدي، و د. مجدي المالكي، على تفضلهم بمناقشة هذه الأطروحة.

قائمة المحتويات

ملخص باللغة العربية	**د**
ملخص باللغة الإنجليزية Abstract	**ر**
مقدمة الدراسة ومنهجيتها	**س**
الفصل الأول: التلفزيون بين تراكم الصور وخلق واقع تقني	**1**
المبحث الأول: المرئيوصيرورة الدال والمدلول	**2**
المبحث الثاني: سلطة خطاب المرئي	**8**
المبحث الثالث: المرئي وتمثيل الواقع	**13**
المطلب الأول: آليات تشكيل الواقع المرئي	15
المطلب الثاني: المرئي والتعليق على مرئياته	23
المبحث الرابع: دور مرئي العالمي في تشكيل العلاقات الدولية	**25**
المطلب الأول: "ديمقراطية المرئي..." فن تصنيع الإجماع	28
المطلب الثاني: المرئي والتقنية ... خطاب إيديولوجي	31
الفصل الثاني: خطاب الجزيرة ودبلوماسية قطر	36
تمهيد: الفضاء الإعلامي العربي والسلطات الرمزية	37
المبحث الأول:" الجزيرة" و قطر: جدلية الرأي والرأي الآخر	40
المطلب الأول: قطر والتاريخ الجديد	40
المطلب الثاني: التخطيط القطري لـــ" الجزيرة"	44
المطلب الثالث:" الجزيرة" الناطقة" بالعربية و" الانجليزية"	50

المبحث الثاني:" الجزيرة" والتفوق القطري على السعودية	**52**
المبحث الثالث:" الجزيرة" وإعادة صياغة العلاقات القطرية البحرينية	**58**
المبحث الرابع:" الجزيرة" والحرب على أفغانستان	**61**
المبحث الخامس: العلاقات القطرية الأمريكية في عيون" الجزيرة"	**66**
المبحث السادس:" الجزيرة" و "القرضاوي": سلطة خطاب الميديولوجيا	**69**
الفصل الثالث: الجزيرة وتغطية الملف الفلسطيني الداخلي	**73**
المبحث الأول: تغطية الجزيرة لمؤتمر أنابوليس وتبعاته	**75**
المبحث الثاني: تغطية الجزيرة لحصار قطاع غزة	**87**
المطلب الأول: تغطية أزمة انقطاع الكهرباء في قطاع غزة	88
المطلب الثاني: تغطية أزمة معبر رفح	92
الفصل الرابع: الجزيرة (قطر) والاستفادة من الأزمات	**103**
المبحث الأول: وساطة قطر في أزمتي الصراع الفلسطيني الفلسطيني، والفلسطيني الإسرائيلي	**105**
المبحث الثاني: تغطية الجزيرة للملف اللبناني في ظل التقارب القطري السعودي	**115**
الفصل الخامس: نتائج الدراسة- الجزيرة وبناء النموذج القطري-	**127**
المبحث الأول: تقسيم الأدوار، خلق عالم	128
المبحث الثاني: الجزيرة: حارس البوابة القطرية	**140**
قائمة المصادر والمراجع	**145**

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى فهم وتفسير جدلية السياسة القطرية في سياقين: دبلوماسية قطر المباشرة عبر سياسييها، وتحديدا رئيس وزرائها ووزير خارجيتها الأمير حمد بن جاسم، ودبلوماسية قناة الجزيرة.

والسؤال الذي طرحته الدراسة بشكل مركزي: ما هو دور الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لقطر؟ و مثّل التساؤل السابق فاتحته لجملة من التساؤلات البنيوية الاستيضاحية، أهمها: كيف يفهم الخطاب المؤسسي لقطر ضمن دبلوماسيتين متعارضتين ظاهريا؟ أي بين خطاب الأمير الذي قال من واشنطن أنه يعشق اللعب بالنار مع جيرانه، في علاقاته وتحالفه المتين مع الولايات المتحدة وتطبيع علاقات بلاده مع بإسرائيل، وبين خطاب الجزيرة الذي يظهر ناقما على الأمريكيين والإسرائيليين، ومن تصنفهم على أنهم حلفاء واشنطن، إلى جوار احتضانها قيادات من القاعدة والإخوان المسلمين.

إن الإجابة على التساؤلات السابقة منهجيا، يتطلب استخدام حالات دراسية وشواهد، سواء من تغطية الجزيرة، أو من دبلوماسية قطر المباشرة. وقد استخدمت الدراسة منهج تحليل الخطاب إلى جانب التساؤل البنيوي، نزولا عند افتراض الدراسة.

تقع الدراسة في خمسة فصول هي:

الفصل الأول، الذي اختص في الحديث عن الأبعاد النظرية لفعل المرئي وتأثيراته، وتقنياته في العرض؛ أي كيف تنتج المعرفة في المرئي؟ وتسلسل الفصل في الحديث عن الدلالات وعمليات إنتاج المعاني، مرورا بعمليات الهيمنة والسلطة التي يمارسها خطاب المرئي على الجمهور، في ظل الحديث عن تقنيات تشكيل الواقع وقولبته، للوصول إلى علاقة التلفزيون بالرأي العام، من خلال استفادته من التقنيات في تقديم رسائله الإيديولوجية المشكلة والمتخفية.

وجاء الفصل الثاني ليبحث في العلاقة بين الجزيرة" الدولة" والجزيرة القناة، من خلال العودة إلى بدايات السياسة القطرية الجديدة، المؤرخة بانقلاب الأمير حمد بن خليفة على والده عام 1995، ومشروعه التحديثي

الذي اعتبرت الجزيرة جزءا منه، ثم علاقات كل من" الجزيرتين" ظاهريا وباطنيا بدول الجوار والولايات المتحدة والجماعات الإسلامية.

واختص الفصل الثالث، بتحليل حالة دراسية من تغطية الجزيرة للملف الفلسطيني، وقد أشارت عملية تحليل الخطاب للشواهد الدراسية الممتدة على مدى ثلاثة أشهر، إلى فعالية الافتراض البنيوي في تحليل ظاهرة الجزيرة وارتباطاتها سواء في تمثيلها للسياسة القطرية باطنيا وبشكل رئيسي، أم في إبراز جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس على سواها من الحركات الإسلامية والوطنية ظاهريا.

استكمل الفصل الرابع ما سبقه في الحديث عن ارتباط خطاب الجزيرة بالخطاب السياسي لقطر، من خلال ربط تغطيتها بوساطات الدوحة في الملف الفلسطيني، سواء في التوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أو في التوسط بين حركتي فتح وحماس بعد الأزمة الناجمة عن مشاركة الأخيرة في العملية السياسية. كما تناول تغطية الجزيرة للملف اللبناني في ظل التقارب القطري السعودي، والقطري السوري، بالتركيز على تناقضات خطاب الدولة حينا وخطاب القناة حينا آخر، ومن ثم جمع هذه التناقضات بعد كل نموذج دراسي معطى، وتحليله ضمن حقل تحليل المضمون في جميع مراحله.

وقدم الفصل الخامس والأخير، استخلاصات الدراسة بعد تقديم جملة من الشواهد من تغطية الجزيرة للملف القطري، سواء في دبلوماسيتها الخارجية، أم في سياستها الداخلية، مع تحليل لاستراتيجيات خطاب القناة في العرض من خلال عمليات الحجب حينا، والإبراز والتعظيم حينا آخر، بما يخدم السياسة القطرية والتغطية على مشاريعها السياسية والاقتصادية مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

Abstract:

The aim of the study is to understand and explain the dialectic of Qatar policy in two sides: Direct diplomacy by Qatar Prime Minister the prince Hamad Bin Jasem, and the indirect diplomacy by al-Jazeera Channel.

The core question of the study is about the role of Aljazeera in shaping Qatar international relations? This question opens many sub-questions about how we can understand the institutional discourse of Qatar as a structural discourse within two apparently opposed diplomacies.

In other words, how we understand the prince's declaration that he likes to play with fire with his neighbors through his strong relations with the United States and normalization with Israel, on one hand, and the al-Jazeera discourse as anti American, Israeli, and those categorized by Aljazeera as Washington allies, in addition to its promotion for Muslim brothers and al-Qa'eda leaders, on other hand?

To methodologically approach the previous questions, examples of Aljazeera coverage and the direct diplomacy of Qatar were discussed depending on the discourse analysis methodology and the structural methodology.

The study contains five chapters, as the following:

The first chapter is devoted to talk about the theoretical dimensions for the effect and the impact of television on the audience, and its displaying techniques; in other words; how has knowledge been produced in television? The chapter continues discussing the symptoms and methods of meanings production, passing by the authority and domination practiced by the television discourse on audience, on shadow of shaping and molding of the acts, to understand how television constitutes the public opinion making use of the discourse techniques in conveying its ideological messages.

The second chapter investigates the relations between Qatar and al-Jazeera, through revising the Qatari policy after the White coup of prince Hamad Bin Khalifa on his father in 1995. Add to that, the chapter searches in the effects of the Qatari new policy on al-Jazeera, through the later covering for the events in the neighboring countries, in particular, and the region in general.

The third chapter analysis the al-Jazeera 3-month coverage for the Palestinian issue as a case study. The results show a structural relation between the Qatari mediations in the Palestinian conflict and al-Jazeera coverage on one hand, and the seeking of al-Jazeera to emerge Muslim Brothers and Hamas over other Islamic or national groups on the other hand.

The forth chapter finishes what preceded, and transformed to tackle the al-Jazeera coverage for the Lebanese cause after the Qatari- Saudi reconciliation. The chapter focuses on the contradiction between the Qatari mediation, in the crisis of the presidential elections in Lebanon, and al-Jazeera coverage for that crisis. And then, it garners these contradictions after deep studying for every offered paradigm relying on methodological of discourse analysis.

At the fifth chapter, conclusions come after offering various examples for al-Jazeera coverage for the Qatari affairs. These conclusions show that the al-Jazeera serves the Qatari policy by employing discourse techniques, which veiling the Qatari policy in some cases and emerging and magnifying it in other cases.

دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر

مقدمة

مثلت قناة الجزيرة في السنوات العشر الماضية ظاهرة اعلامية وسياسية مغايرة للفضاء العربي، من حيث طبيعة الخطاب المقدم، وحجم التأثير الناجم عنه، ومدى الجرأة في طرح القضايا وتناول الأخبار.

ويمكن القول أن قناة الجزيرة استطاعت خطف الأضواء من قنوات فضائية أخرى ذاع سيطها في السابق مثل: MBC. ART. ORBIT. LBC إضافة إلى القناة المصرية الاولى، وتلفزيون المستقبل وقناة أبوظبي.

والباحث في أسباب تسارع صعود القناة يلحظ نوعين من التحولات: أولاهما، داخلي يختص بطابع التجديد في طرح القضايا، خصوصا البرامج السياسية النارية، كبرنامج الاتجاه المعاكس على غرار برنامج: "CROSS FIRE"، إضافة إلى استضافة الزعماء والمعارضين العرب على حد سواء، ويمكن الذهاب أبعد من ذلك للحديث عن إشكالية استضافة الجزيرة لمتحدثين إسرائيلين في سابقة إعلامية عربية.

أما التحول الثاني فيتناول انعكاسات بنية القناة نفسهاعلى علاقتها بالأزمات، والمحطات الرئيسية في تسارع صعودها بدأ من تغطية عملية ثعلب الصحراء، واحتكار تغطية الحرب على افغانستان، وصولا إلى احتلال العراق.

إن افتراض التداخل بين ماهو سياسي وبين ما هو إعلامي، ليس بالامر الطارئ على الدراسات الإعلامية، وقناة الجزيرة ليست بمعزل عن هذا التصور، فالظروف التي انجبت القناة وهيكليتها، إضافة إلى مصادر تمويلها، وارتباطاتها الجيوسياسية لابد وأن تأخذ حيزا في خطاب القناة، وفي تحليل هذا الخطاب، كون الظاهر من الخطاب أقل بكثير من ما هو خافٍ، بمعنى أن الخطاب لا يتوقف عند بعض مطبات السياسة الإقليمية بقدر مايتجاوزها إلى دور عالمي.

تفترض الدراسة تعدد المدخلات التي تصب في الخطاب الإعلامي للقناة، وتساهم في تفعيله، ويكمن التساؤل في الخلفيات المشكلة لهذه الظاهرة!

لقد أثارت الجزيرة ومازلت عددا من الأزمات السياسية بين البلدان العربية، كالخلافات بين قطر ومصر، وقطر والاردن، وشمل ذلك علاقات الدول بالفواعل غير الدولاتيين، كالنزاع بين الإخوان المسلمين وبعض الانظمة العربية وإبرازه على الواجهة، ما جعل هذه الجماعات تشيد بالجزيرة كما قال ياسر الزعاترة، وهو الناطق باسم المعارضة الإسلامية: "إن الجزيرة تمثل صوت الشارع العربي".

أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة من إشكالية قناة الجزيرة نفسها، وضرورة البحث فيها بصفتها منبرا إعلاميا يتقاطع فيه الإعلامي والسياسي مع الأيديولوجي.

أما الدافع الأبرز لإجراء هذه الدراسة، فهو تعاظم النقد الموجه للقناة عربيا ودوليا، سواء في الإطار العام للعلاقات الدولية، أم في تغطية القضايا الداخلية، من هنا كانت المبادرة لمحاولة استكشاف مدى علمية النقد المقدم ايجابا أو سلبا .

و لأن الدراسات المنشورة باللغة العربية حول القناة قليلة، والدراسات الاجنبية تتسم بنوع من العمومية، كان لا بد من إجراء بحث علمي متخصص في " مقاربة" الجزيرة، مستمدة من فلسفة الاتصال الحديثة، والاتصال التلفزيوني على وجه الخصوص.

ستعتمد الدراسة على المصادر العربية والأجنبية التي تناولت الجزيرة من قريب أو بعيد، بغية توفير مرجع جامع باللغة العربية للمهتمين بقراءة فلسفة وتقنيات الاتصال المعاصرة، وانطباقها على قناة الجزيرة تحديدا.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تبيان المدخلات المشاركة في صناعة الفضاء العربي الجديد، والادوات التي يستخدمها مخرج الفضاء الجديد في سبيل التأثير، انطلاقا من مقولات تشكيل الرأي العام، يأتي هذا البحث في إطار اختبار بعض الشعارات التي تتبناها القناة، كشعار " الرأي والرأي الاخر"؛ بناء على نتائج تحليل الحالات الدراسية، وبعد تقديم شواهد عينية من مواد إعلامية بثتها القناة.

وفي المحصلة النهائية تبيان خطورة التلفزيون على الثقافة والوعي، وتجاوزه للعمليات العقلية، باتجاه صناعة صور جاهزة محملة بالاحكام والتصورات. وعلى وجه الخصوص تلفزيون الجزيرة بصفته أنموذجا مميزا في تشكيل الرأي العام.

الإطار النظري

ليس بالأمر اليسير دراسة ظاهرة إعلامية سياسية على حد سواء، فالمكونات الأولية لأي خطاب إعلامي لايمكن فهمها بصورة مستقلة عن الفضاءات الاجتماعية والسياسية والأيدولوجية والاقتصادية المحيطة بذلك الخطاب.

من منطلق تحليل الخطاب الإعلامي لقناة الجزيرة كخطاب تشترك فيه مجمل العناصر السابقة، لا بد من تفكيك الرسائل الإعلامية المقدمة، وتحليل مضمونها ورصد الأبعاد الناتجة عنها، من هنا تتأتى أهمية الافتراض البنيوي في الدراسة، بتماسك مكونات هذا الخطاب.

وبشكل متخصص، ركزت الدراسة على منهج تحليل الخطاب([1])، إلى جانب المنهج البنيوي، وستراوح الدراسة بين الاثنين؛ لإثبات جدلية عمومية الخاص وخصوصية العام في الجزيرة، على اعتبار أن الجزيرة تراوح ضمن تقنياتها في العرض بين الخاص والعام بما يخدم البنية الجمعية لقطر.

---

[1]- يعرف ميشيل فوكو الخطاب على أنه:" مصطلح لساني، يتميز عن نص وكلام وكتابه وغيرها، أو باشتماله لكل إنتاج ذهني، سواء أكان نثرا أو شعرا، منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جمعيا، ذاتيا أو مؤسسيا، في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد. وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما". أنظر. فوكو، ميشيل. **نظام الخطاب**، مصدر سابق.ص 8.
فيما يعتبر" بروان" و" بول" أن مصطلح تحليل الخطاب ذو دلالات مختلفة، فهو يدخل ضمن علم الاجتماع للحديث عن التفاعل الاجتماعي، وعمليات الحوار سواء المباشرة أو عبر وسيط، كما أنه يدخل ضمن علم النفس للبحث في الطريقة التي يتم خلالها فهم الخطابات
أنظر: براون، ج.ب. ، و ج. يول.(1997) . **تحليل الخطاب.** ترجمة: د. محمد الزليطني و د. منير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود.
فيما يرى بيير بورديو أن تحليل الخطاب الإعلامي، يشمل تحليل مختلف تقنيات المرئي في العرض من صوت وصورة وإعادة ترتيب لها، بما يشمل منظومات الحجب والعرض واختيار الضيوف ومحاور النقاش، والوقت المخصص لكل ضيف، إلى جانب تقنية مقاطعة الضيف في الوقت المناسب، وخطورة السياق في عملية تقديم الأخبار، للمزيد، ينظر. بورديو، بيير(2004). **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. ترجمة: درويش الحلوجي، ط1. دمشق: دار كنعان

والعناصر المشكلة للخطاب– مخرجات البنية– من صوت وصورة وإيماءات شكل ومضمون وتراكماتها والتمييز بينها، هي الأدوات التي يستخدمها منهج تحليل الخطاب، كنسق من انساق المنهج البنيوي الذي نشأ أساسا في حقل اللغويات كما أختبرها " سوسير" في الكتاب البنيوي المؤسس " علم اللغة العام"، وما تلاه بعد ذلك في تحليل البنية الخطابية كـ "ميشيل فوكو" وحديثة عن الخطاب، خصوصا مؤلفاته:" نظام الخطاب" و " حفريات المعرفة" و " الكلمات والأشياء"، مرورا بإضافات عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، وتركيزه على علاقة الاجتماعي بالإعلامي والرمزي، في كتابيه:" التلفزيون و آليات التلاعب بالعقول" و" في التلفزة"، وصولا إلى ريجيس دوبريه ومؤلفة " علم الإعلام العام"، لتقدم جميعها أدلة ومحفزات على أهمية استخدام المنهج البنيوي، وتحليل الخطاب على وجه الخصوص في دراسة الظاهرة قيد البحث.

كما أن استخدام منهج تحليل الخطاب لا يعني تجاهل المناهج الأخرى، لكن حضورها في مثل الظاهرة المدروسة، يشير إلى أنها أقل قدرة على تحليل الخطاب الإعلامي والسياسي والأيديولوجي في تداخلها. ولو حاولنا اختبار النظرية الليبرالية مثلا، لوجودنا عناصر في الظاهرة تصلح لتحليلها ليبراليا كالجانب الاقتصادي، وقليلا الاجتماعي والثقافي، بينما لا تكون الليبرالية فاعلة في اكتشاف عناصر أخرى منها الجانب الأيديولوجي، فالظاهرة محل الدراسة بحاجة إلى تحليل بنيوي يشمل جميع مكونات الخطاب، خصوصا حينما يتم تغليب الجانب السياسي والأيدولوجي على الاقتصادي والاجتماعي، ومما يؤكد ذلك أن قناة الجزيرة قناة غير ربحية وممولة من دولة قطر بشكل مباشر، وهو ما سيتم تفصيلة لاحقا في صفحات الدراسة.
ويكون نجاح النظرية الواقعية محدودا في تحليل ظاهرة الجزيرة، على اعتبار أن أدبياتها لم تعط اهتماما كافيا للتحليل الإعلامي وخطورته، وإن ردت كل سلوك دولي إلى نظام الهيمنة والسيطرة، ورغم ذلك، تقدم الواقعية الجديدة تحليلا أكثر فعالية من استخلاصات الليبرالية، فالعامل السياسي بواقعيته فاعل جدا في الظاهرة المدروسة، لكنه ليس كافيا، وهذا تعزيز جديد لمكانه منهج تحليل الخطاب في الدراسة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن منهج تحليل الخطاب يتداخل بالأساس في إحدى تفرعاته الجانبية مع نظرية الجدولة، التي أشار إليها " آرثر بيرجر"، ومفادها " أن الخطاب الإعلامي يسعى إلى فرض جدولة ذهنية

مقررة تجري عبرها برمجة أذهان المشاهدين عبر حيلة الاختيار والاستبعاد، حيث يتم التركيز علـــى أشـــياء وإغفال أشياء أخرى، ومن ثم برمجة خيارات المشاهدين الإجتماعية والسياسية، والإعلام هنا لا يقول للنـــاس ما يفكرون، ولكنه يقرر لهم الأشياء التي يجب أن يفكروا فيها، وبهذا تـــتم البرمجـــة، برمجـــة الأشـــخاص والمجتمعات"([2]).

وسيكون إلى جانب تحليل الخطاب و" الجدولة" استعانة أخرى بنظرية " الاستنبات" وهي قريبة من سابقتها مع قليل من الاختلاف، فهي تركز على العلاقة بين الحقيقة التي تقدمها وسائل الإعلام والتلفزيون خاصة، وبـــين ما يتفهمه الجمهور على أنه حقيقه، ويرى أصحاب هذه النظرية أن التلفزيون يقدم حقائق مشوهة للجمهورعن الواقع، بما يخدم مصالح القناة والجهة التي تقف ورائها. والتنوع النظري هنا يعزز مجـــددا التوجـــه نحـــو استخدام منهج تحليل الخطاب.

مراجعة الأدبيات

تنوعت الدراسات والمؤلفات التي تناولت قناة الجزيرة كظاهرة إعلامية، مع اتفاق بعض البـــاحثين وخبـــراء الإعلام أنها ظاهرة سياسية وربما أيديولوجية إلى جانب كونها إعلامية، لكن مع اختلافـــات فـــي المعالجـــة والطرح، فقد ركز البعض على نموذج الخطاب الخارجي للقناة على اعتبار أنها مثلت فضاء عربيـــا جديـــدا، أنهى احتكار وسائل الإعلام الغربية للتغطية الإخبارية، وبل وتصدرت في منافستها قنوات مؤثرة دوليا مثـــل: .CNN .BBC . FOX، كون هذه القنوات اعتمدت على الجزيرة في تغطيـــة الحـــرب علـــى أفغانســـتان، خصوصا استخدام الأشرطة التسجيلية لأسامة بن لادن، فقد خص الأخير القناة بتسجيلاته ورسائله نحو العالم، بل وأكثر من ذلك السماح لمراسل الجزيرة" تيسير علوني" في أفغانستان باحتكار التغطية الإعلامية للحـــرب، بعد طرد جميع الصحفيين الأجانب باستثناء الجزيرة. مما أثار أكثر من تساؤل حول علاقة الجزيـــرة بتنظـــيم

[2]- الغذامي، عبد الله. (2004) . **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي**. ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي.

القاعدة، ويقدم البعض شواهد على التعاون والتقاء المصلحة بين بعض القنوات الأصولية وقناة الجزيرة، وهذا الافتراض هو جزء من المسارات البحثية لهذه الدراسة، وإن كان بشكل غير مباشر.

أما بخصوص علاقة الجزيرة بموطنها الأم – الجيو سياسي– فإن بعض المؤلفات والمقالات والأبحاث العلمية خلصت إلى أن قناة الجزيرة هي أداة من أدوات السياسة الخارجية لدولة قطر، وأبسط الشواهد على ذلك، أن القناة وضعت لقطر مكانا على خريطة السياسة الإقليمية والدولية، عبر حلولها مكان قوى رئيسية في المنطقة بفضل ذكاء خطاب الجزيرة، ويذهب البعض بعيدا إلى اعتبار الجزيرة هي الدولة، بينما قطر هي العاصمة.

ولتخصيص الموضوع أكثر، ينبغي النظر إلى مجموعة من الدراسات التي تناولت قناة الجزيرة بالبحث والرصد على باعتبارها ظاهرة سياسية وإعلامية في آن واحد.

والدراسة الأولى هي بعنوان:" Voice Of The New Arab Public: IRAQ, AL-JAZEER, And Middle East Policy([3]).

يتناول MARC LYNCH في كتابه كما هو واضح من عنوانه، الحديث عن الفضاء العربي الجديد الذي خلقته الجزيرة، وهو الجزيرة بحد ذاتها، وتخصص بدراسة تأثيرها على الحرب على العراق، وتغطيتها للحرب الأخيرة وسقوط بغداد، إضافة إلى مقارنتها بالتغطية الإعلامية في حرب الخليج الأولى، وكذلك عملية ثعلب الصحراء من جوانب عدة: كمصدر المعلومات، ونوعية الصور وآليات بثها، وكذلك تأثيرها في تشكيل الرأي العام.

تقع الدراسة في ستة فصول: العراق والرأي العام العربي الجديد، الانتقال البنيوي للفضاء العربي، تحدي العراق والرأي العام العراقي القديم، ظاهرة الجزيرة، سقوط بغداد، وعراق جديد ورأي عام عربي جديد.

لخص" لينج" الفضاء العربي قبل الجزيرة بأنه نموذج للقمع والرأي العام النخبوي السلطوي، فوسائل تشكيل الرأي العام ومن ضمنها وسائل الإعلام خاضعة ومراقبة من قبل السلطات الشمولية وأجهزة الدولة في العالم العربي، لكن النموذج اختلف بعد ظهور الجزيرة عام 1996، ويصنفها على أنها مثلت النموذج العربي الأول

[3]- Lynch, Marc.(2006).**voice of the new Arab public: IRAQ, ALJAZEERA and Middle East policy Today** .New York: Columbia university press.

للانفلات من قبضة السلطة التقليدية، ومما زاد من تسارع صعود القناة هو الاستخدام التكنولـــوجي لوســـائل الاتصال والبث المباشر، مما هدد قبضة الرقابة العربية بعد عجزها عن الســيطرة علـــى وســـائل الاتصـــال الفضائية، وتقديم الأحداث مصورة، خصوصا تلك القريبة من صوت الشارع العربي.

ورغم حديثة عن فضاء عربي جديد، إلا أن " لينج " يتحفظ على تسميته بالفضاء الجديد، ويستبدل " الجديـــد" " بالطارئ"، كون الفضاء الجديد –الرأي العام الحقيقي– هو شكل من أشكال الليبرالية المكثفة الناتجة والمنتجـــة عبر التمدن والتعلم والتخصص، وليس توفر بعضها بشكل جزئي وغير مدروس، فإتاحة حريـــة التعبيـــر لا يعني خلق فضاء ورأي عام جدي وجديد.

وحول مكانة الجزيرة في الفضاء العربي الطارئ، يعتبر" لينج" أن الجزيرة تلعب دور المحرك الرئيس لهـــذا الفضاء، عبر تجاوزها الخطوط الحمراء، وإثارتها لقضايا سياسية لم تطرح من قبل على الفضـــاء العربـــي، والأهم إتاحتها المجال للجمهور للمشاركة في القضايا المطروحة والتي كانت مفتقدة فـــي وســـائل إعلاميـــة أخرى.

ويعتبر أن التسارع في مكانة الجزيرة عربيا ودوليا، عائد إلى محطات رئيسية أثرت في مسار القناة، أولاها: تغطيتها لعملية ثعلب الصحراء 1998، حيث مثلت في حينها القطيعة الأولـــى لاحتكـــار الغـــرب لمصـــادر المعلومات، وثانيها: تغطيتها تداعيات أحداث انتفاضة الأقصى، واحتكارها التغطية الإعلامية للحـــرب علـــى أفغانستان وبعدها الحرب على العراق وسقوط بغداد ثالثها.

تقلل الأسئلة الجدية المطروحة في الكتاب من أهمية الحديث عن الفضاء العربي الطارئ، ويبقى الأهم التعرف على نوع الفضاء الطارئ، وما الانطباع الذي يحمله؟ وما هي انواع النقاشات التي تسيطر عليه؟

وللتأكيد على خطورة الفضاء العربي الطارئ، عدم تزامن أو تتابع المخرجات الاتصالية للقنوات الجديدة مـــع الحراك الثقافي والاجتماعي، والاكتفاء بالأصداء السياسية، وبالتالي الاستخلاص المركزي هـــو أن الفضـــاء العربي الطارئ هو عقدة أزمة أكثر منه تطور طبيعي، لذلك يتساءل" لينج": " هل نقاشات الجزيـــرة للقضـــايا السياسية العربية هي الفضاء العربي الجديد([4])؟

---

[4]- Lynch, Marc. Ibid. p 47

كما أن الفضاء العربي مر بظواهر مشابهة للجزيرة نوعا ما في فترات سابقة، كالإذاعة المصرية في فترة الخمسينيات والستينيات، وفي الكتاب صناعة مقارنة بين الظاهرتين؛ فالإذاعة المصرية كانت أداة إستراتيجية في التبعية" من تحت" ضد الأنظمة المنافسة لمصر، عبر قليل من العقلانية وكثير من التوائم مع الشارع العربي، بينما الجزيرة تمتلك خطابا ناريا يتسلل إلى الرأي العام مع التظاهر بإشراكه – أي الرأي العام– في الخطاب وحمل آماله وهمومه.

وكملخص عام للكتاب، فإن ما يميز الفضاء العربي الطارئ، هو تغليب المصلحة السياسية التي تتجاوز الحدود السيادية للكيانات العربية، بل ويطغى على القضايا المدنية والسياسات العامة رغم عدم تجاهلها، ووفقا لـــ " خالد الحروب" فإن الفضاء العربي الطارئ أعطى المجال للنقاش لا للحلول، والنقاشات تبقى في الهواء، وكما قال " يوسف نور" فعوضا عن ثقافة الفعل حلت ثقافة القول.([5])

وفي نقد الكتاب، يمكن القول أنه عالج الفضاء العربي الجديد من حيث هشاشته، مقارنة بالعلاقة بين المرسل والمستقبل، لكنه لم يبحث في الأصداء الداخلية للخطاب، ولم يستطع كشف ماهو خاف كالابعاد السياسية للقناة، ودورها في خدمة الفضاء الجيوسياسي الأم.

والمراجعة الثانية اللصيقة العلاقة مع مشكلة البحث، هي كتاب "ALjazeera Phenomenon"([6]) "ظاهرة الجزيرة"، والذي حرره وشارك فيه " محمد الزياني"، أستاذ الإعلام بالجامعة الأمريكية بالشارقة. ويقع الكتاب في أحد عشر مقالا موزعة على ثلاثة عناوين: الجزيرة: السياسات الإقليمية والفضاء العام، برمجة الجزيرة، و الجزيرة والأزمات الإقليمية.

والافتراض الرئيس في الكتاب هو أن قناة الجزيرة تخدم نفسها على المدى القصير، حيث وصل عدد مشاهديها 35 مليون مشاهد، فيما تخدم دولة قطر وسياستها الخارجية تحديدا في المنطقة العربية، على المدى البعيد.

---

[5]- Lynch, Marc. Ibid .p. 70

[6]- Zayani ,Mohammad and others.(2005) **ALjazeera Phenomenon: critical perspective**. London: Pluto.

أما المتحدثون عبر الجزيرة، فهم يتحدثون عن قضايا عربية وبمعالجة عربية، من اجل خطاب عربي إقليمي – خطاب الجزيرة، كأن المقصود أن خطاب القناة ورغم تأثيره على محيطه، يطمح بالعالمية.

والخطاب العربي الإقليمي هو خطاب الجزيرة " الرأي والرأي الآخر"، رغم أن القناة تستغلة تجاه أطراف إقليمية ضد أخرى، فالقناة تسير الأحداث والشعور العام حولها لتشكيل رأي عام مغاير للخطاب السائد، يمتاز بأنه غير واضح القصدية الفعلية في شكله الأولي؛ فالجزيرة، القناة العربية الأولى التي تستضيف متحدثين إسرائيليين على الهواء، وصل الأمر بها دعوة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق " أرائيل شارون" للحديث مباشرة وقت القمة العربية في بيروت في آذار 2003 ، لكن المقابلة ألغيت بفضل احتجاجات قام بها الصحفيون العرب في مقر القمة العربية قبل بدء المقابلة بساعات قليلة، رغم جاهزية طاقم الجزيرة للبدأ بالبث المباشر، حيث كان يتواجد الطاقم في مكتب شارون([7]).

وإذا كان الجزء الأول من الكتاب يتحدث عن الرأي العام وتشكيل السياسات العامة عبر التداخل بين الإعلام والسياسة ، فقد تحدث الجزء الثاني عن برامج القناة وبرمجتها، وسعي القناة لخلق فضاء عربي جديد، والفضاء الجديد هو فضاء إعلامي وسياسي على حد سواء، والناظر إلى برنامج" الاتجاه المعاكس"، الذي يوصف بالبرنامج الناري، المتجاوز للكثير من جدران الرقابة للدول العربية ، يرى بأنه يتيح المجال للجمهور في النقاشات السياسية، وبالتالي المساهمة في تشكيل رأي عام مغاير للخصوصيات المتشابهة داخل الأنظمة العربية لصالح فضاء عربي أكبر تشرف قناة الجزيرة على تحديد سقفه وحدوده.

وافتراضات الجزيرة نفسها تشير إلى أن الفضاء العربي الجديد حمل وتبنى صوت الرأي العام، بغية " توجيهه الوجهة الصحيحة"، وما يؤكد ذلك ما قاله مدير القناة السابق محمد جاسم العلي من أن الجزيرة تعاملت مع " جمهور ذكي، وقمنا بمعالجته بعيدا عن الفكرة التقليدية والتي مفادها أن الجمهور يأخذ ما يقدم له"،([8]) ولو عالج الكلام السابق كما تعالج القناة جمهورها لا تضح أن الجزيرة تعاملت بذكاء مع الجمهور، وسعت من خلال ذكائها إلى تقديم منبر قريب من الفضاء العام وصوت الشارع– بالشكل الظاهري للخطاب.

7- Da Lage, Oliver.(2005). **The politics of Aljazeera or the Diplomacy of Doha**. From book: The Aljazeera Phenomenon. Ibid. p. 58.

8- Zayani, Mohammad and others**. Aljazeera Phenomenon**. From The introduction. Ibid. p. 9 .

أما الجزء الثالث، الجزيرة والأزمات الإقليمية، يمكن تلخيصه بأن القناة متجهة نحو تدخل سافر في صياغة وإعادة تشكيل العلاقات بين الأنظمة السياسية داخل المنطقة ومع محيطها الخارجي، عبر تغطيات غير موضوعية وموجهة على امتداد أزمات المنطقة، وتنوع الأنظمة السياسية من المغرب وصولا إلى الكويت.

والمحطات الرئيسية التي جرى الحديث عنها في إطار علاقة الجزيرة بالأزمات، هي: الحرب على أفغانستان، الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وأخيرا التعامل مع الدبلوماسية الأمريكية وعلاقاتها بمناطق الأزمات.

ففي الملف الأفغاني، احتكرت قناة الجزيرة عبر التنسيق مع القاعدة تغطية أحداث الحرب على أفغانستان، وكذلك احتكرت إذاعة أشرطة بن لادن الشهيرة، زيادة على أشرطة أيمن الظواهري، بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، وبيعها للقنوات العالمية.

وفي الجانب الآخر، تعاونت القناة مع الإدارة الأمريكية من خلال التعهد بتقديم أشرطة القاعدة التي تصل الجزيرة إلى الإدارة الأمريكية قبل 24 ساعة من بث الأشرطة.

ويخلص الكتاب إلى أن الجزيرة مثلت عامل استقرار لقطر في المنطقة، وفي الوقت ذاته، رسمت صورة إيجابية عن العمل الإعلامي الديمقراطي، كنموذج للديمقراطية الجمعية التي يتبناها النظام القطري. فالجزيرة –نموذج– شاشة تخفي خلفها إستراتيجية التحالف بين إمارة قطر والإدارة الأمريكية، ومن هنا تكمن ضرورة الشك في إدعاءات الجزيرة كونها تحمل بذور التحول العربي، وتشكيل فضاء جديد من الحرية مقتصر بالأساس على حرية الأقوال في الهواء، مقابل إثارة صدام مع الأفعال على الواقع.

ويتمثل الجانب المشترك بين الكتاب والدراسة قيد البحث، في تنوع الأطروحات وشموليتها، إلا أن الجديد في الدراسة سعيها ربط الجانب النظري بالآخر العملي عبر حالات دراسية محددة زمانيا سيتم تحليها، عبر منهج تحليل الخطاب، لتصبح الدراسة أكثر علمية، كما أن الجانب الأخر الذي تضيفه الدراسة المدخل النظري الذي يبحث في فلسفة التلفزيون ودورة في تشكيل الواقع.

والمراجعة الثالثة لما كتب حول الجزيرة، هي بعنـــوان **" Aljazeera: How The Free Arab News Network Scooped the World and Changed the Middle East.**([9])

يعتبر مؤلفا الكتاب: محمد النواوي وعادل اسكندر، أن الجزيرة أجبرت وسائل الإعلام العربية الأخرى لنقـد أكثر فعالية للأنظمة القائمة، بعد أن تجاوزت بعض الخطوط الحمراء، فقد وصل مجمل الشـكاوي الموجهـة ضد القناة 450 شكوى رسمية. إلا أن الحديث عن علاقة الجزيرة بالحكومات العربية يقود للحديث عن نوعين من العلاقة:

علاقة المحبة وعلاقة الكراهية، فالرئيس الليبي" معمر القذافي" انتقد الجزيرة في أكثر من مناسبة، ولكنه بعـد ذلك يفعل أي شي للظهور على القناة.

يحاول الكتاب إثبات أن الجزيرة أجبرت المسؤولين الأمريكيين على تغيير صورتهم فـي المنطقـة العربيـة، فالولايات المتحدة كما يحاول باحثون أمريكيون التأكيد على أنها قادرة على امتلاك قلوب وعقول العـرب، إلا أن الجزيرة تحاول فعل عكس ذلك؛ للحفاظ على منافستها، وهي– أي القناة– بحاجة إلى متحدثين يتفاعلون مع الناس، وليس كمن يتحدث إلى الكونغرس أو لصحيفة " الواشنطن بوست".

والكلام السابق يفسر كثرة ظهور أصوات شعوبية تعبوية على القناة كـ مدير تحرير صحيفة القدس العربي "عبد الباري عطوان".

وتحدث الكتاب بشكل متخصص في العلاقة بين قطر والسعودية قبل حرب الخليج الأولى وبعد إطـلاق قنـاة الجزيرة، وهذا الموضوع بالتحديد سيأخذ حيزا جيدا في المعالجة البحثية لهذه الأطروحة، لـذا سـيتم تأجيـل الخوض في تفاصيل القضية، بل وأكثر من ذلك عبر البحث في ما قاله " فيصل القاسم":" أن هنالـك وسـخا كثيرا اختفى تحت السجادة في العالم العربي، ونحن الآن نكشف عنه"، والبحث سيكون في سياق مكان الوسخ، وفيما إذا كان الكشف عنه سيتم بشكل عام، أم أن بعض الدول ستستثنى من عملية الكشف.

ومن الأفكار الأخرى الواردة، البحث في علاقة القناة بأجهزة الدولة، وأهمية ترافق ظهور القناة مع الانقـلاب الذي نفذه الشيخ حمد بن خليفة على والده، والأجندة الجديدة لدولة قطر وسياسة الإصـلاحات التـي اتبعتهـا

9- el-Nawawy, Mohammed and Adel Iskander. (2006). **Al-Jazeera: How the Free Arab News Network Scooped the World and Changed the Middle East.** Cambridge**:** Westview**.**

السلطة الجدية في قطر، ومن ضمنها قناة الجزيرة، لكن الكتاب لا يستخلص بأن قناة الجزيرة هي في النهاية أداة من أدوات السياسة الخارجية.

لم يبحث الكتاب معمقا في تفاصيل علاقات المصلحة بين القناة والنظام السياسي القطري من جهة، وبين حلفاء النظام السياسي وحتى خصومهم وتأثير ذلك على القناة بشكل كبير، رغم أن الكتاب استخلص جزء جيدا من طبيعة العلاقة بين القناة والنظام السياسي المنشأ لها.

إضافة إلى ذلك، لم يخصص الكتاب عينية دراسية محددة يختبر خلالها بعض الأفتراضات حول القناة، والتي قدم لها بعض الأمثلة ولكنها غير كافية، حسب المنهجية العلمية.

والمراجعة الرابعة حول القناة، هي للباحث العراقي" مفيد الزيدي" بعنوان: قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي"([10]).

استهل الزيدي دراسته بالحديث عن الجرأة التي تمتعت بها قناة الجزيرة في تغطيتها للأحداث على عكس المعتاد في الإعلام العربي، ويبدأ دراسته بالتطورات السياسية التي شهدتها قطر في عهد الامير الجديد المنقلب على والده عام 1995، دون التركيز على الجهات الداعمة للانقلاب والتي استمرت في صداقتها مع قطر كالولايات المتحدة.

يقع الكتاب في ثمانية فصول، هي بشكل مختصر على النحو التالي:

أولا : الحكم الجديد: قطر والاصلاح السياسي والاقتصادي والإعلامي. ثانيا: قناة الجزيرة: الولادة والنشوء. ثالثا: مصادر تمويل الجزيرة. رابعا: برامج الجزيرة: إشكالية الرأي. خامسا: ليبرالية الجزيرة وتفجير الخلافات. سادسا: مواقف غير عربية من الجزيرة. سابعا: الجزيرة في عيون الرأي العام العربي. ثامنا وأخيرا: لماذا الجزيرة في الصدارة.

[10]- الزيدي، مفيد. (2003). **قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي**. ط 1. بيروت: دار الطليعة.

اكتفى الزيدي بالسرد التاريخي لنشأة القناة، وعالج علاقاتها ودورها في الأزمات العربية من زاوية شكلية سردية، بعيدا عن الربط البنيوي بين المتغيرات، وحاول أن يكون منصفا في عرض الآراء بين مؤيد للقناة ومعارض لوجودها، لكنه في النهاية ينحاز لأهمية وجودها ودورها كصوت عربي، مناقضا الرأي الداعي للتخلص منها، ويستسلم الباحث قليلا للانتقادات الموجهة للقناة كعدم انتقادها للنظام السياسي في قطر على غرار الحكومات العربية الأخرى.

ويفتح الزيدي الباب واسعا على الانتقادات الأمريكية والإسرائيلية للقناة، كما أوردتها بعض التقارير و الصحف، مستخدما إياها في محاولة التأكيد على أهمية الظاهرة الإعلامية نفسها، وإنهائها لاحتكار وسائل الإعلام الغربية لتغطية الأحداث العربية، لكنه يتجاهل بعض الأمثلة القليلة التي قدمها بنفسه، مقارنة بالدراسات الأخرى والتي تعزز فرضية لعب الجزيرة دورا بنيويا مزدوجا بين جميع الأطراف، وليس صحيحا إتاحتها لحرية الرأي والرأي الآخر، ففي تصريح لـ مدير القناة محمد جاسم العلي، قال:" إن الجزيرة تمنح وجهة النظر الأمريكية المساحة نفسها التي منحتها لوجهة النظر الأفغانية"([11]).

ومن القضايا المهمة التي تجاوزها المؤلف في التحليل، تصريح لوزير خارجية قطر في ندوة بمعهد " بروكينز" واشنطن، قال فيه:" إن الولايات المتحدة هي دولة تعلمنا منها الحرية... تدركون جميعا أنه توجد علاقات خاصة للغاية بين الولايات المتحدة وقطر، وسوف نضع تلك العلاقة في الاعتبار دائما"([12]).

ورغم أن الدراسة غنية ببعض الشواهد والمعلومات التي يمكن استخدامها في تحليل الظاهرة الإعلامية والسياسية، إلا أن الباحث– الزيدي– حاول أن يترك الحكم للقارئ مع ترجيح كفة الرأي المؤيد للقناة وسياستها، فهو يعتبر في نهاية الكتاب أن القناة لم تتبنى رأيا منحازا، واكتسبت مصداقية إلى حد كبير في طرح وجهات النظر.

---

[11]- الزيدي، مفيد . **قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي.** مصدر سابق. ص 102

[12]- المصدر السابق. ص102

وفي المراجعة الخامسة والأخيرة، تحدث طارق الشمري، في مؤلفه:" الجزيرة قناة.. أم حزب.. أم دولة"([13])، عن البعد السياسي لقناة الجزيرة ودورها الإعلامي والشعبي والسياسي في العالم العربي والإسلامي والغربي- على حد وصف الكاتب.

وتحدث الشمري في ثمانية فصول عن الجزيرة: بدايتها، والتوجهات السياسية لمقدمي برامجها، تبعية القناة، وتغطيتها لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، خصائص السياسة القطرية، وحملة الجزيرة ضد البحرين والسعودية، إلى جوار حملة الجزيرة ضد مصر والأردن، ومن ثم أسباب نجاح الجزيرة.

يعتبر الشمري أن نجاح الجزيرة مرتبط بالإرادة السياسية والإعلامية لقطر، ورغبتها بإعلام حر مستقل عن السيطرة البيروقراطية التقليدية المرتبط أساسا بما أسماه الانقلاب التصحيحي الذي قام به الأمير حمد في بحثه عن سياسة فاعلة تخرجه من هامشية بلاده وانحياز دول الخليج إلى البحرين في نزاعهما الحدودي.

وسعى الشمري في دراسته إلى عرض مختلف الآراء حول الجزيرة، قبل أن يقدم رأيه في الموضوع، إلا أن إشكالية الدراسة مثيرة للشك منهجيا، فهو لم يتبن منهجيه محددة سوى القول أن البحث ينتمي إلى البحوث النوعية الوصفية، والتي قال أنها تستخدم طريقة بحث الحالة، وتعتمد على المنهج التفسيري، كما تستخدم أيضا البحث الكمي، ثم ينتقل للحديث عن تحليل المضمون، كل ذلك في دراسة واحدة.

يتضح من الكتاب عموميته، فهو غالبا ما يكتفي بسرد الأحدث السياسية وتغطية الجزيرة لها، دون أن يقولب ذلك في منهج محدد، كما قال أنه استخدم منهج تحليل المضمون، ففي الفصل الثاني مثلا استخدم المنهج الكمي في تحليل توجهات مقدمي برامج الجزيرة مع بعض من التفسير، لكن غالبية الدراسة غير ممنهجة، وتكتف بالسرد والربط بين السياسة القطرية والجزيرة.

ويشير الشمري إلى انه اشتق نظرية إعلامية جديدة تخص حالة الجزيرة، أسماها" النظرية السلطوية الليبرالية"، أو " الليبرالية الشمولية"، لكن يتضح من دراسة الكتاب ومراجعته أن المساهمة النظرية للكاتب لم

---

[13]- الشمري، طارق. (2007). **الجزيرة قناة.. أم حزب.. أم دولة.** القاهرة: دار الكتاب الحديث

تكن دقيقة ومتينة بالشكل الكافي، عبر تسطيحها للظاهرة المدروسة والمنهجية العلمية، لذلك كـــان الاقتـــراح باستخدام منهج تحليل الخطاب إلى جوار المنهج البنيوي في دراسة الظاهرة، كونهما يوفران الأدوات التحليلية والتفسيرية المناسبة.

ورغم أنه لم يتح للباحث الحصول على نسخة من دراسة الشمري إلا فـــي وقـــت متـــأخر، إلا أن الإربـــاك المنهجي الذي وقعت فيه دراسة الشمري، تم تجاوزها عبر التأكيد على استخدام منهج تحليل الخطاب في كـــل فصل من الفصول العملية للدراسة، إلى جوار الافتراض البنيوي في الفصول النظرية والعملية معا، ولم يـــتم الاعتماد على دراسة الشمري إلا قليلا، رغم تأكيدها جملة من الشواهد التي تـــربط بـــين السياســـة القطريـــة والجزيرة.

مشكلة البحث

تطرح الدراسة جملة من التساؤلات، هي على النحو التالي:

ماهو اتجاه المؤشر " التأثير" الذي تلعبه قناة الجزيرة في العلاقات الدولية؟ وهل يمكن فهم خطـــاب الجزيـــرة بعيدا عن منظومة السيطرة والسيادة ونسق العلاقات الدولية، كنموذج تطبيقي؟

وبمعنى أخر هل يستطيع التلفزيون– قناة الجزيرة– اختراق بنية الدولة وخلق فعالية تتجاوزها؟

وكيف يمكن فهم الجزيرة كظاهرة إعلامية وسياسية إلى جانب سعيها إلى بناء فضاء عربي جديد، أم أنها فعلا مربكة تهشم الفضاء العربي القائم؟

وهل صحيح أن الخطاب يتجاوز ما تقوله إلى كيف ولماذا تقوله، وصولا إلى الخلفيات غيـــر الظـــاهرة لأي نشاط اتصالي؟

الفرضيات

تحمل الدراسة إجابات مفترضة على التساؤلات السابقة حول خطاب الجزيرة وارتباطاتها واتجاه تأثيرها، وفيما يلي أهمها:

تفترض الدراسة أن بوصلة التأثير الدولي الذي صنعته الجزيرة يتجه نحو بنية الدولة القطرية، أكثر من الميل نحو تأثير فاعل غير دولاتي- القناة نفسها- وبالتالي لا يمكن فهم الجزيرة إلا من خلال علاقات المصلحة وتجميعها وتصديرها عبر خطاب مشكل، يحمل من الإشارات الخفية أكثر مما يُظّهِر.

أما بخصوص الفضاء العربي الجديد، فإن الجزيرة نجحت إلى حد ما في صياغة فضاء طارئ، تكون هي من يقوده ويوجهه عبر سلطة رسائلها الإعلامية، بعد أن حازت على درجة عالية من مصداقية الجمهور؛ نظرا لغياب البديل، لكنها على المدى البعيد كانت المسبب الرئيسي في خلخلة وتهشيم الفضاء العربي الجمعي.

وفي المجمل، فإن قناة الجزيرة لا تستطيع تجاوز بنية النظام الإعلامي والسياسي الدولي على اعتبار أنها ظاهرة إعلامية وسياسية مزدوجة، حتى لو وجدت لخطابها صدى واسع، فالمهم تقنيات الخطاب وتحليل مكوناته وأهدافه، في عملية نقد ودراسة مشروعة.

المنهجية

يحتاج البحث في ظاهرة الجزيرة جهدا شاقا، فإلى جانب النظر إلى مجمل ما كتب في تقنيات الخطاب ومكوناته من لغة وصوت وصورة، هنالك أهمية للنظر في الأدبيات السابقة التي تناولت بالدراسة ظاهرة الجزيرة من جوانب مختلفة، ومن جانب على حساب أخر، ومن ثم أهمية محاولة تقديم تحليل علمي لخطاب القناة إنطلاقا من اختبار شعار " الرأي والرأي الأخر".

ونزولا عند افتراض الدراسة ومنهجيتها في تحليل الخطاب، كان لا بد من العودة إلى حالات ونماذج دراسية من قناة الجزيرة، يتم تحليلها وفق منهج تحليل الخطاب وتقنياته سابقة الذكر، وقد حددت الحالات الدراسية في

تحليل تغطية القناة للملفين الفلسطيني واللبناني الداخلي خلال فترة 3 أشهر ابتداءً من 1-12-2007/ 29-2-2008، بما يشمل كافة الأشكال الخطابية في القناة، من برامج وتقارير ولقاءات ونشرات إخبارية، وغيرها من الاشكال الصحفية.

وإلى جانب الحالات الدراسية، كمصدر من مصادر جمع المعلومات، سيتم العودة إلى بعض الشواهد والأمثلة المستخدمة من قبل دراسات أخرى، والتي مثل بعضها محطات مهمة في تحليل بنية خطاب القناة، كأمثلة على تغطيات خاصة بالدول العربية، وفي الوقت ذاته، تجاهل الجزيرة تغطية أحداث مشابهة في دولة قطر، وبالتالي فإن اختبار هذه الأمثلة مهم في سياق تعزيز فرضية الدراسة أم في نفيها وتعارضها، اعتمادا على مبدأ " ماذا يعرض" كخطوة أولى، ومن ثم" كيف يعرض: كخطوة ثانية.

تصنف الدراسة ضمن الدراسات الكيفية، خصوصا استخدامها المنهج الوصفي التحليلي، كونه منهج مزدوج يقع على سلم المناهج البحثية، فتحليل تقنيات الخطاب بحاجة إلى العودة لشواهد من تغطية الجزيرة في قضايا معينة وتحليل أبعادها سياسيا، بعد مقارنتها بشواهد تاريخية استخدمت في دراسات سابقة. بمعنى أن تحليل الظاهرة بناءً على شواهد مقارنه يفيد في تأكيد أو نفي بنيوية الجزيرة، وتحولاتها الخطابية ومقاصدها في التغطية الإخبارية.

وواجه الباحث جملة من المعيقات من ضمنها نقص المصادر المتخصصة بدراسة الجزيرة، والنقص الشديد في الدراسات التي تناولت التحليل العلمي، ذلك أن غالبية المصادر تقع في سياق المقال أو التقرير، سيما بعض المصادر العلمية الجيدة التي تم عرضها في مراجعة الأدبيات، واستخدامها إلى جانب مساهمات أخرى في الفصل الثاني والذي يتناول مجمل ما كتب عن قناة الجزيرة، وقد ساهمت هذه المصادر في تقديم مدخل ربما يكون تعزيزي أو مناقض لنتائج الدراسة، بعد تحليل نتائجها طبعا، ومهما كانت النتيجة، فمراجعة الأدبيات إجراء منهجي لا يمكن جاهله.

الفصل الأول: التلفزيون بين تراكم الصور وخلق واقع تقني

المبحث الأول: المرئيوصيرورة الدال والمدلول

المبحث الثاني: سلطة خطاب المرئي

المبحث الثالث: المرئي وتمثيل الواقع

المطلب الأول: آليات تشكيل الواقع المرئي

المطلب الثاني: المرئي والتعليق على مرئياته

المبحث الرابع: دور مرئي العالمي في تشكيل العلاقات الدولية

المطلب الأول: "ديمقراطية المرئي..." فن تصنيع الإجماع

المطلب الثاني: المرئي والتقنية ... خطاب إيديولوجي

الفصل الأول: التلفزيون بين تراكم الصور وخلق واقع تقني

دراسة الظاهرة التلفزيونية كواقع تقني، لا تنفصل عن سياقاته الثقافية والأيديولوجية، ولكي يتم فهم العلاقة بين التقني ورسالته المعرفية، لا بد من دراسة مكونات خطاب التقني ذاته، وكيفية تشكيل الأنساق التواصلية مع المتلقي لهذا الخطاب.

الواقع التقني يعني واقعا مشكلا " مصنوع"، والسياقات الثقافية والأيديولوجية " الذهنية" التي ينقلها المرئي هي أنساق تواصلية غير ظاهرة تحاول تقديم صور مشكلة عن واقع ما عبر صيرورة الحركة بين الأداة والقصد.

يحاول هذا الفصل رصد وتحليل المكونات البنيوية لخطاب المرئي، سواء في سياق مخرجات الخطاب وتصويراته أم في سياق مدخلاته، لذلك تم تقسيمه إلى أربعة مباحث رئيسية.

المبحث الأول: صيرورة الدال والمدلول في المرئي

يقدم الوسائطي التقني دلالات متعددة غير متوافرة بالضرورة في الواقع المادي ، فالصورة والصوت والمؤثرات والإيماءات، قد لا تكون حاضرة في حادث ما، وفي آن واحد، لكن المرئي يستخدم دلالات ثابتة حينا ومتغيرة حينا أخر؛ حسب المدلولات التي يرغب في تقديمها، انطلاقا من نواتج التفاعل بين المكونات البنيوية لخطاب الوسائط والواقع.

بمعنى أن للدال– كنسق– قدرة على إنتاج دلالات متعددة باختلاف السياقات. وحسب " سوسير" فإن استحضار دلالتين أو أكثر ينتج رمزا، وفقا للمعادلة التالية:

signifier + signifier = sign .

والدالة هي الجسم الطبيعي " الشكل" كالصوت والصورة والكتابة رسما.. الخ، فيما المدلول هو الصور الذهنية الناتجة من العلاقة بين الدوال والمدلولات؛ الصور الذهنية والأفكار([1]) .

[1] - FISKE, JOHN AND JOHN HARTLEY.(1982**). READIN TELEVISION.** NEW YORK: P. 37

قد تبدو أن المعضلة الأساسية في خطاب المرئي تكمن في تشكيله للدلالات الأولى عن واقع ما، لكن عدم التجانس بين المدلولات المشكلة مرده إلى تقنية الوسائطي ذاته، وتوظيفه للدلالات عبر إستراتيجية الإشباع والإزاحة للخطاب، وليس للواقع المشكل .

فالخطاب الأول في مخرجاته هو خطاب التقنية ذاتها، فيما يمثل مضمون الوسائطي الرسالة الثانية، وحسب ماكلوهن فإن الوسيط هو الرسالة (2) :The Medium Is The Message

ويكون الوسيط هو الرسالة عبر استخدامه للدلالات، التي تشكل مخرجاتها مدلولاتها الرمزية. " فالرمز هو نتاج صناعة علاقة بين الدلالات ومدلولاتها على شكل صورة قابلة للانتقال بيسر إلى ذهن المتلقي.. وتصبح هذه الرموز فاعلة حينما تقوم بصناعة علاقة بين الموجود الفعلي والتصور العقلي"([3]).

لا يتوقف دور المرئي عند هذا الحد، فالصور المرئية تنتج صيرورة الرموز والصور الذهنية عبر التشكيل المستمر للمدلولات، ربما باستخدام ذات الدلالات المشكلة لرمزية الصورة الأولى. " فبين الوجود الفيزيائي والتصور العقلي وتشكل الرموز تنتج ثقافتنا" ([4])، لذلك يصر ماكلوهن على أن فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية مستحيل بدون إدراك عمل وسائل الإعلام([5]).

أن طبيعة التفاعل بين الدلالة والمدلول، وما يتوسطهما من إنتاج للرموز، يقود للحديث عن الحاضنة الأشمل وهي العلامات، وتتضمن الأخيرة إلى جانب الرموز الأيقونات والمؤشرات، فيما يسمى السيميائيات the semiologe .

تعود أهمية الحديث عن العلامات في الدراسة، إلى كونها أدوات بيد الوسائطي يحملها بالمعرفة التقنية. ولكي يتستنى تفكيك خطاب التقنية، ينبغي أولا تفكيك أدوات الوسائطي باعتباره يمثل الرسالة الأولى.

---

[2] - MCLUHAN, MARSHALL.(2001) .**THE MEDIUM IS THE MESSAGE**. Ed3.GORLE MADERA: GINGKO PRESS. P 8+9

[3] - FISKE, JOHN AND JOHN HARTLEY **Reading TV**. Ibid .p38.

[4] - Ibid. p 38.

[5] - MCLUHAN, MARSHALL. **The medium is the message**. Ibid. p9.

واختلاف أنواع العلامات يشير إلى تنوع في الأدوار والوظائف والعلاقات، " فالأيقونة هي مبنية على علاقة تشابه، فيما المؤشر ذو علاقة سببية، وأخيرا الرمز مستمد من العرف ويعكس علاقة اعتباطية"([6]).

وفي التصنيف الأولي للعلامات إعلاميا، فإن الصورة المادية هي أيقونة تعكس درجة من الثبات، فيما الرمز صورة ذهنية أو مادية متغيرة بتغير العلاقة بين الدال والمدلول. وكون المؤشر ذو علاقة سببية، فإن فعاليته تكمن في التوسط بين الأيقونة والرمز؛ فحينما يعكس الرمز نوعا من الثبات في علاقته مع الأيقونة، يؤدي المؤشر دوره في تشكيل صور جديدة عبر استحداث نسق جديد مشكل ربما من نفس الدلالات المستخدمة سابقا، ولكن بترتيب واستحضار جديدين.

وثبات الأيقونة في غياب المؤشر المادي – ثبات حضوره– يتطلب تدخلا من الرمز لإنتاج دلالات جديدة أو ترتيب جديد لها؛ لاستفزاز المؤشر لتشكيل معادلات صورية متمثلة في المدلولات، التي يكون دورها إما تعزيز المدلولات– الصور– المشكلة مسبقا، أو تهشيمها والتمجلس مكانها سريعا، عبر الطاقة الهائلة المتولدة من سلطة الصورة على ذهن المتلقي.

هنالك أطروحات مغايرة للاستخلاص السابق للدراسة، إحداها تفيد: بـ " أن الصورة هي أيقونة، والمؤشر يمثل ظهور المبين، والإخلاص في الحضور يعود إلى درجة أن التبيان هو إعادة إنتاج المؤشر .. إن أسبقية العلامات الايقونية في التلفزيون، يمكنها إغرائنا بتجاهل الطبيعة الاعتباطية للرسالة الجديدة – الرموز الجديدة([7]).

يتحفظ الباحث على الشق الثاني من الكلام السابق لأسباب تتعلق بديناميكية عمل كل واحدة من العلامات، فالأيقونة تحمل درجة من الثبات، فيما الرمز قادر على صناعة التأثير المستمر، وهو من يشكل الصور و الأيقونات، وبالتالي لا يتوانى الرمز عن تحطيم الصورة القديمة وبناء صورة جديدة، فالرمز سلطة، والسلطة عنف رمزي– حسب بورديو([8]).

---

[6] - كريب، إيان.(1999). **النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**. ترجمة: د. محمد سعيد غلوم، مراجعة د. محمد عصفور الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 181+ 182.

[7] - FISKE, JOHN AND JOHN HARTLEY. **Reading TV** .ibid. p38-40

[8] - بيير بورديو: عالم اجتماع فرنسي 1930-2002 يعتبر من ابرز المراجع العالمية في علم الاجتماع، اهتم بالحديث عن أنماط السيطرة الاجتماعية، له أكثر من30 مؤلفا أهمها: العنف الرمزي، بؤس العالم، و في التلفزة.

عنف الرمز يكون من خلال استفزازه للذهنية باتجاه عقلنة الصور الجاهزة، كونها صور جديـــدة– مـــدلولات جديدة، لكن قدمت بقالب رمزي يعزز الصورة الذهنية السابقة، والعكس صحيح، حيث بإمكان المرئي تقـــديم تصورات جديدة، انطلاقا من معالجة مغايرة للموضوع المقدم، اعتمادا على أيديولوجية الوسيلة، " فالإشـــارة والقرينة والرمز والدليل "موظفات" يؤدين وظيفتين مختلفتين، قد تتعارضان هما نفسهما تعارضا شاملا"([9]).

وبشكل عام، فإن دراسة العلامات تتضمن شقين: شق الشكل، وشق الماهية. تحاول جميع العلامات من حيث الشكل تقديم صورة شمولية ومبسطة ومتماسكة، فيما الماهية تحمل في داخلها مكونات شكل وماهية محتوى؛ شكل المحتوى يختص بالشق غير المادي في رسالة الوسائطي، والمتمثل في التنظيم الصوري بين المدلولات بواسطة غياب أو حضور علاقة دلالية، فيما تعكس ماهية المحتوى المظاهر العاطفية والأيدلوجية الناتجة عن فعل التأثير في المتلقي([10]).

يمارس التلفزيون غواية في صيرورة العلاقة بين الدال والمدلول– الأداة والمعنى، لإنتاج صور ذهنية مقدمـــة عبر أشكال مختلفة من العلامات، فالأشياء البائنة في المرئي في غياب الأشياء غير البائنـــة "تغييبهـــا"، يعيـــد إنتاج الواقع المشكل في الصور الذهنية، اعتمادا على إستراتيجية الغياب والحضور في العلاقة بين العلامات.

تؤكد نظرية " بودريار"([11]) الواقع الفائق " نقد الطابع الصنمي للصور"، خطورة الصور المشكلة اعتماد علـــى العلاقات الإنتاجية بين الدال والمدلول، وسيطرة الصورة التقنية على الواقع التواصلي، فلم يعد هنالك اتصـــال بيننا وبين العالم، وحتى مع أنفسنا، كون أنواع الاتصال تحدث عن طريق الصور. وطغيان الوسيط أو الـــدال على المدلول هو الصنمية بعينها([12]).

---

[9] - بارت، رولان. (1987). **مبادئ في علم الأدلة**. ترجمة: محمد البكري. اللاذقية: دار الحوار. ص 65.

[10] - المصدر سابق. ص 67.

[11] - جان بودريار: مفكر فرنسي 1929- 2007، اختص بالحديث عن التداخل الحقيقي والتشبيهي في الصور الإعلامية في التلفزة والانترنت والسينما، وأهم مؤلفاته: التشبيهات والمحاكاة، وأنس فوكو، وروح الإرهاب.

[12] - منصور، أشرف.(2003). **صنمية الصورة: نظرية بودريار في الواقع الفائق**. مجلة فصول:ع.62 . ملف العدد: ثقافة الصورة. ص 228.

وبعيدا عن الخوض في مقولات بودريار([13])، فإن إشباع النقاش في العلاقة بين الدال والمدلول– كصيرورة ثنائية تنتج الصور الذهنية والأيقونات– يقود إلى توجيه البوصلة نحو تنوع الصور المقدمة من قبل المرئي وخطورة تلك الصور على ذهنية المتلقي آنيا، وعلى المدى البعيد.

يعتمد المرئي على تراكم الصور في نقل رسائله ومضامينه، وتفريغ شحنة المضمون والكشف عنها يتم عبر أدوات غير مرئية؛ لأن مكونات خطاب التقني بالأساس غير مرئية، ولا يمثل المرئي إلا الشكل الخارجي للخطاب، لذلك أمكن القول بوجود اختلاف بين ما نشاهده من جانب، وما يقدم لنا من عقلنة عن ذواتنا من جانب آخر، ولا تكفي مقولة " بيير بوردو": " إن العالم الاجتماعي مهدد اليوم بالضياع بسبب التلفزيون"([14])، بل جميع العوالم الأخرى الثقافية والسياسية والأيدلوجية باتت مهددة هي الأخرى.

مصدر التهديد والتخوف هو خطاب المرئي ذاته، وما يحمله من صور رمزية قادرة على السيطرة على المنظومة الذهنية ككل، والإستراتيجية الرئيسية في التأثير، النسق المنظم لعرض الصور وتكرارها. فالتلفزيون يقدم تراكما صوريا كثيفا للأحداث والتغطية، وهو بذلك لا يعطي حيزا للمشاهد للتفكير في مضمون الرسائل المرئية؛ كون التغطية تركز على ما يرغب خطاب المرئي في استحضاره، ولو حاول المتلقي التفكير في الواقع المشكل لوجد أن الذهنية تحاصره في العجز عن استحضار الصور، لأن الفعل الإدراكي للذهن تعطل لعجزه عن صد الكم الهائل من الصور المهاجمة عبر نسق المرئي، فمن صفات المعرفة الوسائطية آنيتها في التشكل والظهور، وسرعة الحصول على رد الفعل من المتلقي، بفضل الكم الهائل من تراكم الصور.

يتسبب تراكم الصور في إلغاء السياق الذهني للحدث عبر إستراتيجية السرعة اللحظية والتلوين التقني، وتفعيل النجومية بتحويل الحدث إلى نجومية ملونة، إضافة إلى إنتاج قابلية سريعة للنسيان وإلغاء للذاكرة([15]).

أي أن التلفزيون عبر تراكم الصور لا يتيح للذهنية مجالا للإفصاح عن ذاتها عبر المشاركة في عقلنة الحدث/ الموضوع، وبالتالي حرمان الذاتية من التفاعل الإرادي مع الذهنية.

---

[13]- سيتم مناقشة أطروحات بودريار في سياق الصفحات التالية، كون القاعدة النظرية التي تحتاجها تلك الأطروحات يجب أن تكون صلبة ومكتملة، ولكن بخصوص الواقع الفائق فإن المقصود هو الواقع الصوري الذي يتجاوز الحاجة إلى تقديم صور عن الواقع، بحيث أصبحت الصورة التقنية، أكثر واقعية من الواقع. بحيث أصبحت الصورة التقنية، أكثر واقعية من الواقع.

[14]- PIEER BOURDIO(1998) .**ON TELEVION**: LONDON: PLUTO PRESS. P. 249.

[15]- الغذامي، عبد الله.(2004). **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ص 12

وتراكم الصور عبر التلوينات المدلولية التقنية الناتجة عن دلالات تشكيلها من صوت، وإيحاء، وترميز، توحي للذهنية وقبلها الحواس بتوفر رسائل تقنية مبسطة جاهزة للعقلنة، وبل وتحمل عقلنتها في ذاتها، وهي مصنوعة خصيصا لذات المشاهد، ولكنها في حقيقة الأمر صناعة من ذاتها ولذاتها. " فالصورة تفتح أفقا ذهنيا تتوارد من خلاله التصورات والأيدولوجيا، لتعبر عن نفسها بصور مختلفة"([16]).

وإلى ذلك قول دوبريه:" إن الصورة الذهنية هي شكل من أشكال رؤية الصورة التلفزيونية التي تستبعد رؤية الرؤية"([17]).

فما يعرضه التلفزيون ليس خارجا عن الفضاء العام الذي يرغب الخطاب بتشكيله وتعزيز سلطته ومكانته، فلا وسائطي بدون رسالة، ولا رسالة بدون قصدية.

وعودة إلى فعل الصورة المرئية ذاتها وتراكمها، حيث أن تأثيرها لا يتوقف عند سرعة حضورها وإحلالها وزوالها، بل يعتمد أيضا على دورها في إلغاء التساؤلات، ذلك بعد أن استطاع المرئي تجنيد الحواس خلف حاسة البصر، وشد الذهن والجسد، وبعد تعطيل العضلات والحركة الجسمية.

والبدائل الحركية الذهنية مطروحة عندما تقابل حركة الصورة حركة الجسد، والمطلوب من المشاهدين التتابع ذهنيا مع خط انفلات الصور وتتابعها، والانشداد إلى هذه الصور يوجه الحركة الجسدية ويعطلها حسب مستوى الحركة في الصورة وطبيعتها، وفي تكرار إطالة متابعة المرئي قتل للذات الواعية داخلنا عبر تحويلها إلى طفولية متلقية([18]).

لا يفهم من الكلام السابق أن التواصل المرئي غير عقلاني وطفولي بمعنى الكلمة، بقدر ما هو مبدع وقادر على المخادعة والعقلنة، " فرسالة التلفزيون هي في الواقع رسالة الأمخاخ والمعرفة والذاكرة، وتتسبب هذه الرسالة في محو كل ما شاهدناه بالأمس في الأمخاخ والمعرفة والذاكرة"([19]).

---

[16] - الغذامي، عبد الله. **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي** . مصدر السابق، ص 152

[17] - ريجيس دوبريه: صحافي ومفكر فرنسي له العديد من المؤلفات القيمة في الإعلام خصوصا محاضرات في علم الإعلام العام- الميديولوجيا، وكذلك كتابي: حياة الصورة وموتها، ونقد العقل السياسي.
ريجيس دوبريه. (2002) . **حياة الصورة وموتها**، ترجمة: فريد الزاهي. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق. ص 264.

[18] - أنظر. ألول، جاك.(2004) .**خدعة التكنولوجيا**. ترجمة: د.فاطمة نصر. القاهرة: مكتبة الأسرة. ص 162-164.

[19] - المصدر السابق. ص 399.

المبحث الثاني: سلطة خطاب المرئي

" افترض أن إنتاج الخطاب في كل مجتمع هو في نفس الوقت إنتاج مراقب ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحد من سلطاته ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة الرهيبة". ([20])

إذا كانت وسائل الإعلام تحمل في رسائلها– كما يقول بورديو– أيدولوجيا ناعمة ، فإنه يمكن فهم وسائل الإعلام أولا على أنها مؤسسات قائمة على بنية معقدة من العلاقات، فيما اعتبرها فوكو تمثيلا لنسق خفي، ونظام غير معلن له أهدافه ومصالحه، فهي لا تظهر إلا في شكلها النهائي المتمثل في اسم المؤسسة ونشاطاتها، وما هو مبان منها.

إن الهدف الرئيس في دراسة سلطة خطاب المرئي، هو اختبار ما قاله "بودريار" :" إن حرب الخليج كانت حربا بصرية"([21])، فهل يستطيع الخطاب الإعلامي صناعة الديماغوجية إلى القدر الذي يكون فيه الواقع صورة بصرية مغايرة ؟ هكذا تحدث الصورة قطيعة معرفية مع الواقع والزمن؛ وتحدث القطيعة مع الواقع من خلال نقلنا من النور المعكوس من الخارج إلى النور الذي تبثه الشاشة([22]).

يجتهد الباحث هنا الحديث عن علاقة القطائع المعرفية بخطاب المرئي التقني، فحينما تبث قناة الجزيرة وتخصص أكثر من برنامج حول شخصية السادات أو جمال عبد الناصر، فهي تحمل خطابا يبحث أركولوجيا([23]) في أوراق وصفحات المذكورين، استنادا على خطاب قائم أساسا على نظام خفي تقوم عليه المؤسسة الإعلامية، كما أن انتظام وتكرار هذا الخطاب يمثل ترجمة خفية للبنية المؤسسية الهادفة إلى إعادة كتابة التاريخ من خلال قطائع أبستيمية مخففة. كيف ذلك؟

---

[20]- فوكو، ميشيل..(2007) . **نظام الخطاب**، ترجمة د. محمد سبيلا، ط1 .بيروت: دار الفارابي. ص 8 .

[21] - عبد الحميد، شاكر.(2005). **عصر الصورة**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص407

[22] - دوبريه، ريجيس. **حياة الصورة وموتها**. مصدر سابق. ص 224.

[23] - الأركيولوجيا هي التنقيب والحفر، وحسب فوكو، الأركيولوجيا هي: " الوصف المنظم للخطاب باعتبارها موضوعا مستقلا"، أما الخطاب فهو:" ممارسة معقدة ومتميزة تخضع لقواعد وتحويلات قابلة للتحليل".
انظر: فوكو، ميشيل.(1987) **حفريات المعرفة**. ترجمة: سالم يافوت .ط2بيروت: المركز الثقافي العربي.ص 183 و ص 274.

يقول عبد الرزاق الدواي([24]) مؤولا جانبا من مفهوم الخطاب لدى فوكو([25]):" إن انتظام الخطابات المعرفية ينتج عن كون تلك الخطابات خاضعة ومحددة ومراقبة بواسطة قواعده، وإن تلك القواعد ليست عفوية ولا مجانية، بل هي تنم عن مبدأ خفي للتنظيم، ولها مقدرة على تكوين موضوعات وذوات".([26])

ومعروف لدى قراء فوكو أن الأبستميولوجيا- نظرية المعرفة- تمثل قطيعة من قطائع التاريخ، على اعتبار أن الأخير مبني على قطائع أبستميولوجية، لكن الباحث يختبر ذلك في حديثه التالي عن وسائل الإعلام.

تتشكل القطائع الأبستيمية المخففة إعلاميا من نوعين:

النوع الأول، والمستند على الأركيولوجيا؛ أي أن المؤسسة الإعلامية كما في مثال الجزيرة تبحث في تاريخ الموضوع المطروح، وتنتقي مجموعة من الأحداث التي تخدم الخطاب المتبنى من قبل المؤسسة الإعلامية. وهنالك فرق بين الأركيولوجيا والتاريخ، على اعتبار أن الأولى عملية بحث انتقائية في الثانية لخدمة الخطاب وشرعنته، كما أن التركيز على أحداث وإهمال أخرى ليس بالأمر العفوي، خصوصا حينما يقترن ذلك بالتكرار.

وفي العملية الانتقائية مرتبة أولى من التزييف وخلق الواقع، ويكون ذلك قطيعة أبستميولوجية مخففة إذا صح التعبير، حينما يقدم هذا الخطاب نفسه على أنه الواقع، حتى لو كان الحديث مثلا عن شخصية عبد الناصر أو السادات يشمل شهادات معارضين ومؤيدين، فـ عملية تحديد عناوين النقاش وتوجيه المتحدثين مؤيدين ومعارضين صوبها، هو درجة ثانية وخطيرة من التزييف، لأن في ذلك إكساب شرعية وسلطة للخطاب الإعلامي، وكأن الحاصل جعل أطراف الموضوع يتحدثون عنه، بينما المؤسسة الإعلامية فتاة خجولة تقف وراء ستار المسرح، تتابع ببراءة كما المشاهدين ما يجري، ومن ثم ادعائها بالموضوعية والحيادية. ولكن هل يخطر ببال المستقبل للرسالة الإعلامية أن محاور النقاش محددة مسبقا مثلا، وبالتالي هنالك غايات غير معلنة لهذه المؤسسة أو تلك؟

---

[24] - الدواي، عبد الرزاق: أستاذ بكلية الآداب و العلوم الإنسانية في الرباط، يكتب القصة القصيرة وله جملة من الأبحاث الفلسفية.

[25] - ميشيل فوكو: مفكر فرنسي 1926-1986، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الثاني من القرن العشرين، اختص بالحديث عن أنظمة الخطاب والقمع وممارسة السلطة، وأهم مؤلفاته: الكلمات والأشياء، نظام الخطاب، وحفريات المعرفة.

[26]- الدواي، عبد الرزاق.(1992) . **موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،ط1 بيروت**: دار الطليعة. ص 153.

وإذا كان الموضوع المطروح يتحدث عن قضية مر عليها سنوات، فهنالك احتمالية تقسيم الجمهور إلى قسمين: القسم الأول، هم المعاصرون للحدث والموضوع المطروح، أما القسم الثاني فهم الجيل الجديد الذي لم يعاين الواقع أو يعاصره، وعلى اعتبار أن الذاكرة تخون أحيانا، فإن المعاصرين للحدث المقصود ربما نسوا ما شاهدوا وسمعوا في حينه، وربما لم يشاهدوا أو لم يسمعوا بالموضوع أصلا، وقليل هم الذين مازالوا يتذكرون، وقلة هم الذين يستطيعون فهم الغاية والعلة من إيراد الموضوع المطروح بشكله وزمانه وانتقائيته. والجمهور الجديد من غير المعاصرين للحدث المقصود، هم الذين تقع عليه الخطورة في عملية الوعي الجاهز المقدم إعلاميا.

والنوع الثاني من القطيعة الأبستميولوجية المخففة، هو فيما يختص إعلاميا بالحاضر من الأحداث، بحيث يصعب على غير الباحث كشف بعض أشكالها، خصوصا في وسائل الإعلام غير الحزبية أو الرسمية الموجهة بشكل مباشر، أي المقصود دعاة تقديم" الرأي والرأي الآخر"، وصعوبة وجود حيادية محضة، كما كان دعاة العقل المحض من التجريبيين والعقلانيين قبل كانط يقرون بذلك.

يختص الحديث هنا بأسلوب تقديم الخطاب، أو ما يسميه فوكو" الأسلوب المعكوس" من خلال السعي" لقول خفية شيئين بالكلمات ذاتها".([27]) وهو أن تجعل الكلمات تكذب، وإحدى أساليبها الحركة المجازية، وربما يصلح تسميتها بالحضور والغياب في قلب اللغة. ويتم ذلك من خلال تعابير وملفوظات، فـــ أي رسالة إعلامية كتابية أو شفاهية ربما تشمل كلا الأمرين، والفرق بينهما شاسع، وفي البدء فإن اللفظ يختص بما هو محكي، أو ما سيحكى، فيما التعبير ما ظهر ويظهر وسيظهر من حركة وإيماءات شكل ومضمون.
والجملة يمكن تشكيلها من أكثر من ملفوظة في نفس المعنى، ولكن في شروط صحة مختلفة.([28]) فطريقة لفظ الجملة تختلف من متحدث لآخر بقصدية أو بغير قصدية، و يمكن التفريق بين طريقة لفظ جمال ريان في قناة الجزيرة، ومحمد كريشان في نفس القناة.

---

[27] - وايت، هيدن.(1996) **ميشيل فوكو**، من كتاب جون ستروك، **البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى دريدا.** ترجمة : د. محمد عصفور الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 121.-

[28]- ريفوسر، أوبيرد و بول رابينوف. **ميشيل فوكو مسيرة فلسفية**، ترجمة جورج أبي صالح. بيروت: مركز الإنماء القومي. لا يوجد سنة نشر. ص 45.

أما بالنسبة للتعابير، فكما أن الجملة تتشكل من مجموعة من الكلمات، فإن تغيير مكان الكلمات وترتيبها يعني تقديم معنى آخر للجملة في نفس مكوناتها. ويمكن أيضا التعبير عن الحدث في عدة تعابير مختلفة للملفوظة ذاتها، ولكنها لا تقدم ذات المعنى المقصود، خصوصا في الترجمة من لغة إلى أخرى، فاحتماليات فهم القارئ للقصدية بعد الترجمة تضيع بين النص الأول وفهم المترجم له، والنص الثاني المترجم وفهم القارئ له، لُيكتب ويُقرء ويُفهم بذلك نص جديد مختلف تماما عن النص والقصدية الأولى للمؤلف.

ويعتبر فوكو أنه " يلزم أكثر من ملفوظة واحدة لانجاز فعل خطابي".([29])

يمكن ربط ذلك في السياقات السابقة، وفي هذه الحالة نكون أمام أكثر من ملفوظة لانجاز فعل خطابي، أو أمام ملفوظة واحدة بتعبيرات مختلفة، ولكن من الأقرب إلى الصحة في تقديم الحدث؟ هل الشكل الأول أم الثاني؟

ينبغي أولا التعرف على أي من التعابير داخل الشكل الثاني نفسه هو الأقرب تقريبا للواقع، بمعنى، أي هذه الصور التعبيرية تعبر أكثر عن الحدث في مجموعة من التعبيرات لملفوظة واحدة؟

ما يمكن استخلاصه، أن مجموعة من الكلمات تشكل جملة أو جملا، سواء أكانت خطابية أم كتابية يمكن التعبير عنها في أكثر من تعبير، ويمكن كذلك لفظ الجملة الواحدة في أكثر من لفظة وبنفس محتويات الجملة، ولكنها تتفاوت في إعطاء المعنى، والاقتراب من الحقيقة.

والكلام شفاهة أو كتابة ، هو شبيه بعمليات التصوير المختلفة التي سبق الحديث عنها، والتي يمكن إيجازها بالكيفية التالية: إن صورة واحدة لواقع ما تصور في أكثر من تصوير، وكل تصوير هو غير موضوعي بالضرورة، ويضفي معنى جديد. وأي عملية خلق للعلاقات في الإطار المؤسسي، لابد وأن تشمل نسقا أو نظاما يوجه هذه الملفوظات في جملها وسياقاتها، ولكن هذا النسق أو النظام الذي أضافه فوكو إلى البنية، أو بالأحرى كشفه في البنية، هو نسق غير ظاهر وغير معلن. وبالنظر إلى وسائل إعلامية مختلفة– حتى من نفس النوع– يمكن ملاحظة الاختلاف في ترتيب المعطيات وتقديمها، أي اختلاف في الصياغة، ومجمل عمليات تصوير الواقع – ونبقى في سياق اللغة– هو انعكاس لبنية المؤسسة الإعلامية.

---

[29]- فوكو، ميشيل. حفريات المعرفة ، مصدر سابق، ص 110-111 .

ومن الطبيعي ملاحظة اختلاف الصياغات بين مؤسسة إعلامية وأخرى في تقديمها للرسائل الإعلامية، ومن المؤكد أن هذه الاختلافات ليست عفوية بقدر ما تستند إلى نسق منظم وموجه في الصياغة. وفي اختلاف الصياغات اختلاف في الغايات أولا، وفي التعبيرات ثانيا؛ كونها ترد إلى لفظة واحدة أو أكثر، وهنا يتشعب الموضوع، لكنه يصبح أكثر سهولة على الإدراك، وتحديدا فيما يختص بعملية اصطفاف الأخبار مثلا، واختلاف أولويات تقديمها من مؤسسة إعلامية إلى أخرى، والتأكيد هنا من جديد على عدم عفوية جميع هذه الممارسات أو مجملها.

وكون الصورة ومدلولاتها انعكاس لنوع أو أكثر من العلامات، فإن مجموعة مدلولات نظام ما" بعد تشكله"، يشكل وظيفة كبرى تتواصل فيما بينها، من خلال تغطية بعضها البعض جزئيا([30])، كون مجموعة المدلولات تمثل انعكاسا لخطاب مؤسسة تحمل أيدلوجيتها الخاصة، ويكون ذلك عبر الاستحضار الذاتي للعلامات، وصناعة الصور– المدلولات.

واستخلاصا لما سبق، فإن التلفزيون لم يعد مصدر إخبار وإبلاغ، ولكنه وسيلة، وفكرة الوسيلة تكتسب معنى خاص كونها صورة، وبما أنها صورة، فإن فعاليتها لا تكون عبر تصديقها أو تكذيبها، وإنما عبر قدرتها على أحداث الأثر، لذا فإن الصورة التلفزيونية لا تقدم الحياة كما هي، بل تقدم ثقافة الهيمنة أو ثقافة المؤسسة([31]).

---

[30] - بارت، رولان. **مبادئ في علم الأدلة**. مصدر سابق، ص 76.

[31] - الغذامي، عبد الله. **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي**. مصدر سابق. ص 36- 42.

المبحث الثالث: المرئي وتمثيل الواقع

يصف" دوبريه" التغطية المرئية بأنها:" عرض لنتيجة من نتائج تصويرات الواقع، وليست عرضا للخلفية السببية، " فمن السذاجة أن نرى في إمبراطورية التلفزيون سببا في أسباب السياسي، فهو ربما نتيجة من نتائجها ... التلفزيون لا يقول لا للعالم"([32]).

يقودنا حديث" دوبريه" حول تصويرات الواقع، إلى الخلفية الفلسفية التي يمكن الاعتماد عليها كقاعدة صلبة لفهم علاقة التلفزيون بواقع ما، عبر الحديث عن سلسلة تصويرات الواقع التي يمر بها خطاب المرئي، وكل مرحلة من هذه المرحلة تزيد من شكنا في عدم واقعية المرئي.

وبالرجوع إلى جذور الارتياب من الواقع، فقد أثار ديكارت مبدأ الشك في الحواس ومدى خداعها([33])، لأن الحواس تأخذ صورا لواقع قد تكون هذه الصور مغلوطة. والمثال المشهور في ذلك، قضية السراب، فحينما تتخيل حاسة العين وجود ماء في الصحراء، فهو حقيقة غير موجودة، وجاء في القرآن الكريم:" والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب"([34]).

لا خلاف ربما على قضية خداع الحواس، فهي تخطأ وتصيب انطلاقا من مبدأ غياب الكمال المادي، فالحواس تأخذ صورا انتقائية لواقع ما، تكون بمثابة اختيار من متعدد، ليتم في العملية التالية إرجاع هذه الصور إلى المخزون المعرفي حتى يتم الوعي عليها.

وحينما نتحدث عن ذلك إعلاميا، أي نقل صور من واقع ما عبر المرئي، تقوم حاسة البصر بأخذ صور لواقعة مقصودة اعتمادا على وسائل الإعلام، وليس من مشاهدة عينية مباشرة، فهذا يعني أن عملية وعي

---

[32] - دوبريه، ريجيس. **حياة الصورة وموتها**. مصدر سابق. ص. 274.

[33] - اشتهر ديكارت بمبدأ " الكوجيتو" ومقولته المشهورة أنا أفكر إذن أنا موجود"، وفكرة الكوجيتو اعتمادا على الحواس كأساس للمعرفة، فأي معرفة خارج الحواس هي معرفة غير عقلية وغير مقبولة، لكن الحواس ليست مستقلة في ذاتها عن العملية العقلية، مما يقتضي إخضاع المعرفة للاختبار العقلي وعملية التفكير، ووجه منهج ديكارت التجريبي بالرفض من قبل " كانط" ورفضه للعملية التجريبية كأساس مطلق لاختبار المعارف وإعطائها المصداقية، فالعقل/ الذهنية، يحمل من المعارف السابقة ما يمنع من استخلاص أحكام مجردة.
أنظر. محمد أبو الرب. **العقلانية الأوروبية والإعلام: الإعلام بين نقل الواقع وخلقه**. بحث غير منشور مقدم لدائرة الإعلام. جامعة بيرزيت 2006.

[34] - القرآن الكريم، "سورة النور"، الآية 39.

الواقعة أو الحادثة المقصودة تمت من خلال تصويرين مختلفين؛ وعي المرئي على واقع ما، ووعي مرئي المتلقي انطلاقا من وعي الرسالة المرئية التقنية. وبما أن اختيار الصور من قبل المرئي هو انتقائي، فمن الأجدر القول أن العملية الثالثة من عقلنة الصور عبر المرئي، هي عملية انتقاء ذكية ومقصوده.

فالرسالة الأولى للمرئي هي ذاته، والرسالة الثانية هي مرئياته المختارة، ومن ثم تتشكل الرسالة الجمعية. وأصبح جائزا القول: أن التوقف عند مقولة " ماكلوهن" الوسيط هو الرسالة ليس كافيا؛ فالرسالة أولا هي الوسيط– كتقنية، وهي المرسل– في انتقائيته، ومن ثم يأتي مضمون الرسالة الفعلي.

والاستخلاص الأشمل للعلاقة بين الواقع وتصويراته المتعددة، هو المرتكز الأساس للفلسفة الظاهراتية، وتحديدا عند منظرها "هوسرل"، " فالعالم الذي نعيش فيه مصنوع في وعينا أو في رؤسنا، .. العالم الخارجي لا معنى له، إلا من خلال وعينا عليه"([35]).

وإلى ذلك، افتراضات النظرية التفاعلية الرمزية، حسب" هربرت بلومر"، " البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم، وهذه المعاني يتم تحويرها وتعديلها، عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها"([36]).

وبما أن المرئيات دشنت اختفاء الفردي لصالح الجماعي– المرئي ذاته، أمكن القول مجددا بأن تصويرات المرئي معدة سلفا، ومختارة حسب ما تعينه هذه الصور وما تقدمه من خدمة لخطاب المرئي. وتعزيز خدمة المرئي يتم بتكرار تأويلاته، بما يحقق التعزيز الأيقوني لرسالة الخطابي.

يمثل تكرار تأويلات المرئيات عبر تراكمية الصور خطرا على وعي المتلقي وذهنيته، خصوصا قضية بناء المعنى، وفي المرئي يمكن اختصارها على بناء الأيقونات، فالأيقونة الأولى التي يعظمها المرئي، شعار القناة ذاتها، وعلى المدى البعيد، المكونات البنيوية لخطاب الوسيط الإعلامي، وهي مجمل الأنساق الاجتماعية والسياسية والثقافية والأيدلوجية المشكلة لخطاب المرئي.

---

[35]- كريب، إيان. **النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**. مصدر سابق، ص 134-135.

[36]- المصدر السابق. ص 119.

وتعزيز وتعظيم أيقونة المدلول الواحد لا يتحقق فقط من خلال الخطاب الظاهري للتعزيز، أو عبر تكرار الصور وتكثيفها وتوجيها، بل بقدر ما يكون في الكشف عن المحرك الداخلي لبنية المرئي، والسلطة التي يتمتع بها، وتتيح له تشكيل واقع أيقوني خاص، فيكون حصاد هذا الواقع المشكل سلطة تعزيزية للمرسل، يعتمد حجمها على المكانة التي يشغلها خطاب التقني في ذهنية المتلقي، مقارنة بالخطابات الأخرى.

المطلب الأول: آليات تشكيل الواقع المرئي

نعت المرئي بالتقنية واستخدامه لها، يعني امتلاكه لأدوات ووسائل لا تمتلكها الذهنية البشرية الجمعية، وكون التقنية انعكاسا لإرادة القوة، فهي بحاجة إلى تبسيط صورتها وتقديمها بأكثر من نموذج، وذلك باستخدام وسائل غالبا ما تكون غير متوافرة بشكل جمعي في الواقع العيني كما سبق إيضاح ذلك. والغاية دوما تحقيق أهداف المرسل عبر رسائل مرئية هي في حقيقتها غير مرئية.

وتحقيق أهداف المرسل تتم بتعدد تقنيات الوسائطي، فتتعدد معها آليات توجيه الرسائل، ليس فقط عبر الحضور والغياب في قلب اللغة، ولكن عبر الحضور والغياب في جميع أنواع العلامات وترجماتها من صورة وكتابة تصويرية، وإيماءات شكل ومضمون، إضافة إلى عمليات ترتيب الصور واستحضارها مرئيا في سياقات محددة، تظهر في خطاب وسائطي معين، فيما تغُيب من خطاب وسائطي آخر، ويتم استبدالها بصور أخرى، أو توجيه الاهتمام نحو منطقة أخرى لا تمتلك نفس القيمة المفترضة من التغطية والعرض؛ فكل خطاب يمتلك لنفسه تحديد الاهتمامات، ولكن تقيم هذا العرض والكشف عن مكوناته، لا يتم عبر قوالب جاهزة للحكم على أولويات عرض المرئي، بقدر ما تشكل المتابعة النقدية والدراسة المقارنة الرافعة التي تحاول رفع التراب المتكدس فوق مكونات خطاب المرئي .

وقد تمت الإشارة سابقا إلى أن بنية المؤسسة هي الجهة المسؤولة عن تشكيل منهجية تصويرات المرئي، أما الطاقم البشري العامل في المؤسسة ليس سوى منفذ لهذه التصويرات بشكل واع، أو غير واع.

تشكيل التصويرات يكون بالاعتماد على جملة من الآليات التي تتداخل فيما بينها، لذلك فالظاهرة التلفزيونية بنيوية بالأساس، والمقاربة الأكثر فعالية لدراستها هي التحليل البنيوي لآليات الخطاب والحواس التي يقصد بها تلك الوسائل والأدوات التي يستخدمها خطاب المرئي حينا، ويستثنيها حينا أخر في الواقع المراد تشكيله([37]).

والتحليل البنيوي لآليات الخطاب يفترض استحضار آليات تشكيل الواقع، ضمن فئتي الشكل والمضمون، يشترك في الأولى ترتيب الصور واختيارها ومعالجتها صوتيا ومرئيا، إضافة إلى إيماءات الشكل والجسد، أما فئة المضمون فتتمثل في التصورات المؤسسة لانتقائية الموضوع المطروح، وتقدير حجم العناصر التي ارتضى الخطاب مشاركتها في الحدث، وكذلك كيفية التغطية والوقت المتاح لها، بالاشتراك مع عناصر الشكل.

توضح محاولة الفصل السابقة بين فئات الشكل والمضمون مقصد الدراسة وافتراضاتها، حيث صعوبة تناول خطاب المرئي بشكل مجزوء، والتأكيد على الترابط الجدلي بين الشكل والمضمون، هو ترابط الأداة بالقصدية، والوسيلة بالرسالة، ولننظر مثلا إلى " طريقة تقديم المذيعين للمادة الإعلامية، فهي لا تقتصر على زيادة قوة إيصال الرسالة، بل تتحول هي ذاتها إلى عنصر إقناع من خلال الإبهار"([38]).

استخلصت الدراسة في الصفحات السابقة الهدف النهائي لخطاب المرئي، والمتمثل في السيطرة على النشاط العقلي، وتوجيه التصورات عبر استخدام ذكي للعلامات من رموز وأيقونات ومؤشرات، بغية إنتاج صور

---

[37] - أنظر. عزي، عبد الرحمن.(2003). **دراسة في نظرية الاتصال**. ط ا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

[38] - حجازي، مصطفى. **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية**، مصدر سابق. ص 47.

ذهنية جاهزة، أو ما يسميه" شيلر" " الوعي المعلب"([39])، لكن يبقى السؤال عن كيفية وآليـــة إنتـــاج الـــوعي المعلب.

أولى آليات تشكيل الواقع، صناعة المقارنات بين رأيين، ولا يعني التوقف على ما هو موجود في موقف، وما هو موجود في موقف آخر انحياز لأحدهما، بل يعني أيضا القول بشكل غير مباشر بأن حل الموضوع لا يتم إلا بهذا الموقف بدلا من ذاك.([40])

وتوجيه وعي جمهور المرئي باتجاه موقف محدد، هو انعكاس لنواتج استخدام أدوات الخطاب والتلاعب فـــي استخدامها، سواء في انتقائية الموضوع، أو في الوقت المخصص والتلاعب به توزيعا وتشويشـــا، كمقاطعـــة المتحدثين تحت حجج فنية، وغالبا بدعوى عدم فهم المشاهد لقصدية المتحدث([41])، خصوصـــا فـــي البـــرامج الحوارية، مما يتسبب في تسطيح قصدي للموضوع، وتوجيهه بناء على رغبة خطاب المؤسسة لإنتاج معرفة مبسطة وبأسلوب سلسل، يستطيع الوصول إلى الذهنية والتسلل إلى الذاكرة كمسخ للتاريخ وإنتـــاج صـــيرورة آنية، دون الحاجة إلى عملية عقلنه ذاتية من المتلقي، وتم تبيان ذلك ســـابقا، خصوصـــا خطـــورة الانشـــداد التلفزيوني باتجاه المتابعة، ودوره في أسر الحواس وعقلنه الصور الجاهزة، بما يهمش العقل النقدي.

واستخدام آليات الخطاب في البرامج الحوارية لا يختلف عنه في نشرات الأخبـــار والتقـــارير، أو المقـــابلات الخاصة؛ كون جميع الأشكال الصحفية موجهة ومعقلنه، يعتمد نجاحها على مدى قدرتها على تضليل جمهـــور المرئي، وتقليل قدرته على فك رموزه إلى أقل حد ممكن.

ومن الآليات الأخرى المستخدمة في خطاب المرئي، والتي يمكن ملاحظتها وقياسها، زيادة علـــى التشـــويش على بعض المتحدثين، نوعية المدعوين إلى الشاشة التلفزيونية، خصوصا المدعوين الدائمين، لذلك ليس المهم السؤال عن طبيعة الموقف الاعتيادي لهؤلاء المتحدثين، ومدى إعجاب الجمهور بخطاباتهم الشـــعبوية، بقـــدر السؤال عما هو أهم، أي طبيعة العلاقات الخفية بين المتحدثين ببنية المرئي، والبواعث التـــي تـــدفع المرئـــي للتعاقد مع هكذا متحدثين، ولو ترجمنا ذلك بمثال من قناة الجزيرة، لكان التساؤل عن ســـبب تكـــرار ظهـــور

---

[39] - أنظر أ. شيلر، هربرت.(1999). **المتلاعبون بالعقول**. ترجمة: عبد السلام رضوان. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 26-32.

[40] - FISKE, JOHN.(1982). **Introduction to mass communication studies**. LONDON: Met Buena and Co.ltd. p.147.

[41] - بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. ترجمة درويش الحلوجي. ص 39-40.

الشيخ يوسف القرضاوي خصوصا، لعبه دور البطل في برنامج " الشريعة والحياة"، وكذلك تكرار ظهور عبد الباري عطوان، والدكتور عزمي بشارة وآخرون.

" في الواقع إن العالم الذي يضم المدعوين الدائمين، هو عالم مغلق على الذين يعرف بعضهم بعضـــا، عـــالم يعمل وفق منطق" الدعم الذاتي المستمر"([42]).

الدعم الذاتي المستمر لخطاب المرئي لا يتوقف على المدعوين الدائمين فحسب، هنالك أيضا التدخلات الدائمة للمذيعين، والتي يمكن فهما أيضا ضمن خيار الدعم الذاتي المستمر.

ينبغي ملاحظة أنه عندما يسعى المذيع لمقاطعة المتحدث الضيف، متهما إياه بعدم الرد علـــى تســـاؤلاته، أو تساؤلات " الرأي الأخر"، حتى لو أجاب على السؤال، فهو يهدف مقدما لحصر المتحدث في زاويـــة محـــددة وكأنها كل الموضوع، بقصديه إرباكه وإحداث قطيعة في تسلسل التصورات التي يقدمها المتحدث؛ محاولة من المقدم لإخراج الخطاب عن مساره عبر تسطيح النقاش وتحويله إلى سؤال وجواب، ينحو شيئا فشـــيئا نحـــو النقاشات الشخصية للمتحاورين بعيدا عن الموضوع المطروح، فيما يمارس المذيع دور المشرف على تسخين النقاش بعيدا عن العلمية، وهذا ما يبدو واضحا في برنامجي cross fire والاتجاه المعاكس، والأخيـــر تقليـــد للأول، لكن الأول يعبر عن" الجديد"، لكن الثاني يعبر عن" الطارئ"([43]).

نظريا يتقاطع الكلام السابق حول تدخلات المذيع مع الطرح النظري لـــ " دوبريه"، ففي جانـــب معـــين مـــن الحديث الحواري يمكن أن تكون الخطوط الفاصلة كثيرة الوضوح، لكنها خادعة في وضوحها، وهذا ينطبـــق على سعي المذيع لتقسيم الخطابات الأخرى وتوضيحها: هذا مع، وهذا ضد([44]).

---

[42] - بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. مصدر السابق، ص 68.
ينظر أيضا ما قاله ريجيس دوبريه في هذا السياق، حيث اعتبر أن التلفزيون يبيع جمهوره للإشهاريين، محاولا إبعاد قصديه – ظهوره وتدخله- عن الجمهور، لذلك فهو يردد دائما الجمهور هو الحكم بيننا. ريجيس دوبريه. **حياة الصورة وموتها**، مصدر سابق ص247. وكذلك الأمر ما قاله بورديو من تفضيل التلفزيون لعدد من المتحدثين وربما المفكرين الذين يقدمون غذاء ثقافيا سريعا، وهو نوع من
التغذية الثقافية التي تم إعدادها مسبقا. بيير بورديو. التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، مصدر سابق ص67.

[43] - سيتم لاحقا الربط بين قناة الجزيرة و الـ BBC كون غالبية طاقم قناة الجزيرة المؤسس هم كادر قناة الـ BBC باللغة العربية بعد أن أوقفت المملكة العربية السعودية بث القناة على قمر عربسات.

[44] - دوبريه، ريجيس. **حياة الصورة وموتها**. مصدر سابق. 213.

وللتذكير مجددا، إن استخدام المذيع عبارات مثل: " هل تريد أن ترد؟ إنك لم ترد على سؤالي، إنني أنتظر ردك.. كل هذا يظهر بطريقة غاية في الدقة"([45]).

تفوق قصديه المقدم التلفزيوني في المقابلات النارية ذات الطابع الصدامي، إبراز التسلية والإثارة، ليدخل المشاهد بين توترات نبرات الصوت صعودها وهبوطها، في حالة ذهنية لايكفي القول أنها عملية تشكيل انطباعات من واقع عياني، كون تشكيل الصورة الذهنية يعتمد على الحجج الشعبية واستخدام مستوى شعبي من الحديث، فإن طبيعة اختيار الضيوف ينبغي أن تكون متشابهة، لكن " لعبة اللغة" لا تتوقف على اختيار المدعوين للمصارعة على المرئي، بقدر اعتمادها أساسا على قائد النقاش من حيث توجيهه للتساؤلات، وتحديد محاور النقاش مسبقا، إضافة إلى أنماط الاختيار السلطوية الأخرى.

إثارة التخوفات من " لعبة اللغة" تنبع من كونها فرضية متجذرة في مفهوم النقاش الديمقراطي على طريقة المصارعة([46])، لذلك تكون الاختيارات المتاحة أمام المشاهد قوالب ذهنية جاهزة، والأهم أنها غير متوازنة، خصوصا قضية توزيع الوقت، وطبيعة النقاش وتوجيهه عبر نقل التساؤلات من طرف لآخر.
ففي قضية الوقت، ينبغي ملاحظة جدلية العلاقة بين الوقت والسرعة([47])، وانعكاسات ذلك على التفكير، والعملية العقلية ككل من جانب المتلقي وقدرته على تشكيل الأحكام والاختيار.

اختيار المدعوين إلى التلفاز عمل ذكي وليس عشوائي، وفي المرئيات التي تتبنى ديمقراطيات اللغة على طريقة المصارعة، يغيب التوازن بين المدعوين، فـ الشخصيات الأكاديمية لا تستطيع تقديم تصوراتها وتحليلاتها في الوقت المخصص لها، بينما تبدو الشخصيات الشعبوية المتزوجة عرفيا من الوسيلة الإعلامية، أكثر قدرة، وبالطبع أكثر خبرة في ممارسة فعل الغواية على الشاشة المرئية، بنوع من الذكاء الذي يخفي العلاقة " غير الشرعية"، ولكن في ذات الوقت يرضي الجمهور؛ عبر اللغة البسيطة والسلسة.

---

[45] - بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. مصدر سابق. ص 71.
[46] - BOURDIO, PIEER **.ON TELEVION**. Ibid .p. 254
[47] - Ibid . P252.

لذلك؛ من الخطأ الفادح جمع شخصيتين من بيئتين مختلفتين في نقاش واحد، حتى لو كان الموضوع ضمن تخصص الأكاديمي، لأن المتحدث الشعوبي سيبدو في النهاية الأكثر تأثيرا من التخصصي، بمساعدة المذيع وبنية المؤسسة ككل.

" لعبة اللغة" في النقاشات المتلفزة، تقتل الموضوع المطروح وتحوله إلى لغة عواطف وإثارة، يتم عبرها تصدير الأفكار وتشكيل الرأي العام، فلا مجال أمام المشاهد سوى الانحياز لصاحب النبرة العالية في الصوت، والمستخدم للعبارات الشعبوية لتعزيز تواصله مع الجمهور.

تمتلك العبارات الشعبوية، كما في الاقتباس السابق سلطة رمزية وشحنة ثقافية تدوم في الذاكرة مدة أطول من الطرح الأكاديمي، كونها مرغوبة في النهاية، وشكل من أشكال العلامات التي يصل بعضها إلى درجة الأيقونة.

كما تعكس بنية الثقافة الشعبوية ربطا بين عناصر الوجود، ما يفهم على أنه حق، وما هو مرتبط بأشياء أخرى، لذلك تشكيل الوعي الشعبوي يكون بما هو موجود، لذلك بات من المهم التنبه لخطورة الرواية الشعبوية،" حيث أصبحت في الوقت الحاضر منتج يتم تصنيعه"([48]).

خطورة الوعي الشعبوي تكون مزدوجة، حينما يستخدمها المرئي، وينتجها على طريقته من جديد، ويكفي النظر إلى سيطرة الانفعالات على النقاشات الشعبوية في المرئيات، لندرك حينها تغييب العقلانية وسيادة قوة نبرات الصوت وليس قوة الأفكار، وبعبارة" دوبريه": "في الإعلام الجماهيري، الانفعال يطرد الدقة، وهذا انتصار لخط الجسد"([49]).

وضمن الآليات الأخرى للتلاعب بالعقول، اختيار المتحدثين سواء في النشرات الإخبارية أو البرامج للتعليق على أحداث معينة، وسواء أكان الضيف مؤيدا لما جاء في خطاب القناة، أم معارضا له، فهو يصب في خدمة الخطاب، ففي الحالة الأولى، أكد الضيف وفسر ما بثته القناة، والملاحظ أن الأسئلة التي توجه له تكون

---

[48] - أ. شيلر، هربرت. **المتلاعبون بالعقول**. ترجمة: عبد السلام رضوان. مصدر سابق. ص. 95

[49] - دوبريه، ريجيس. **محاضرات في علم الإعلام العام: الميديولوجيا**. ترجمة: د.فؤاد شاهين،و د.جورجيت حداد. بيروت: دار الطليعة. ص 237.

مفتوحة، كصيغة " ما رأيك؟ كيف ترى؟..الخ. أما بخصوص المتحدث الثاني، فهو في موضع اتهام، والأسئلة الموجهة له تكون مغلقة، وفي سياق:" لماذا..؟ آلا تخشى..؟ كيف كذا..، بينما كذا..؟ الخ من هذه الصيغ.

تثبت المتابعة النقدية لحالة المتحدث الأول وجود انسجام ليس فقط بين المتحدث والمذيع من خلال لغة الجسد والإيماءات، بل أيضا الانسجام بين الخطابين، وكأن جميع إمكانيات المرئي وضعت تحت تصرف المتحدث الأول، فهو يعلق على ما شاهده الناس ويؤكده. بينما الضيف الآخر يكون موضع اتهام، وعليه الإجابة على التساؤلات المحرجة التي تجد صداها في المادة الإعلامية المعروضة قبل حديثه، ومهما كانت أدلة المتحدث وقدرته على الإقناع، إلا أنه لا يمتلك أدوات المرئي وتقنياته، وليست متاحة له كما سابقه، إضافة إلى أنه لا يمتلك سلطة التأثير التي يتمتع بها المرئي.

وتعزيزا للاستنتاجات السابقة، يرى" بورديو" أن فن حجب المعلومات في التلفزيون يقوم على الحجب عن طريق العرض، ومن ثم إعادة تشكيل المعلومات، بحيث ينتج معنى لا يقابل الحقيقة على الإطلاق، فالصحفيون– حسب بورديو" يشبهون نظارات خاصة يرون بواسطتها أشياء معينة، ولا يرون الأشياء الأخرى.. إنهم يمارسون عملية اختيار ثم عملية إعادة تركيب لذلك الذي تم اختياره" ([50]).

يهدف الإسهاب في الحديث عن آليات التلفزيون، الوصول إلى دعامات تثبت تورط المرئي في تضليل الجماهير وتشكيل واقع مغاير، انطلاقا من اختبار مقولات بورديو ودوبريه، وكارل بوبر و بودريار وآخرون، وصولا إلى الموقف الجمعي من أن " التلفزيون شاشة تحجب عنا الواقع"([51]).

واستمرارا في الحديث عن آليات المرئي في التلاعب بالعقول، لا بد من التذكير بـ" عنصر الإبهار"، ودوره في تشكيل واقع ما، اعتمادا على التجديد التواصلي في الأسلوبية.

---

[50] - يرى بورديو زيادة على ما سبق، سعي التلفزيون لجذب انتباه المشاهدين نحو أحداث تتميز بأنها تهم كل الناس، وتعزيزا لأهمية هذه الأحداث المنتقاة، يستخدم التلفزيون الآليات الميسرة لعملية فهم المعلومات بأقل جهد ذهني، وعبر قالب التشويق والإثارة يمارس التلفزيون عنفا رمزيا على الجمهور، ويصبح أفراده خاضعين بشكل رمزي لتشكيل الوعي وصناعه الأحكام، ولو بدرجات متفاوتة.
أنظر بورديو. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. مصدر سابق ص 47-50.

[51] - ألول، جاك. **خدعة التكنولوجيا**. مصدر سابق. ص 400.

استخدام آلية الإبهار لا يقتصر تأثيرها على جمهور المرئي بقدر ما تدفع المرئيات الأخرى نحو التجديد والابتكار في جو تنافسي؛ سعيا لتعزيز خطاب المرئي وكسب جماهير جديدة، لذلك كثيرا ما يتجه المرئي لتغطية وقائع وأحداث بالنسبة له ليست على درجة من الأهمية، ولكونها مهمة للخطاب المغاير، يقوم الخطاب الأول بتغطيها. وقد تكون الأحداث والوقائع مهمة للخطاب الأول كما الثاني، لكن المشكلة في توقيتها وعدم تناسبها مع أولويات المؤسسة في تلك المرحلة.

مهما كانت أولوية حدث ما وحجم تغطيته، يبقى السؤال عن كيفية التغطية؛ فهنالك فرق مثلا بين الخطاب الأول الذي يبث خبر مقتل ثلاثة فلسطينيين في" أحداث عنف داخلية"، وبين من يخصص وقتا أكبر للموضوع ويعرض صورا للحادث، إضافة إلى إجابته عن أكبر عدد من التساؤلات الخمسة:" من؟ أين؟ كيف؟ متى؟ لماذا؟".

وحول نفس المثال ولكن باختلاف شخصية الفاعل مثلا، نجد أن الخطاب الأول أعطى حيزا أكبر لتناول الموضوع، وبطريقة مغايرة لما سبق، وكذلك اختلاف الأمر بالنسبة للخطاب الثاني([52])، والسبب عائد إلى ترتيب أولويات الخطاب، والتعبير الأوضح لهذا الكلام، العبارة المستخدمة في قناة الجزيرة الإنجليزية: "ALJAZEERA: Setting the News Agenda"

تكشف عملية ترتيب الأولويات في خطاب المرئي بعضا من طبيعة العلاقة بين الأنساق المشكلة لبنية الخطاب الإعلامي، فـ ترتيب واقعة واحتلالها مكان الصدارة في خطاب الوسائطي، هو انعكاس لمعايير داخلية تتكشف شيئا فشيئا عند متابعة وسيلة إعلامية أخرى، وكيفية تناولها للموضوع، لذلك لا يمكن لجمهور المرئي إدراك فعل التلاعب بالعقول، إلا عبر الخروج من انحصار فعل المشاهدة على تلك الشاشة.

" هنالك أشياء، يدركها المنتجون في تغطية التلفزيون، ولا يدركها المشاهدون، لكن مشاهدة أكثر من وسيلة إعلامية في نفس الوقت، تكشف عن بعض ذلك"([53]).

---

[52] - لا داعي للاستفاضة في الأمثلة ضمن المقدمة النظرية، وسيتم تأجيل الحديث عن الأمثلة للفصول اللاحقة من الدراسة، كي تكون الأمثلة محددة وضمن شروط العينة الدقيقة.

[53] - BOURDIO, PIEER.**ON TELEVION** .Ibid.p.250

المطلب الثاني: المرئي والتعليق على مرئياته

رغم قوة صور المرئي وآنية إحداثها للتأثير، إلا أنها تصبح أكثر قوة من خلال التعليق عليها وترتيبها في قالب إعلامي، والتأكيد من جديد على عدم عفوية الاختيار سواء في نوعية الصور وترتيبها أم في التعليق عليها.

لو توقفنا جدلا مع طرح "عبد الله الغذامي"، في اعتبار أن المرئيات تقوم على ثنائية رهيبة، فهي تبث الشيء ونقيضه، والصورة تنسخها صورة أخرى، تماما كما أن كل خطاب في الهيمنة ينتج خطابا أخر في الرفض([54])، لما كان هنالك حاجة لدراسة ظاهرة المرئي؛ كون كل خطاب في الهيمنة يقابله خطاب في الرفض، لكن ينبغي ملاحظة الدقة والتقانة في عمل المرئي، فالتعليق على المرئي يعني توجيها له باتجاه خطاب الهيمنة، وبالتالي تصبح إمكانيات خطاب الرفض –إذا وجد أصلا– ضعيفة، وتصبح أكثر تعقيدا وحاجة إلى براعة في مسخ مرئيات خطاب الهيمنة وتقنياتها، وغالبا ما يكون خطاب الرفض أضعف من خطاب الهيمنة، وإلا ما كان نُعِيَ أصلا بخطاب الرفض.

ما يميز خطاب الهيمنة، هو كيفية عمله وقدرته على التضليل، وليس وضوحه؛ فالتغطية العاجلة من حيث انتقائيتها والتعليق الفوري على أحداثها، تعكس بشكل غير مرئي أقوى حالات الهيمنة. والاحتكار في التغطية، يعطي الشرعية للخطاب، انطلاقا من قاعدة الحضور والغياب في قلب المرئي؛ فما يبثه المرئي هو موجود، ودون ذلك غير واقعي، أي أن معيار الوجود هو انعكاس بعض صوره في المرئي، وتعميم هذه الصور مهما كان الهدف المعلن والمخفي لخطابها.

---

[54] - الغذامي، عبد الله. **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي**. مصدر سابق. ص 213.

من الدقة، عند الحديث عن عمل المرئي وانتقائيته القول: أن الواقع ليس فقط ما يبثه المرئي، لكن الواقع هو الظاهرة المرئية ذاتها وقدرتها على التضليل في عرض وقائع تساعد خطابها في تحقيق الهيمنة وكسب الجمهور، لذلك واقعية الأحداث في المرئي ليست هي" الواقع"([55]).

إذا كانت مشاهدة الصورة تفسيرا لها([56])، فالتعليق على المرئيات هو تفسير من الدرجة الثانية، والتفسير رأي، وفي حالة المرئي، الرأي مطعم بالسلطة، وأحيانا تفوق خطورة التعليق خطورة الصورة رغم أنهما متكاملان، ويمثل التعليق على الصورة رواية لتاريخها، وليس لتاريخ الحدث، أي أن تاريخ الصورة تاريخ مجزوء، فالتاريخ في المرئي هو" تاريخ الرائي، أو المشاهد، أو تاريخ الخطاب المهيمن، وليس تاريخ الموضوعات أو الأشياء"([57]).

إلى جانب التعليق على المرئيات كآلية من آليات التلاعب بالعقول، ينبغي الحديث عن التغطية العاجلة، أو ما هو أشمل منها: احتكار التغطية.

تعتبر التغطية العاجلة جزء من استراتيجيات التجزئة، وربما الإزاحة للواقع، فهي تروج لتوجهات بلا تاريخ، توجهات مضادة للمعرفة([58])، وتتعزز هذه التوجهات بتراكم الصور وتكرارها في الذاكرة بشكل متجدد، بحيث يصبح تاريخ الصور في الذاكرة كالخبر العاجل الذي يمحو ما قبله من أحداث.

" يعيش المشاهد في حاضر أبدي وفقدان للتاريخ؛ نظرا لتسارع الأحداث... إننا بصدد ثقافة التشاطر والاقتناص التي يتم ترسيخها على مدى نشرات الأخبار في كل المحطات، وهكذا تتلاقى ثقافة الصفقة مع ثقافة الومضة في الراهنية والكسب الآني"([59]).

---

[55] - سيتم لاحقا الحديث عن مدى واقعية صور المرئي، في الجزء الأخير من المدخل النظري، وإشكالية الفقرة السابقة، هي محل افتراض أكبر في الدراسة، تتمثل في غياب الواقع المادي في صور المرئي، حيث صور المرئي ، لم تعد بحاجة لمحاكاة الواقع، بما أن المنتوج الواقعي هو المطالب بمحاكاتها هي، كي يتحقق وجوده. للمزيد، أنظر. ريجيس دوبريه. **حياة الصورة وموتها**، مصدر سابق. ص 227-242.

[56] - المصدر السابق، ص 289.

[57] - روجوف، إيريت. **دراسة الثقافة البصرية**. ترجمة: شاكر عبد الحميد. من مجلة فصول،ع 62، مصدر سابق . ص 173.

[58] - شيلر، هربرت. **المتلاعبون بالعقول**. مصدر سابق، ص 35+36.

[59] - حجازي، مصطفى. **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية**، مصدر سابق، ص 51+ ص 55.

يؤكد الكلام السابق دور المرئي في إحداث قطائع معرفية مع تاريخ الذاكرة من جانب، ومع واقعية الإبصار المباشر من جانب آخر، لذلك أمكن القول مجددا أن صور المرئي غير صور الواقع، وتأثيرها عبر التخصيص والاختيار أكبر بكثير من صور العيان.

كما توفر التغطية العاجلة لخطاب المرئي حجما هائلا من التأثير قد لا تتاح له في الأحداث العادية، وإلى جانب الأحكام السريعة التي يمكن للمرئي إصدارها على ما هو آني من أحداث، هنالك سلطة الاحتكار في تصوير الأحداث، وكذلك التعليق عليها، " فالصورة والتعليق في البث المباشر، بإمكانهما تغيير مجرى الأحداث"([60]).

الملاحظ أنه كلما كَثُرَ استخدام المرئي لآليات التضليل زادت قدرته على الهيمنة على المتلقي؛ بفضل رسائله المبسطة، وفي الوقت ذات صعوبة تحليل نسقه الخطابي، وفهم مقاصده من الجانب البحثي.

المبحث الرابع: دور مرئي العالمي في تشكيل العلاقات الدولية

في ظل ثنائية المرئي والتقنية وثالوث الرسائل الصادرة عنهما بالاشتراك مع بعض عناصر الواقع، تحول ما يمكن اعتباره حدثا أو واقعا إلى صورة مغايرة تدعي أنها الواقع ذاته ولذاته، وحتى لو استخدم المرئي شعارات مثل" ننقل الأحداث لحظة وقوعها"، " أبقى على اتصال مع الحدث"، "الأحداث تصلك أينما كنت.." فإن عمليه الإخبار ليست المعاينة، ووصف الحدث في المرئي ليس مثل وصف تأمله ذاتيا كعياني.

إن الحديث عن النتائج العامة لما سبق من حيث أن لا مرئي بدون رسالة، ولا خطاب بدون ثقافة هيمنة، يقود إلى تأكيد اعتبار أن المرئي وما يوفره من تقنيات هو من أخطر أدوات تحقيق المصلحة عبر قالب المعرفة.

---

[60] - دوبريه، ريجيس.. **حياة الصورة وموتها**. مصدر سابق، ص 282.

وبما أن السيطرة تتشكل في حضور الأشياء، حيث تتاح لها القدرة على فرض منطقها، فإن غياب الآخر وعدم قدرته على التواصل، يعني استمرار هيمنة الخطاب الأول غير المادية، وتواصله في فرض تصوراته على الأحداث، اعتمادا على ما توفره التقنية من خيارات التضليل والتمثيل.

وعلى المستوى الدولي، ينبغي فهم جدلية التلقي والإرسال، أي أن هنالك حاجة لبحث الدور الذي يلعبه فهم الجمهور للأحداث والمشكلات الدولية، وتحديدا الطريقة التي يجري بها جمع القضايا وتسويقها، وفي الوقت نفسه، فإن كيفية استجابة الجمهور للأحداث تعتمد على طريقة عرضها([61]).

إن طبيعة التغطية المرئية وانتقائيتها هي بمثابة توجيه للجمهور تجاه قضايا يرغب التلفزيون في إثارتها، مقابل حجب أشياء ربما تكون أكثر أهمية مما عرض في المرئي، وبلغة هابرماس فإن العقل التوجيهي أصبح يوجه العقل الأداتي تجاه قضايا تخص ذات العقل التقني وليس المتلقين([62]). وبلغة ماكس فيبر فإن المعقولية تعني توسيع المجالات المجتمعية التي تخضع لمعايير القرار العقلي، ومن ذلك إطفاء الصفة التقنية على حياة الناس([63])، الأمر الذي يعني سيادة العقل الأداتي والعقلنة التقنية على المجتمعات ككل، وعلى جمهور المرئي تحديدا، كونهم الخاضعين لفعل المشاهدة والمستهدفين في تغييب الإحساس العقلي([64]).

ومما سبق، لم تعد ادعاءات المرئي بـ " الرأي والرأي الأخر" مقبولة في ظل امتلاك الأدوات التفكيكية القادرة على كشف منظومة التضليل عالية التأثير والانتشار، والتي يستخدمها بالارتكاز على مخرجات التقنية، لذلك باتت الأدوات قابلة لإعادة عقلنة رسائل المرئي للحكم عليها من حيث حجم العناصر المشتركة في خطاب المرئي وآلية عملها، ومن ثم قصديتها.

إن الحديث عن ترتيب الأولويات، أو بلغة الجزيرة Setting The News Agenda، يثير التساؤل حول الآلية التي يستند لها الخطاب في عملية الاختيار، صحيح أنه يراعي فيها اهتمام الجمهور، أو بالأحرى يدعم

---

[61] - فيشر، جلين. **دور الثقافة والإدراك في تشكيل العلاقات الدولية**، ترجمة: أسعد حليم. القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية. ص 28+ 48.

[62] - أنظر أتو أبل، كارل.(2005). **التفكير مع هابرماس ضد هابرماس.** ترجمة: عمر مهيبل.. ط1. الجزائر: دار الاختلاف.

[63] - يافوت، سالم.(1997). **هابرماس ومسألة التقنية**، فكر ونقد. ع1 ص 46.

[64] - ميرلوبونتي، موريس.(1989). **العين والعقل**. ترجمة وتقديم: د. حبيب الشاروني.. الإسكندرية: منشأة المعارف. ص .27

خياراته بآليات إثارة اهتمام الجمهور، إلا أن الهدف النهائي لفعل المشاهدة هو خدمة مكونات الخطاب المرئي، سواء بشكل جمعي أم فردي، تبعا للموضوع أو الحدث، والجهة التي يخدمها التعرض له.

إثارة اهتمام الجمهور تجاه قضايا منتقاة، سواء محلية أو دولية، وإتاحة المجال للجمهور للمشاركة والتعليق عليها على اعتبار أن المرئي" منبر من لا منبر له"، يعني أن يصبح المواطن العادي محللا سياسيا من نوع ما، محتكما في تحليله إلى دائرة عرض المرئي ومحيطها وليس دائرة الحدث ومحيطه، وبالتالي فإن إتاحة منبر لمن لا منبر له، ليست سوى تصدير لتصور ساذج حول واقعة معينة، يراد خلالها إثارة جمهور المرئي وإشغاله بوعي معلب من قبل الوسيلة الإعلامية.

كما أن عملية اختيار المرئي لواقعة ما وربطها لما يتصور حدوثه تاريخيا، تكشف عن بعض ذرائع الخطاب، فالمهم ليس فعل الربط، بقدر نوعية الطريقة التي يجري بها التذكير والربط.

وبشكل مبسط، فإن العلاقة بين ما سبق كله وبين العلاقات الدولية، يمكن فهما من منطلق أن الأخيرة تقوم أساسا على التفاعل بين الصور الذهنية المختلفة([65])، والفاعل الرئيسي في عملية تشكيل الصور الذهنية هو المرئي بتقنياته، الأمر الذي يعني عدم الفصل والانفصال بين خطاب المرئي والبنية التي يمثل انعكاسا لها، ومهما كانت الجهة التي يمثلها الخطاب سواء أفراد أم جماعات أم دول، فإنه لا مجال لفهم فعل المرئي بشكل يتجاوز عملية التمرئي للصور الذهنية، ومن هنا أمكن التعميم بأن " صورة العالم التي تقدم للجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة"([66]).

واستكمالا لعملية تفكيك المرئي في تصويراته، فإن تأثير الخطاب واستمرار هيمنته، يعتمد على قدرته على تجديد تصويراته بما يضمن استمرارية علاقة التواصلية بالجمهور، وذلك من خلال الإبهار والسيطرة على الذهنية. وفعل الاستمرارية مرتبط باحتكار المرئي لنسق تشكيل الوعي الجاهز، بما يضمن استمرارية حصوله على الثقة المعطاة من المتلقين، والتي غالبا ما تكون لمرة واحدة لا يعود الجمهور لاختبارها، لذلك أمكن

---

[65] - فيشر، جلين. **دور الثقافة والذهن في العلاقات الدولية**. مصدر سابق. ص 21.

[66] - تشومسكي، ناعوم.(2003). **السيطرة على وسائل الإعلام**. ترجمة: أميمة عبد اللطيف. ط1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ص20

القول بأن فصلا جديدا من فصول السيطرة بدأ فعليا منذ أن اتخذت البشرية المرئي قسرا، مصدرا رئيسيا من مصادر المعرفة.

" **إن التفكير يعني قول لا، وسواء شاء التلفزيون أو رفض، فإنه يقول للعالم نعم كما هو يسير**"([67])

المطلب الأول: ديمقراطية المرئي..." فن تصنيع الإجماع"

إذا لم يكن للتلفزيون رسالة خارج ذاته، ولم يعد هنالك من منافس لتشكيل الرأي العام بحجم التلفزيون، وإذا كان التحدث إلى المرئي يعتمد على آليات محددة مسبقا، تمارس سلطة على المتحدث والجمهور في آن واحد، فأين هي ديمقراطية مجتمع التلفزة؟

" ديمقراطية الإجماع تتطلب إبقاء الناس منقسمين ومنشغلين ومنفتنين، كي يبقوا مشاهدين للحدث، ولا يتحولوا إلى مشاركين فيه"([68]).

إبقاء الناس منقسمين ومنشغلين، عائد إلى تعدد الخطابات المرئية، وسعي كل منها لتصوير ذاته عبر تكريس أحداث ووقائع لذاته. أما إقصاء الجمهور عن مشاركة المرئي في تشكيل التصورات، مرده إلى امتلاك المرئي لآليات وأدوات توجيه الرأي العام، كون عملية الاختيار في المرئي اختيار من متعدد، بغية توجيه المتعدد نحو خيار المرئي، وما يكرسه من أحكام وتصورات.

لا يعني الكلام السابق تجاوز البنية المشكلة للخطاب النهائي للمرئي، فتحالفاته مع السياسي والاقتصادي هي ضمن مخرجات الخطاب، لذلك يمكن للمرئي حمل رسائل خارج ذاته، ولكنها تدعيم لحضوره وتكريس لهيمنته وسلطته.

---

[67] - دوبريه، ريجيس. **حياة الصورة وموتها**، مصدر سابق. ص 259.

[68] - تشومسكي، ناعوم.(2003). **السيطرة على وسائل الإعلام**. مصدر سابق. ص 12.

يتطلب الحديث عن ديمقراطية المرئي تذكرا ذاتيا سريعا لآليات التلاعب بالعقول السابقة الذكر، وربطها بالاختيارات داخل المرئي، والخيارات المتبقية المتاحة أمام المتلقي للاختيار، وفي النهاية تكون الصورة الجمعية تعبيرا عن " مرايا معاكسة"([69])، تمارس عمليات توجيه وحجب، عبر إخفاء أشياء عن طريق عرض أشياء أخرى، أي أن وجهة المرآة– الخطاب، هي ما يحكم طبيعة الصورة" العاكسة"، وليست " المنعكسة".

كما أن التجديد المتواصل في صور المرئي، يدفع المشاهد قصرا لمتابعة صوره، وكل صورة تحدث إنشدادا أكثر من سابقاتها، فالصورة تحمل الموقف والفعل، وتحرم المتلقي من الحركة جسديا وذهنيا، لذلك يعتبر " ماكلوهن" التلفزيون نسقا تواصليا باردا، يحدث فعلته في الذهنية دون استفزاز أو إثارة للمتلقي من جانب السلوك أو الفعل، حيث تصورات المرئي جاهزة ومتسلسلة في طريقها إلى الذهنية دون عوائق، على عكس الإذاعة التي يعتبرها نسقا اتصاليا ساخنا، فهي وسيلة تهييج الأعصاب، ويترتب عليها الفعل ورد الفعل، على العكس من ذلك" التلفزيون لا يمكن أن يلعب دور الخلفية، إنه يشغلك، وعليك أن تكون معه"([70]).

سلب حرية المتلقي في الاختيار، سببه خطاب المرئي ذاته، وقبله خطاب التقنية، واجتماعهما معا يعني تشكيل ديمقراطية إرشادية تأخذ على عاتقها توجيه الرأي العام، دون تكليف أو استئذان من أحد، والتوجيه ليس في المعلومة فقط، وإنما أيضا في طريقة التفكير، وهذا ما يسميه بورديو بـ" الثورات الرمزية"([71]) في التلفزيون.

علميا وبعيدا عن مضمون رسالة المرئي، فإن أجزاء من الدماغ تتأثر بصورة جوهرية بسبب التعرض المنظم للتجربة التلفزيونية، خصوصا في تعامل الدماغ مع المادة اللفظية وغير اللفظية([72]). أي أن انتظام التعرض لصور المرئي يضعف شيئا فشيئا القدرات التحليلية الذاتية، كون كل مرئية تحمل وعيا وحكما جاهزا للعقلنة،

---

[69] - أنظر. **التلفزيون خطر على الديمقراطية**.(2005). مقالات مختارة. ترجمة ودراسة: مجدي عبد الحافظ. القاهرة: المشروع القومي للترجمة. ط.1 . ص 35.

[70] - Mcluhan, Marshall.(1964). **Understanding Media**. New York :McGraw-hill. P. 311-312.

[71] - أنظر بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**، مصدر سابق.

[72] - وين، ماري. (1999). **الأطفال والإدمان التلفزيوني**. ترجمة: عبد الفتاح ألصبحي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 60

ومهما كانت نوعية المرئيات، فإنها تفرض منطقها الخاص على النشاط العصبي للدماغ، ويكون على حساب النشاط العقلي،... وتشترك ثقافة الصورة وثقافة الأصولية كلاهما، في تعطيل العقل والنقد.([73])

الصورة رؤية وتصور للعالم، كما أنها تاريخ آني مجزوء للأحداث، فالتاريخ في المرئيات لا يتعدى لحظات أو ساعات، وهو زمن العرض، واستغلال الأحداث التاريخية وإعادة تمرئيها، هو خدمة لتاريخ الخطاب الذي لا تاريخ مرئي دونه، وعلى العكس من تاريخ الفعل الآني، فإن تاريخ الخطاب المرئي ليس تاريخ بالمعنى التقليدي بقدر ما هو تاريخ متواصل، ويكتب ذاته من جديد، ولا يسمح لأحد- عبر سلطاته- بكتابة تأريخ للأحداث، كون فعل التأريخ هو تاريخه هو.

وفهم علاقة المرئي بالأزمنة والأمكنة، وما يتوسطهما من أحداث وتشكيلات، يقود إلى استنتاجات هامة حول فعل التمرئي المشكل، ولننظر مثلا إلى صورة صدام حسين في وسائل الإعلام الأمريكية قبل غزو الكويت وبعده، حيث الاختلاف الكبير في أسطرته من قائد وحليف صديق، إلى وحش على وشك أن يغزو العالم([74])، ومقارنة ذلك في مرئية الجزيرة مثلا بـ شخصيه" ميشيل عون"، زعيم التيار الوطني الحر في لبنان، قبل انضمامه إلى فريق المعارضة وبعده، حيث تبدو الصورة مختلفة تماما، والمهم النظر إلى جمهور المرئي الذي يستهدفه خطاب المؤسسة الإعلامية، وقياس مدى قدرته على إدراك التحولات الخطابية، سواء الثورات الخطابية الكبرى أم الوجبات الأيديولوجية المخففة يوميا.

" المشكلة الحقيقية في التلفزيون، هي التشفير الديمقراطي لوسائل التعبير"([75])، بمعنى أن التلفزيون يتيح المجال للمشاركة وحرية التعليق على مرئياته، انطلاقا من تمرئيه لها، مما يقلل خيارات الرؤية وخيارات التعليق على ما هو مرئي خلاله.

" **الرؤية تحصل أو تتحقق من وسط الأشياء، تتحقق هناك حيث يبدأ مرئي في أن يرى، ويصبح مرئيا لنفسه وبواسطة رؤية كل الأشياء**"([76]).

---

[73] - حجازي، مصطفى. **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية**، مصدر سابق. ص 63+ص 13.

[74] - للمزيد حول علاقة المرئي بالسياسي والاقتصادي تاريخيا، أنظر، تشومبسكي. **السيطرة على وسائل الإعلام**، مصدر سابق.

[75] - ألول، جاك. **خدعة التكنولوجيا**، مصدر سابق.ص 469

[76] - ميرلو- بونتي، موريس.(1989). **العين والعقل**. ترجمة وتقديم: د. حبيب الشاروني. الإسكندرية: منشأة المعارف. ص 19+20.

لا تنحصر تأثيرات الجانب التطبيقي لفعل التمرئي على جمهور الوسيلة الإعلامية فحسب، بل هي بشكل عـــام ممارسة توجيه وتقديم" وعي معلب" تجاه الأحداث الدولية، بحيث يخدم التقديم النظري على مدى الصـــفحات السابقة، عملية تحليل الذهنية الدولية، وكيفية تشكيل النظرة باتجاه الآخر كحدث حاصل، وانعكاساته في وسائل الإعلام كصيرورة تشكل.

في الخطاب الدولي– إعلاميا وسياسيا، هنالك فرق بين تحقيـــق الانجـــازات الآنيـــة، وبـــين فعـــل المرئـــي واستراتيجياته للسيطرة على الذهنية بشكل متجدد، واستعراض سريع لقضية الرهائن الأمريكيين في إيـــران، إبان قيام الثورة الإيرانية عام 1979، يتبين أن أيديولوجيا الثورة الإيرانية كانت نسقا اتصاليا ساخنا، ضـــمنت الفعل الآني، ورغم سعي الإيرانيين لاستخدام المرئي في تصوير الرهائن الأمريكيين وبث هذه الصور للشعب الأمريكي، إلا أن وسائل الإعلام الأمريكية، استغلت الحادثة لتجديد انتماء رعاياها وتوجيههم، بحجة مســـاس الحدث بهويتهم وقصديتهم الجمعية، والغريب في الحادث" أن فشلا أمريكيا في إدارة الشؤون الدولية تحول إلى تكريم وترحيب بالضحايا، ومناسبة لتجديد مشاعر الوفاء الوطني"([77])، وهنا تكمن خطورة المرئي.

الملاحظ من المثال السابق، أن ما عجز السياسي عن تحقيقه، نفذه الإعلامي، والمرئي على وجه الخصوص، ويبقى السؤال عن قدرة خطاب المرئي العربي في التكامل مع دور السياسي، وتحديدا قناة " الجزيرة"– كحالة دراسية .

[77] - حادثة الرهائن الأمريكيين في إيران بدأت حينما أحتل مجموعة من الطلبة الإيرانيين السفارة الأمريكية في طهران بعيد انهيار نظام الشاه عام1979، واستمر احتجاز الرهائن مدة تزيد عن العام كلعبة إعلامية وسياسية بين الولايات المتحدة وإيران.
أنظر جلين فيشر.(2004). **دور الثقافة والإدراك في العلاقات الدولية**. مصدر سابق. ص 24-30.
ينظر أيضا. إدوارد سعيد.(1983). **تغطية الإسلام**. ترجمة: سميرة خوري. ط1. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية

المطلب الثاني: المرئي والتقنية ... خطاب إيديولوجي

تقوم الايدولوجيات في تصوراتها على أفكار وأفكار مضادة تعكس منظومة الثواب والعقاب فيها، فإذا كان السلوك هو المستهدف الأخير في عملية العقلنة، إلا أنه الشاهد الحاضر الغائب على عملية التصنيف وقياس حجم الثواب والعقاب، بمعنى أن التمييز الأولي بين ما هو داخل منظومة الخطاب وما هو خارجه يتم عبر النظرة " الرؤية "vision.

كما يعكس السلوك المؤدلج حالة من الاتزان المستمر، مصدرها ثبات الذهنية على صور ومرئيات ذاتية وأخروية تدور جميعها حول ماحدد سابقا في منظومة الثواب والعقاب، وهي صور طوباوية كونها تنظر في تصورات مرئية لما كان، وما يمكن أن يكون.

في طوباوية المرئي يبدو الأمر مختلفا عما سبق من أيديولوجيات؛ حيث لا تحديد علني لمنظومة الثواب والعقاب، وبالتالي ليس هنالك خطوط حمراء أو خضراء على سلوك المتلقي وقبله ذهنيته مراعاتها، فالخطوط أولا غير مرئية، ومتغيرة ثانيا ومتقلبة بتناسخ صور المرئي ثالثا؛ اعتمادا على صيرورة تمرئيه للأحداث.

يدعي المرئي أن ليس لديه محرمات في الرؤية، وأن مرئياته هي كل ما وقع. فتصويره لما وقع يحمل بذور ما سيقع، وربما يختلف ما سيقع حال تصويره عما كان متوقعا فيما عرضه المرئي سابقا، والسبب كامن في أن صيرورة رؤية المرئي تنعكس بشكل غير مادي على تمرئيه لما يقع وسيقع.

يحدث المرئي فعله في الذهنية، ويحقق تأثير تمرئيه لما حدث وما سيحدث، اعتمادا على ما توفره التقنية من آليات تفوق آليات العقل البشري في تشكيل الصور" تذهنها"، مما يعني أيضا أن خطورة المرئي تفوق خطورة الطوباويات الأخرى، بل ويشكل خطرا عليها من حيث انتهاك مرئياته لخطوطها الحمراء بشكل غير واع من جانب المتلقي .

ويتفوق المرئي عبر تقنياته على الطوباويات اللاهوتية في تشكيل المجازات الصورية، من منطلق أن الصور المجازية اللاهوتية غير متجددة وضعيفة تقنيا، أما في مملكة تقنية اللاهوت المرئي، فالصورة متجددة متعالية في صيرورة متاح لها كل ما جد من خيارات التقنية، لذلك طوباوية المرئي أخطر بكثير مما سبقها من طوباويات.

القصد من كل ما سبق تأكيد أن المرئي في عرض مرئياته" يقدم لنا ما نريد أن نشاهده، إذ يفرض علينا قوالبه كما يحدد لنا زوايا الرؤيا... يتيح التلفزيون نافذة مفتوحة على العالم، لكنه لا يسمح لنا برؤية ما يخرج عن إطارها "([78]).

خطورة المرئي تتمثل في تحطيمه للصور الذهنية بشكل غير عادي ودون استئذان، مما يعني أن سلطته أكبر من أيقونة المقدس حتى في حضورها كتجسيد مادي– رجل الدين.

إن المرئي يوجه بشكل مستمر بوصلة تأثيره نحو منطقة محددة في الرؤية، لكنه في ذات الوقت مدرك لخطورة جمود صور الطوباويات وعدم تجددها، ليمارس عملية تضليل واسعة عبر صيرورة عرضه للمحيط الدائري لمنطقة الرؤية، والتي تصبح ذاتها متغيرة طبقا لتغير مصالح المرئي في التمرئي، كما تم إيضاح ذلك مسبقا، وعبر إستراتيجية التجديد في عرض الصور، يصبح مجال التفكير في الواقع انطلاقا من مجموعة صور المرئي، وهذا يعني أن الواقع أصبح هو حدود الرؤية.

أي أن أيه محاولات من خطاب مغاير لتقديم صور أكثر واقعية من مرئيات الخطاب الأول، لن ينجح في تعميمها، لأن إستراتيجية الخطاب وعمر التضليل يصبحان الحكم، ولأن تاريخ الحدث بآنية عرضه هو تاريخ ضلالة المتلقي ووقوعه في شرك صور المرئي.

تتطلب عملية البحث في صناعة المرئيات للكشف عن الكيفية التي يصبح فيها الواقع هو حدود الرؤية، تحليلا للعلاقة بين التقنية والمرئي، على افتراض أن لكل منهما رسالة مستقلة من منطلق وجودي خالص من جانب،

---

[78] - الكردي، محمد. **مع ريجيس دوبريه في كتابه: حياة الصورة وموتها**. مجلة فصول ع 62، مصدر سابق، ص 249.
أنظر أيضا: دوبريه، ريجيس. **حياة الصورة وموتها**، مصدر سابق، ص 252.

ورسالة جمعية من منطلق تحميل القالب الوجودي برسالة التقنية ورسالة الخطاب من جانب آخـر، ليصـبح الواقع هو رسالة التقنية أولا، ورسالة المرئي ثانيا، ورسالة الخطاب ثالثا.

وقد بلورت التقنيات لذاتها عملا اجتماعيا منظما([79])، ويبلور التلفزيون واقعا لذاته، فيما يستغل أحد الخطابات إمكانيات التقنية والوسيلة المرئية لفرض الهيمنة، وبالتالي فإن الخطاب المرئي الأكثر انتشارا لا بد وأن يكون هو الخطاب المهيمن، أما الخطابات الأخرى فهي إما موجودة ومؤثرة بشكل أقل لأنهـا تسترشـد بالخطـاب المهيمن، أو أنها غير موجودة لأنها غير مؤثرة، وليس دقيقا أن نعزو السبب لضعفها من منطلق أنه مهـيمن عليها، بل الأولى القول أنها لا تمتلك الأدوات الكافية للهيمنة على المتلقين انطلاقا من حجم سـيطرتها علـى واقع ما وتشكيلها له.

واعتبار التقنية كرسالة أولى يتأكد من كونها" ليست شيئا محايدا، كما أنها ليست مجرد تطبيق عملي لممارسة نظرية هي العلم. إنها منطق أو وضع أو موقف فلسفي وأيديولوجي"([80]).

وبما أن التقنية ترتبط بالسرعة والحركة، فإن تسارع التطور التقني يوفر أدوات جديدة للمرئـي ليزيـد مـن سيطرته بشكل أكثر خفاء مما سبق، وكلما وفرت التقنية أدوات جديدة للمرئـي وخطابـه زاد مـن تسـطيح رسالته، وبالتالي تقديمه صور ذهنية مصنعة.

الفارق الرئيسي بين الصور الذهنية المصنعة والصور العيانية، هو أن الثانية تمتاز بأنها تفتح الأفـق للتفكيـر والتأمل، أما الصور الجاهزة فهي تحمل تأملات من قام بتصويرها، والمصور وحدة من يدرك العالم، ويجعلنا ندرك العالم بنظراته([81]).

---

[79] - look to Wacquant, Loic. **Pieer Bourdieu**. University of California-Berkeley. Electronic version. http://sociology.berkeley.edu/faculty/wacquant/wacquant_pdf/PIERREBOURDIEU-KEYTHINK-REV2006.pdf

[80] - يافوت، سالم. **هابرماس ومسألة التقنية**. مصدر سابق. ص 44.

[81] - ميرلوبونتي، موريس. **العين والعقل**، مصدر سابق. ص 7+32

والصور المصنعة نتاج للتقنية التي غدت شكلا من أشكال الحقيقة وكيفية من كيفيات الوجـــود([82])، وبفضـــل الاعتماد الواسع على التقنية لم يعد يسمع صدى للأصوات التي كانت تنادي بموضوعية التقنية، كونها ليســـت شرا في ذاتها، كما كان يعتبرها ماركس، وأصبح النقاش حولها يدور في ســـياق مـــا أســـمي بـــــ " زمـــان الانفصال" و" زمان الاتصال".

بات واضحا مما سبق أن التقنية انفصالية من حيث تأثيرها على علاقة المتلقي بذاته وتمرئيه للوقائع والأشياء، واتصالية من حيث علاقتها بالمتلقي وخدمتها لذاتها، وليس لذاته أو لذات الحدث، ومن ذلـــك دور التلفزيـــون الذي بفضل التقنية ومنتجاتها تحول إلى فضاء استراتيجي وافتراضي للحدث، وأصبح آلة للتصفية، حيث تـــتم إبادة الموضوع الواقعي لصالح موضوع افتراضي في قبضة الوسيط الإعلامي([83]).

إن تقنيات المرئي دفعت بالصورة إلى درجة أعلى من المصداقية، وتتعزز مصداقيتها كلما نســـجت الصـــورة علاقة مع صور افتراضية أخرى، صور باتت هي الواقعية مقارنة بالعالم الافتراضي الحقيقي الســـابق لهـــا، عبر استغلال ذكي للأحداث، بدأ بالقطائع المعرفية المخففة التي تنزع عن الواقع واقعيته من خلال التشـــكيك في أحداثه بحجة كشف ما لم يكشف، وانتهاء بالوجبات الأيديولوجية اليومية، التي لـــم تعـــد تبهـــر تغطيـــة الأحداث وعرضها بقدر ما أصبحت عناوين الأحداث هي سطح المادة الإعلامية، فيما العمـــق هـــو الواقـــع الافتراضي الجديد، والحقيقة الجديدة التي كشفت زيف ما وقع من أحداث.

---

[82] - بنعبد العالي، عبد السلام.(2000). **الفكر في عصر التقنية**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق. ص15.

[83] - بودريار، جان.(2006). **الفكر الجذري: أطروحة موت الواقع**. ترجمة: منير الحجوجي وأحمد القصوار ط1. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر. ص 46.

الفصل الثاني: خطاب الجزيرة ودبلوماسية قطر

تمهيد: الفضاء الإعلامي العربي والسلطات الرمزية

المبحث الأول:" الجزيرة" و قطر: جدلية الرأي والرأي الآخر

المطلب الأول: قطر والتاريخ الجديد

المطلب الثاني: التخطيط القطري لـــ" الجزيرة"

المطلب الثالث:" الجزيرة" الناطقة" بالعربية"

و" الانجليزية"

المبحث الثاني:" الجزيرة" والتفوق القطري على السعودية

المبحث الثالث:" الجزيرة" وإعادة صياغة العلاقات القطرية البحرينية

المبحث الرابع:" الجزيرة" والحرب على أفغانستان

المبحث الخامس: العلاقات القطرية الأمريكية في عيون" الجزيرة"

المبحث السادس:" الجزيرة" و "القرضاوي": سلطة خطاب الميديولوجيا

الخاتمة

تمهيد: الفضاء الإعلامي العربي والسلطات الرمزية

أتاح التطور العلمي والتقني للسلطات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية أدوات جديدة، لتحقيق الهيمنة سواء على الصعيد المادي أم الذهني، وفي مختلف الحقول والاستخدامات، خاصة في تعزيز الإجـراءات القمعيـة للأنظمة الاجتماعية سواء باعتبارها مداخلا لقواعد قانونية أو تعبيرا عن ممارسات تقليديـة، والتـي يمكـن وصف بعضها ترجمة لأنظمة المراقبة والعقاب التي تحدث عنها" ميشيل فوكو" خاصة في أعماله.

الجديد في فعل منظومات التسلط اكتسابها حلة جديدة أكثر اختفاءً وتضليلا بفضل التقنية، التي من خلالها يـتم تزويد ذهنية المتلقي للوسائط الإعلامية بشحنات مخففة من الوجبات الأيدلوجية المعدة مسبقا، التـي يمكنهـا التأقلم مع الأنساق الذهنية المولدة في الذهنية جمعية أكانت أم فردية، والقابلة للنقل والتوليد مجددا، وهـو مـا يمكن حصره بما أصطلح" بورديو" على تسميته بالـ Habitus([84]) ، إلا أن خطورة الاسـتعدادات المسـبقة لانساق" الوعي"، تكمن في خضوعها غير الواعي لرسائل الوسائط الإعلامية، التي هي جـزء مـن الرسـالة وليست وسيطا فحسب، مما يعني أن دراستها كرسائل ودراسة محتواها كـ" نموذج وعي ثـان" يقـود إلـى السياق المحدد الذي وضعه" دوبريه" في مؤلفه" علم الإعلام العام: الميديولوجيا"، الأمر الـذي يـنعكس فـي المحصلة النهاية على عملية تحليل الخطاب الإعلامي من منطلق تبيان حجم وطبيعة وكيفية ممارسة الخطاب للهيمنة الفكرية الرمزية عبر فعل المرئي وتقنياته، اعتمادا على سلسلة من عمليات الإخضاع، تستهدف إخفاء الأصل ليبقى التصور هو الأقوى والسائد، بعد تغييب ما يمكن اعتباره الواقع أو السياق العام للحدث.

إن الحديث عن جدلية الصورة والأصل، السطح والعمق، التشكيل والإخفاء، يقود للحديث عـن نـوعين مـن رسائل الوسائط المرئية العربية، من حيث طبيعة عرض الثنائيات، وأولوياتها: رسـائل ذات طـابع التسـلية والترفيه، والرسائل المؤدلجة.

---

[84] - الـ **Habitus** يعني:" انساق من الاستعدادات المستدامة والقابلة للنقل، وهي بنى مبنية مسبقا وقابلة للاشتغال بوصفها مبادئ مولدة ومنظمة لممارسات وتمثلات يمكن لها موضوعيا، أن تتأقلم مع هدفها، من دون افتراض رؤية واعية للغايات والتحكم الصريح في العمليات الضرورية من أجل بلوغها.
أنظر. كوش، دنيس.(2007). **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة: منير السعيداني. ط1.بيروت: المنظمة العربية للترجمة ص 142.
أنظر أيضا، بورديو، بيير.(2001). **السيطرة الذكورية**. ترجمة: أحمد حسان.ط1. القاهرة: دار العالم الثالث. ص 13+38.

في سياق رسائل التسلية والترفيه بدأ الإعلام العربي بالبث الفضائي عبر قنوات MBC, LBC, بداية التسعينيات، وإلى جانب السلع الاستهلاكية عكست هذه القنوات جزءا من الخطاب السياسي والاجتماعي والثقافي الذي تتشكل منه بنية القناة، على عكس البنية الاجتماعية للبلد الذي تبث منه القناة، مما تسبب في إحداث صدمة واغتراب بين واقع الصورة، وواقع الـ Habitus، ومثال ذلك، عدم التوافق بين خطاب قناة MBC، وطبيعة البنية الاجتماعية والثقافية والأيدلوجية للمجتمع السعودي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن القناة مملوكة من القطاع الخاص.

أما في سياق الرسائل الإعلامية المؤدلجة، فإنه يمكن تصنيفها إلى نوعين من حيث التقنية– كيفية الإخبار: الشكل الأول: القنوات الفضائية ذات الطابع الاجتماعي الوعظي، ويندرج ضمنها الفضائيات الدينية مثل قنوات: الرسالة وإقرأ..الخ، التي يرتبط بعضها بقنوات التسلية، مثل قناة الرسالة التي هي ضمن باقة شبكة روتانا المملوكة للأمير السعودي الوليد بن طلال، والتي هدفها عرض التنوع بهدف تحقيق الاحتكار والهيمنة على كافة مناحي الحياة الاجتماعية، بغض النظر عن هويتها ورسالتها الأخلاقية.

الشكل الثاني: ترتيب خفي ومعمق لشبكة العلاقات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية في قالب واحد وعلى شاشة واحدة، بحيث أصبح هذا النموذج مرجعا ومحجا للمتلقي عبر فعل الفعل النوعي والمغايرة، وهو ما تمثل فعليا بظاهرة الجزيرة، ونسبيا قناتي أبو ظبي والعربية.

ما يميز النماذج الإعلامية الجديدة، محاولتها اختبار خلطات كبيرة يقدم فيها تنوع في مدخلات العرض وتشكيل الرسالة، وفعليا تنافست قناة ابوظبي مع الجزيرة في هذا الصنف من الخطابات حتى عام 2002 تقريبا، إلا أن قناة ابوظبي اختفت فجأة من المنافسة، ويرجع مدير قناة الجزيرة في عمان ياسر أبو هلاله سبب التراجع إلى وجود " قرار سياسي بوأد القناة"([85]).

[85] - ياسر أبوهلالة، مدير مكتب الجزيرة في الأردن ضمن مقابلة أجراها الباحث بتاريخ: 5-2-2008.

بعيد اختفاء قناة ابوظبي من منافسة الجزيرة، ظهرت قناة العربية عام 2003، إلا أنها حسب استطلاعات الرأي لم تحقق تقدما على الجزيرة من حيث جماهيرية المشاهدة([86])، والتفسير الأولي للتفاوت بين جماهيرية كل من القناتين لا بد وأن يعكس اختلافا في كيفية تشكيل عناصر الخطاب الفعلي لكل منهما، أو بالأحرى كيفية وضع الأجندة، والقالب الأنسب للتعبير عن البنية الجمعية.

إلا أن استمرارية فعالية وتأثير خطاب الجزيرة يقود إلى البحث في طبيعة البنية المشكلة للقناة، والطاقة الهائلة التي تولدها، الأمر الذي يدفعها بقوة للاستمرارية في تشكيل الوعي وممارسة سلطة فرض" عنف الرموز" على الجمهور.

إن النقطة المركزية التي سيجيب عليها الفصل الثاني تنحصر في التساؤلين التاليين: كيف تستطيع قناة الجزيرة ودولة قطر الجمع بين المتناقضات؟ وهل فعلا الإجابة الجدلية تكون من خلال معرفة تنسيب كل منهما للآخر: هل قطر قناة الدولة، أم دولة القناة؟

---

[86] - تشير استطلاعات الرأي إلى أن قناة الجزيرة هي أكثر قناة مشاهدة من قبل الجمهور العربي، فهي تشاهد بنسبة 62% في الأردن، و44% في لبنان والسعودية، و46% في الإمارات العربية المتحدة، أما قناة العربية ، فهي مشاهدة بنسبة19% في الإمارات العربية، أما في غالبية الدول العربية فكانت النسبة من 7-8 % ، وبخصوص قناة أبو ظبي، فهي تشاهد بنسبة 22% في السعودية، و17% في الإمارات العربية المتحدة. إلا أنه من الملاحظ أن هذه الاستطلاعات تعود لعام 2004، ومؤكد أن الرأي العام متقلب، مما يعني أن الإحصائيات السابقة قد تكون مختلفة الآن.
أنظر. MARC LYNCH.(2006).**voice of the new Arab public: IRAQ, ALJAZEERA and Middle East policy Today** .Ibid. P. 61.

المبحث الأول:" الجزيرة" و قطر: جدلية الرأي والرأي الآخر

إن دراسة جدلية العلاقة بين الجزيرة وقطر تتطلب تحليلا معمقا للظروف التي أوجدت التحديث القطري وانقلاب حمد بن خليفة على والده، إضافة إلى ما ترتب على هذا التحديث من شبكات المصلحة والعلاقات المحلية والدولية التي ارتبط النظام القطري الجديد بها، ومن ثم دور قناة الجزيرة في إثارة هذه العلاقات سواء عبر إظهارها أو إخفائها.

المطلب الأول:" قطر" والتاريخ الجديد

تولى حمد بن جاسم آل ثاني عام 1995 الحكم في قطر بعد انقلاب أبيض، عبر فيه الأمير الجديد عن امتعاضه من دبلوماسية والده غير النشطة، خصوصا في النزاعات الحدودية مع البحرين والسعودية، إلا أن هذه البلدان وغيرها وقفت إلى جانب الأمير الأب خليفة بن حمد، تعبيرا عن رفضهم الاعتراف بالنظام الجديد.

وأثار عدم اعتراف الدول العربية بالانقلاب باستثناء الأردن غضب الأمير حمد، الذي اتهم الدول العربية التي استقبلت والده بالضلوع في التخطيط للمحاولة الانقلابية على نظامه الجديد بعد حوالي عام من توليه السلطة([87])، وأدى التحقيق في المحاولة الانقلابية الفاشلة التي نفذها أفراد من الجيش والشرطة، بالتعاون مع أفراد من العائلة المالكة إلى إعدام ابن عم الأمير إضافة إلى 18 آخرين([88]).

وتتلخص الأسباب التي دفعت الأمير حمد لتنفيذ مشروع إصلاحي إلى ثلاثة نقاط: أولا: حماسته ورغبته في الخروج من ظلال المملكة العربية السعودية كونها المسيطر على المشهد العربي، إضافة إلى مصر، ثانيا: الدرس الذي تلقاه الأمير من تجربة البحرين الكارثية والمتمثلة في الانتفاضة الشعبية خلال الأعوام 94-99، وثالثا: بين رغبة الخروج من ظلال السعودية وعدم المرور بالتجربة البحرينية، توسل الأمير للولايات المتحدة للمساعدة، والاستجابة كانت بقبول الأمير حمد للنموذج الأمريكي المطروح للديمقراطية([89]).

---

87 - ألعفيفي، فتحي. **" الديمقراطية والليبرالية في الممارسة السياسية لدولة قطر"**. المستقبل العربي. مج 26. ع 292. ص 48.

88 - عبد الكريم سيف، احمد.(2004). **" قوى المعارضة السياسية وأنماط علاقاتها بالنظم الحاكمة"**. من كتاب: الخليج في عام 2003 دبي: مركز الخليج للأبحاث. ص 78.

89 - Da Lage, Oliver.(2005) **The politics of Aljazeera or the Diplomacy of Doha**. From book: The Aljazeera Phenomenon. Ibid. p. 62.

وأمام المشروع التحديثي القطري، يمكن وصف بوصلة الدبلوماسية الجديدة في اتجاهين، الأول: تحالف متين مع الولايات المتحدة الأمريكية وصلت ظلاله إلى وضع لا يرضي بعض الدول العربية التي لها علاقات تاريخية مع الولايات المتحدة، ولدرجة أن صرح وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم في أكتوبر2002، أنه ليس أمام الدول العربية سوى التوسل للولايات المتحدة لجلب تعاطفها وتعاطيها مع الأماني العربية، أما الاتجاه الثاني: فيعكس الخلافات القطرية مع الدول العربية والتي وصلت في بعض حالاتها إلى سحب السفراء وحتى التهديد بمسح قطر عن الخارطة.

ففي الخلافات المصرية القطرية على سبيل الذكر، تعتبر الدبلوماسية القطرية أن نزاعها مع مصر ممتد عبر حقب تاريخية وتحديدا منذ عام 1965، حينما توسطت مصر بين قطر والسعودية في نزاعهما الحدودي، وتعهدت في وساطتها بمتابعة ترسيم الحدود بين الطرفين خلال عام من الاتفاق، إلا أن ذلك لم يحدث، مما اعتبرته قطرا انحيازا مصريا للسعودية، وجاء التحرك القطري عبر قرار الأمير تسريح 20 ألف مصري يعملون في قطر، ردا على رفض مصر حضور المؤتمر الاقتصادي في الدوحة عام 1997، إضافة إلى إعادة إحياء موضوع الوساطة، وقضية عدم اعتراف مصر بالانقلاب([90]).

إن محاولة تأريخ بدايات ظهور قطر على الخريطة الإقليمية والدولية، يقود للحديث عن دبلوماسية قطرية باتجاهين: الاتجاه الأول، يتمثل في الدور الإقليمي والدولي الذي أوجدته قطر عبر استضافتها جملة من النشاطات والفعاليات التي رافقت إطلاق قناة الجزيرة، خصوصا عقد المؤتمر الاقتصادي الأسيوي الأفريقي في الدوحة عام 1997، واستضافة قادة وممثلي المؤتمر الإسلامي عام 2000، مع إيواء دائم لرجال دين معارضين لبلادهم على رأسهم الشيخ يوسف القرضاوي– مصري الجنسية، إضافة إلى انعقاد مؤتمر منظمة التجارة العالمية عام 2001 في الدوحة([91]).

---

[90]- ألعفيفي، فتحي. **" الديمقراطية والليبرالية في الممارسة السياسية لدولة قطر"**. مصدر سابق، ص 48+49.

[91]- Mohammed ,el-Nawawy. Adel Iskander.(2003). **ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed The Middle East.** Cambridge: Perseus Book Group**.** P. 72

أما الاتجاه الثاني، عبر عنه الأمير حمد في جملة من التحديثات التي أطلقت بعض الحريات، منها: الممارسة الديمقراطية المقيدة، فرغم إقرار الدستور القطري عام 2003 في استفتاء شعبي، إلا أن صلاحيات الأمير تفوق صلاحيات الهيئة التشريعية العليا الممثلة في مجلس الشورى، بحيث له الحق في تعيين ثلث أعضاء المجلس المكون من 45 عضوا، ولا تتوقف صلاحياته عند تعليق العمل بالقانون في حالات الضرورة، فهو قادر على تعطيل أي مشروع قانون يتبناه المجلس بدون تحديد المدة، بدواعي المصلحة العليا للبلاد. ([92])

ورغم الانطباع الايجابي لمشروع حمد التحديثي كإجراء الانتخابات البلدية والسماح للنساء بالمشاركة في الانتخابات، إلا أن هنالك وجوه سلبية منها: تعديل طريقة انتخاب أعضاء المجلس الاستشاري والمكون من 20 عضوا من الانتخاب إلى التعيين، إضافة إلى أن مجمل التحديثات لم تمس السلطات العليا للبلاد أو رأس الهرم السياسي، ومن الواضح أن الأمير عزز من وجوده وسلطاته بشكل أكبر مما كان متاحا قبل انقلابه على والده.

وعلى صعيد الإعلام ، فإن إلغاء قانون المطبوعات والنشر لا يعني " الرأي والرأي الأخر" في وسائل الإعلام القطرية، وتمارس هذه المؤسسات الرقابة الذاتية، ومما يؤكد ذلك عزوفها عن نقد الأمير أو الأسرة الحاكمة أو الحكومة.

أما بخصوص الجزيرة، ورغم الادعاءات باستقلاليتها، إلا أنها لا تنتقد الشأن الداخلي القطري، ولا تستضيف معارضين للنظام الحاكم، ولا تتحدث عن تقارير حقوق الإنسان، أو حتى خلافات عائلة حمد وسياسة الدولة الخارجية، وحينما سئل مقدم برنامج الاتجاه المعاكس" فيصل القاسم" عن عدم تخصيص برنامج للحديث عن الانتخابات البرلمانية والبلدية القطرية عام 2001، قال:" سأفعل ذلك في الوقت المناسب"([93]).

ومن جملة محرمات النقد في وسائل الإعلام القطرية نقد قناة الجزيرة ذاتها، فقد سرحت السلطات القطرية مستشار المجلس الوطني للثقافة والفنون د. أحمد عبد الملك من منصبة لنقده قناة الجزيرة، في مقالة له في صحيفة الراية القطرية بتاريخ 5 آذار 2007 تحت عنوان" القطريون يحتاجون إلى كفيل للدخول إلى

---

92 - أنظر. عبد الكريم سيف، أحمد و محمد سالم المزروعي .(2004). **التطورات السياسية الداخلية في دول مجلس التعاون الخليجي**. من كتاب:" الخليج في عام "2003، مصدر سابق. ص 36+ ص 55.

93 - el-Nawawy, Mohammed. Adel Iskander.(2003). **ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed The Middle East.** Ibid. P.83+86.

جزرهم"، وقد تساءل عبد الملك عن سبب استبعاد القطريين من العمل في قناة الجزيرة، وكتب قائلا: القطريون مسموح لهم التجوال في جزرهم الطبيعية... لكننا نحتاج إلى كفيل عندما نريد دخول إحدى الجزر الجديدة التي أوجدتها الدولة منذ العام 1996"([94]).

أما عن إشكالية العلاقة بين قطر والجزيرة، يعتبر مأمون فندي أن الفرق بين الجزيرة وقطر يتمثل في أن الجزيرة الحقيقية هي" دولة قطر" حيث تحتضن القاعدة الأمريكية وتدعو إلى الإصلاح وتتميز بعلاقاتها مع إسرائيل، أما الجزيرة " الصورية" فهي التي تضم القرضاوي وأنصار ألزرقاوي، الجزيرة الحقيقية تساند الأمريكان، وجزيرة الصور تقاومهم، الجزيرة الحقيقية تصنع السلام مع إسرائيل، وجزيرة الصور تدعو إلى مقاطعة إسرائيل ومقاومتها([95]).

تتبع قوة التقييم السابق من التساؤلات البنيوية التي طرحها" فندي" في تحليل العلاقة الجدلية بين قطر وقناة الجزيرة، أي أنه وبفضل خيارات التقنية المتاحة للإعلام القطري، يتم تعتيم السطح، في مقابل تسطيح العمق؛ أي التعتيم على العلاقات القطرية الأمريكية والإسرائيلية، في مقابل تسطيح العمق عبر التركيز على العلاقات التاريخية لبعض الدول العربية مع إسرائيل وعرضها بشكل عاطفي، وتعزيز ذلك عبر استضافة دائمة في الدوحة رموز دينية واقتصادية وسياسية معارضة لبلدانها، تستخدمها قطر عبر خطاب الجزيرة لإخفاء سياساتها الفعلية، وقد عبر عن هذه الفكرة بشكل واضح رئيس مجلس إدارة القناة، الشيخ حمد بن ثامر، حينما قال:" يستضيف برنامج شاهد على العصر شخصيات ساهمت بشكل مباشر في صنع تاريخ بلدانها، أو كان لها تأثير ملموس على تاريخ الأمة العربية"([96])، وبالتأكيد من خلال هذا البرنامج وغيره تحدد قطر وعبر الجزيرة هذه الشخصيات التي توصف بتأثيرها ودورها، مما يعني بشكل واضح، أن الذكاء الاصطناعي القطري هو بحاجة إلى عمليات حفر وتفكيك لهذا الخطاب بغية محاولة تقديم فهم أكثر دقة لجدلية السطح والعمق، جدلية العرض والإخفاء، الحضور والغياب في قلب اللغة.

---

[94] - أنظر. عبد الملك، احمد. **" القطريون يحتاجون إلى كفيل للدخول إلى جزرهم"**. صحيفة الراية. 2007/2/5.
وأنظر أيضا سلمان، عمر. **" قطر" الجزيرة تنتقد، لكنها لا تقبل النقد**. مجلة الناقد، مصدر إلكتروني:
http://www.annaqed.com/ar/content/show.aspx?aid=15028

[95] - فندي، مأمون. **"الانفصام القطري بين رؤية الأمير وأجندة الجزيرة"**. صحيفة الشرق الأوسط 4 أكتوبر 2004.

[96] - الزيدي، مفيد.(2003) **قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي**، مصدر سابق. ص 54.

المطلب الثاني: التخطيط القطري لـــ" الجزيرة"

نوقشت سابقا الظروف التي أوجدت الدبلوماسية القطرية الجديدة، لكن السؤال الذي تبحـــث فيـــه الصـــفحات القادمة، هو درجة الارتباط وجدلية التبعية؛ من يتبع الآخر: الجزيرة تتبع قطر؟ أم قطر تتبع الجزيرة؟ وإلـــى أي درجة يمكن فهم التوافق بين النظام القطري وقناة الجزيرة؟

ترافق مع استعدادات السلطات القطرية لإطلاق الجزيرة، توقف قناة BBC العربية التابعة لشـــركة أوربـــت، والتي تبث عبر شركة" مدار" للاتصالات، منذ بدأ إطلاقها عام 1994 على القمر السعودي عربسات.

مثلث قناة الـــ BBC العربية في تغطياتها نموذجا نقديا يتعرض لقضايا جريئة لم تكن موجودة فـــي الإعـــلام العربي من قبل، سيما نقد الأنظمة الحاكمة، مما يعني أنها أسبق من قناة الجزيرة في تقديمها للنقاشات الناريـــة واللغة الموجهة على صيغة " لعبة اللغة على طريقة المصارعة".

في 20 نيسان عام 96 توقف بث القناة بعد أن عرضت فلما وثائقيا يظهر رجل أمن سعودي ينفذ حكم الإعدام بشاب، ويعتبر ذلك من المحرمات في القانون السعودي، إلا أنه سبق ذلك العـــرض أزمـــة أخـــرى بعـــد أن استضافت القناة المعارض السعودي" محمد ألمسعري"، انتقد فيها المملكة السعودية وطالبهـــا بإعـــادة الحكـــم الإسلامي وإخراج القوات الأمريكية من جزيرة العرب، وأثناء بث هذه المقابلة قطعت شركة " مـــدار" البـــث بشكل فجائي، وثارت الانتقادات على الشركة بتهمة ممارسة الرقابة على القناة([97]).

بعد توقف القناة، أصبح طاقمها الإعلامي بلا عمل، وعلى عجالة تداركت قطر وربما تدارك الطـــاقم رغبـــة قطر إطلاق قناة فضائية ليتم بعدها توقيع عقد عمل لـــ 120 صحافيا من طاقم الـــ BBC العربيـــة ســـابقا، ليصبحوا الطاقم المؤسس للجزيرة([98]).

وقد سبق توقيع العقود، تعيين الأمير حمد لجنة من ثلاثة أعضاء للتحضير لإطلاق الجزيـــرة هـــم: مستشـــار الأمير المالي محمد صحلاوي، ووكيل وزارة الإعلام حمد بن ثامر آل الثاني، إضافة إلى الصـــحفي عـــدنان

---

97 - look to: MYERS, JOANNE. an Interview with . Mohammed el-Nawawy, Adel Iskander about Their Books: **ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed the Middle East**. Electronic resource .Ibid

98 - Czuber Agnieszka**. Al-Jazeera – a mouthpiece for radicals or the Arabs' window on the world**? electronic version: / July 8. 2007 http://www.arabia.pl/english/content/view/399/16

الشريف([99])، والملاحظ من خلال هذه الأسماء وتحديدا وكيل وزارة الإعلام حمد بن ثامر، والـــذي أصـــبح رئيس مجلس إدارة الجزيرة، أن نوعية وحقيقة التحديثات القطرية هي بمثابة إعادة تمكين الأمير من السيطرة على الدبلوماسية القطرية بشكل أكثر فعالية مما كان إبان حكم والده، وللتدليل على ذلك، فـــإن إلغـــاء وزارة الإعلام وإلغاء قانون المطبوعات والنشر، كان في مقابل تشكيل هيئة الإذاعة والتلفزيون.، ورغم أن الدســـتور القديم يمنع التجريح والتعرض للأمير بأي شكل، فإن رقابة الهيئة حلت مكان الوزارة، وأصبح هنالك عقوبات تفرض على من ينتقد مؤسسات الأمير وليس الأمير كشخص، كما حدث مع مستشار المجلس لوطني للثقافـــة والفنون د. أحمد عبد الملك حينما انتقد القائمين على الجزيرة.

ولا يمكن تجاهل تصريح حمد بن ثامر آل ثاني، والذي حدد فيه مسار قناة الجزيرة بأنها ذاهبة في نفس اتجاه الدولة القطرية في تطورها، ومن الطبيعي أن يكون اتجاه الجزيرة من حيث اختيار المراسلين، أولئـــك الـــذين يأخذون بإستراتيجية قطر في هذه المرحلة([100]).

حدد حمد بن ثامر في تصريحاته بشكل واضح سياسة الجزيرة، وهو ما تؤكد عليه الدراسة بأن الجزيـــرة هي جزء من مشروع قطر، ولا يمكن فهم دورها غير ذلك، وليس صحيحا اعتبارهـــا مخالفـــة للسياســـة القطرية أو على النقيض منها، وهنا تتكامل الشواهد مع المدخل النظري للدراسة وتحديدا مقولات" بورديو" و" دوبريه" السابقة الذكر، ومنها مقولة الأول: :" لا يمكن نقد التلفزيون من على شاشته"، ولا مجال للشك بأن الجزيرة لا تتيح المجال لنقد قطر من على شاشتها، أو نقد العلاقات القطرية الأمريكية الإسرائيلية، أي المحور المهيمن، مما يعني انطباق ذلك على مقولة" دوبريه": " شاء التلفزيون أم أبا، فإنه لن يقول للعالم لا كما هو يسير"، فالهيمنة والسيطرة مستمرة ولكن الأهم نوعية وطبيعة الخطاب الذي تمرر خلاله الهيمنة.

---

[99] - الزيدي، مفيد. **قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي** ، مصدر سابق. ص 38.

[100] - Zayani ,Mohammad .(2005). **Aljazeera Phenomenon**. From The introduction. Ibid. P.12

وعودة لاستكمال سرد الأحداث وتحليها، فإن انتقاد الـــ BBC العربية السعودية سواء عبر بث مادة مصورة تتعارض مع القانون السعودي أم استضافة معارض يشهر بالأسرة الحاكمة، يعني أن بنية القنـــاة لا بـــد وأن تنعكس على طاقمها، إلا أن إيقافها وخسارة العاملين فيها مصدر رزقهم يمكن فهم نتائجه سيكولوجيا على أنـــه أنتج حالة من الحقد والكراهية على السعودية، تعززت وتم التعبير عنها مجددا في القناة القطرية الناشئة، سيما وأن العلاقات السعودية القطرية متوترة، ومن خلال الجزيرة أتيحت الفرصة مجددا لنقد السعودية بشكل أكثر تأثيرا، ومما يؤكد على هذا الاستخلاص ما ذهب إليه مدير مكتب قناة الجزيرة في عمان ياسر أبو هلاله([101]) من أن إيقاف الـــ BBC العربية من قبل السعوديون أكثر تأثيرا وخسارة من إيقائها، أي أنه لو لم تتوقف الـــ BBC العربية لما كانت الجزيرة منفردة في الساحة، وربما لم توجد أصلا، وليس لها هذا الحجم من التـــأثير، في إشارة من أبو هلاله إلى أن القطريين هم المنافسين الرئيسيين للعربية السعودية.

كما لا ينكر أبوهلالة علاقة قطر بالجزيرة، قائلا:" الجزيرة جزء منها تخطيط من حاكم لبناء أدوات نفوذ مـــن خلال السيطرة على الفضاء الإعلامي، وجزء منها ضربة حظ"([102]).

إن الحديث عن تخطيط حمد بن جاسم لإقامة الجزيرة لتكون أداة نفوذ هو المدخل لفهم دور هذه القناة، ولـــيس دقيقا القول بأن جزءا منها ضربة حظ؛ لأن التخطيط لإقامة الجزيرة استمر سنوات و ســـابق علـــى انقـــلاب الأمير حمد على والده .

ومما يؤكد التخطيط القطري لإقامة الجزيرة– زيادة على ما قاله أبوهلالة، التصريحات التي أدلى بها وزيـــر الخارجية القطري لمراسل قناة MBC سعد السيلاوي نهاية عام 1992، بعد انتهاء الصـــراع بـــين الـــيمن الشمالي والجنوبي قائلا: نحن بعنا طائراتنا لـــ ابوظبي، لسنا بحاجة إلى طيران وعسكر، **نحن نؤسس لقنـــاة ستكون القوات المسلحة القطرية**"([103]).

---

[101] - مقابلة مع مدير مكتب الجزيرة في الأردن ياسر أبو هلاله. عمان.5-2-2008

[102] - المصدر السابق.

[103] - مقابلة مع مراسل قناة MBC سابقا سعد السيلاوي. عمان 2-2-2008.

وبعد مضي ثلاث سنوات على تصريحات بن جاسم بدأت الجزيرة قصفها على الـــدول المجـــاورة وتحديـــدا البحرين والسعودية، ولكن حدة القصف تتفاوت، بحسب طبيعة العلاقات بين دول الجوار، والصفحات التاليـــة تبحث علاقة قطر وقناة الجزيرة بتلك الدول على وجه التحديد؛ نظرا لخصوصية تلك العلاقات.

وفي السياق ذاته، نشرت صحيفة" الراية" القطرية دراسة للمحاضر في معهد الدراسات السياسية في بـــاريس محمد الوافي، يشيد فيه بقناة الجزيرة ويعتبرها هدية من أمير مستنير، ومما يؤكد عليه" الوافي"، زوال الهيمنة السعودية واللبنانية على الإعلام العربي بعد إطلاق الجزيرة([104])، أي أن ما ســـمي بالهديـــة هـــو بالأســـاس استهداف لهيمنة وسائل الإعلام السعودية واللبنانية، وبالتالي الاستهداف الإعلامي هو لخدمة السياسة القطرية، وليس صحيحا أن الهدية، هي هدية، فهي ليست مقدمة بالمجان، والمقابل كان وضعا إقليميا لقطر في المنطقة العربية، وعلى سبيل المثال– لاحقا– وساطتها في الأزمة اللبنانية، في مقابل الوساطة السعودية.

كما أن من الهدايا التي تقدمها الجزيرة لقطر، التغطية على سياساتها الخارجية وتحديدا تجـــاه إســـرائيل، فقـــد تجاهلت الجزيرة لقاء الأمير حمد بن جاسم" في باريس" بشمعون بيرس"، ورغم قرار المقاطعة العربية إلا أنه عاد والتقى في 14 ماي 2003 بـــ" سلفان شالوم"، وقد وصف" حمد" الاجتماع بأنه يهدف إلى رفع مســـتوى العلاقات الدبلوماسية، وفي الوقت ذاته، تبث الجزيرة صورا للضحايا الفلسطينيين على مدار الساعة([105]).

لا مجال للشك بأن الفضائيات العربية والجزيرة تحديدا ساهمت في كسر محرمات التغطية الغربية لما يجـــري في المنطقة العربية والإسلامية، وكثيرة الدراسات التي تقارن تغطية حرب الخلـــيج 1991 بـــالحرب علـــى العراق 2003، كون الأولى عكست هيمنة القنوات الغربية كالـــ BBC و FOX News، فيما كان للقنـــوات الفضائية العربية مكان في تغطية الحرب على العراق، لكن هذا لا يعني أن تنعكس أجندة القنوات العربية على المؤسسات الإعلامية الغربية، بل وجدت المؤسسات الإعلامية الغربية المرتبطة بالأجندات السياسية، مبـــررا

---

[104] - أنظر صحيفة الراية القطرية. 8-1-2008، مصدر إلكتروني:
http://www.raya.com/site/topics/article.asp?cu_no=2&item_no=313002&version=1&template_id=49&parent_id=42

[105] - Da Lage, Oliver.(2005) **The politics of Aljazeera or the Diplomacy of Doha**. Ibid. p.51+57.

في تغطية الجزيرة لأشرطة بن لادن لتوجيه الرأي العام الأمريكي بشكل خاص، والغربي بشكل عام للحـــرب على أفغانستان، وكذلك الضغوطات السياسية على السعودية.

إن التأثير الكبير الذي تحظى به الجزيرة لدى الجمهور العربي مرده إلى جدلية الصوت المختلف الذي تعـــالى من على شاشتها، لنقد أكثر جرأة للوضع القائم في البلدان العربيـــة، وتحديـــدا قضـــية الصـــراع الفلســـطيني الإسرائيلي، واحتلال العراق، مع التركيز على الفجوة بين الموقف الرسمي العربي والموقف الشـــعبي، إلا أن الصوت الجديد يخرج بنغمات مختلفة في لفظ الحروف وتشكيل الكلمات والجمل الإخبارية، ومؤكد أن اختلاف النغمات يعود إلى اختلاف مخارجها سواء من مقدمة الفم أو بين الأسنان أو الحنجرة، وهذا ما ينطبق بالفعـــل على الفضاء الإعلامي العربي، والجزيرة على وجه التحديد.

المقصود، أن سعي الجزيرة للسبق الصحفي وتحقيق الجماهيرية، يطرح أكثر من تساؤل حول ما يترتب عليها من أحداث، أي أن اغتيال قائد سرايا القدس التابعة لحركة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة في الأول من آذار 2007، جاء بعد مقابلة مع الجزيرة، وذات الأمر سبق أن حدث بعد مقابلة يسري فوده للمتهم فـــي التخطـــيط لتفجيرات 11سبتمبر" ابن ألشيبه" واعتقاله في باكستان في عام 2002، إضافة إلى اغتيـــال القائـــد ألشيشـــاني "يندربابيف" في الدوحة بعد مقابلة الجزيرة له هو الآخر، وقد اعتبرت بعـــض الكتابـــات أن اغتيـــال القائـــد الشيشاني مثل هدية من النظام القطري لإدارة الرئيس الروسي بوتين، عبر اتهام صريح لقطر بالمسؤولية عن تسريب معلومات استخباراتية عن تحركات"يندربابيف"([106]) .

---

[106] - كنموذج للتوافق بين السياسة القطرية وقناة الجزيرة، أو ما يمكن تسميته بالدور الاستخباراتي للقناة، خصوصا موضوع اعتقال رمزي بن الشيبة، فقد أشار Ron Suskind في مؤلفه The One Percent Dectorine إلى الدور القطري في القبض على بن الشيبة، بعد معلومات سرية نقلها الأمير حمد مباشرة إلى رئيس وكالة الاستخبارات الأمريكية جورج تنت. وفي تفاصيل الخبر، أنه في 14 حزيران 2002 ذهب يسري فوده إلى رؤسائه في مقر الجزيرة واخبرهم عن مقابلة كان قد أجراها مع بن الشيبة، ووصل الخبر إلى رئيس مجلس إدارة الجزيرة، وابن عم الأمير الشيخ حمد بن ثامر، في ذلك الوقت، ضغطت الإدارة الأمريكية بشدة للحصول على المعلومات، وبعد بضعة أيام يقدم أمير قطر المعلومات إلى مدير المخابرات الأمريكية جورج تنت، وكانت المعلومات دقيقة لدرجة وصف شقة ابن الشيبة في كراتشي، وفي أيلول 2002 وبعد مراقبة أمريكية يعتقل بن الشيبة في باكستان

Look at :Suskind, Ron.(2006). **The One Percent Dectorine.** New York: Thorndike.
Kincaid, Cliff. **Al-Jazeera Stokes Fires in the Middle East**. Accuracy In Media. July 16,2006
أنظر أيضا موقع الـ BBC:
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_2257000/2257636.stm
أما حول اغتيال خالد الدحدوح أنظر موقع حركة الجهاد الإسلامي:
http://www.sarayaalquds.org/njm/njm-2006-010.htm
أما حول اغتيال القائد الشيشاني يندربابيف في الدوحة انظر. **قضية "يندربابيف".. إلى صفقة بين الدوحة وموسكو**. موقع الإخوان المسلمون. http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=5757&SecID=391

وأكد على طبيعة العلاقات القطرية الروسية مدير مكتب الجزيرة في موسكو سابقا" أكرم خزام" ، فقد أوضح في مقابلة مع قناة NBN اللبنانية في برنامج " مع ماريا معلوف"، أن هنالك تقارب مصلحة بين روسيا وقطر–حسب تصريحات مصدرها دبلوماسي روسي، وتحقق هذه المصلحة في فترة معينة أدى إلى إقالته من الجزيرة نهاية عام 2005، وأضاف:" هنالك انحراف عن سياسة الجزيرة الأولى التي كنت مؤسس فيها، أقول حتى عام 2003 الجزيرة هي جزيرتي، ما بعد هي ليست جزيرتي، لأنها انحرفت بسبب نهج جديد من الدولة، أنا متمسك بالجزيرة الأولى، أما الآن فلست نادما على تركي الجزيرة([107])، لكن مدير مكتب الجزيرة في عمان ياسر أبو هلاله يعتبر أن سبب إقالة أكرم خزام من الجزيرة عائد إلى تصريحات له اتهم فيها قناة الجزيرة بمساعدة الإرهاب([108]).

ومما سبق، يتضح طبيعة افتراض أن الجزيرة مثلت قطيعة لاحتكار وسائل الإعلام الغربية في التغطية الإخبارية، فإنهاء الاحتكار لا يوقف عمليات الهيمنة الأمريكية، مما يعني في الوقت ذاته،" أن أمريكيا لم تستطع إلغاء الخطاب العربي، لكنها ترسمه تحت الأرض بعد أن كان فوق الأرض"([109])، وفي المقولة السابقة إشارة إلى معادلة الجزيرة، فهي أولا جزء من مشروع الأمير حمد التحديثي، وهي ثانيا انعكاس لسياسته، كون الأخير يعتبر نفسه جزءا من الدبلوماسية الأمريكية ونموذجا فعليا لإستراتيجيتها في دمقرطة الشرق الأوسط.

وبذلك يصدق ما ذهب إليه الفصل الأول من تأكيد لما قاله بورديو:" شاء التلفزيون– الجزيرة– أم أبا، فإنه لن يقول لا للعالم كما هو يسير".

---

[107] - حول تصريحات مدير مكتب الجزيرة في موسكو سابقا، أكرم خزام، أنظر قناة NBN الفضائية اللبنانية. برنامج " مع ماريا معلوف".10-12-2007.

[108] - مقابلة مع مدير مكتب قناة الجزيرة في الأردن ياسر أبو هلاله. عمان . 5-2-2008

[109] - LYNCH, MACH.(2005)**. Iraq, Aljazeera and Arab public sphere**. Ibid p. 72.

المطلب الثالث:" الجزيرة" الناطقة" بالعربية و" الانجليزية"

إن إستراتيجية الجزيرة للسيطرة على الفضاء الإعلامي العربي تعتمد على التنوع في عرض القضايا، ومن خلال هذا التنوع تضمن الجزيرة استمراريتها أولا، والتغطية على مشاريع قطر السياسية والاقتصادية مع الولايات المتحدة وإسرائيل ثانيا، أي أنها موجهة بالأساس للفضاء العربي، وإلا لماذا يختلف خطاب الجزيرة بين القناة العربية والإنجليزية؟

يتفق د. عادل اسكندر، أستاذ الإعلام في جامعة جورج تاون مع الباحث في اعتبار أن قناة الجزيرة باللغة العربية هي" الرأي"، والجزيرة باللغة الانجليزية هي" الرأي الآخر"، والدافع لهذا التصنيف هو التفاوت في خطاب كل من القناتين، فالجزيرة باللغة الإنجليزية تستخدم كلمة" قتيل"، بينما تسوق القناة الناطقة بالعربية الشحنة العاطفية والأيديولوجية على الجمهور العربي عبر استخدام كلمة " شهيد"، والمثال الآخر الذي يدركه المتابع للجزيرة الانجليزية، استخدامها مصطلح" الجدار الأمني"، بدلا من مصطلح" جدار الفصل العنصري" المستخدم في القناة الناطقة بالعربية، أما مصطلح" قوات الاحتلال الإسرائيلي" المستخدم في القناة الناطقة بالعربية، غالبا لا يستخدم في القناة الانجليزية ويكون البديل" القوات الإسرائيلية" Israel military force

ومن المفارقات الأخرى بين الجزيرة الناطقة بالعربية والناطقة بالانجليزية، أن الأخيرة عينت المتحدث باسم القوات الأمريكية في قاعدة" العديد" " جوش رشنج" مراسلا لها، بعد طرده من الخدمة في الجيش الأمريكي على خلفية فلم وثائقي يتحدث عن ضحايا الحرب على العراق بعنوان: " غرفة سيطرة"، ويعتبر " رشنج أن مهمته لم تتغير في انتقاله من القاعدة الأمريكية إلى قناة الجزيرة، وقد ألف كتابا حول الجزيرة تحت عنوان" MISSION AL-JAZEERA "، والفكرة الرئيسية التي يطرحها" رشنج" في الكتاب، هي أنه بالإمكان

ترويج الحرب على الإرهاب من خلال التغلغل في وسائل الإعلام العربية، وتحديدا قناة الجزيرة كونها من الإشارات الأكثر قوة في تدعيم المساعي الأمريكية لنشر الديمقراطية([110]).

وتعزيزا لما سبق، يرى مدير عام شبكة الجزيرة وضاح خنفر، أن الرئيس الأمريكي جورج بوش يتجاهل دور الجزيرة، "فهو يدعو للإصلاح وحرية التعبير، نحن جزء من عملية الإصلاح في الشرق الأوسط"([111]). هنالك استقلالية في عمل كل من قناتي الجزيرة العربية والانجليزية؛ ففي الأخيرة تعطى الأولوية للولايات المتحدة وإسرائيل بشكل جيد، ولا تدعى بإمبراطورية الشر على العكس من إستراتيجية القناة الناطقة بالعربية([112]).

ما يميز عمل كل من القناتين، أن النموذج العربي يعتمد على تصوير الأحداث بقالب عاطفي مؤدلج بما يتناسب ورغبات الجمهور العربي، و يعترف المحرر في الجزيرة" إبراهيم هلال" أن العاطفة جزء من القصة، وأن روح الكذب الإخباري في العاطفة..." العاطفة هي الحقيقة الأكبر"، أما بالنسبة للقناة الناطقة بالانجليزية فإنها تطبق النموذج الأمريكي في الإعلام، حيث أن خسارة الهدوء تعني خسارة الموضوعية، وخسارة الموضوعية تعني أن النقاش وما يصدر على أنه حقائق هي توقعات([113]).

110- Tischler, Linda. **Aljazeera Global Mission**. Electronic version http://www.fastcompany.com/node/55936/print (Retrieved: may 20, 2008)
هنالك جملة من الكتاب الغربيين الذين يعتبرون أن الجزيرة جزء من الدبلوماسية الأمريكية في المنطقة، وأن الجزيرة قدمت خدمات للإدارة الأمريكية، ضمن التوافق القطري الأمريكي في مشروع الأمير حمد التحديثي، للمزيد أنظر:
Rushing, Josh. (2007**). MISSION AL-JAZEERA**: Build a Bridge, Seek the Truth, Change the World. New York: Palgrave Macmillan.
Zaharna, R.S.(2005) .**Aljazeera and American public diplomacy: A Dance of Intercultural (Mis-)Communication** .from book: Aljazeera phenomenon .Ibid P.197

111- Campbell, Alastair."**I was wrong about al-Jazeera**". The Guardian. .Electronic version September 15, 2004 http://www.guardian.co.uk/media/2004/sep/15/broadcasting.politicsandiraq

112- Tara McKelvey. **In Arabic in English in D.C.: Up to a Point, Al Jazeera English Looks like Your Cable News Past That Point, It Doesn't. Not That You Can See It, Anyway.** Electronic resource http://www.questia.com/PM.qst?a=o&d=5018739375

113- Zaharna, R.S..(2005) .**Aljazeera and American public diplomacy: A Dance of intercultural (Mis-) Communication**. Ibid. P.193+194.

ورغم المفارقات بين خطاب كل من الجزيرة الناطقة بالعربية والثانية الناطقة بالإنجليزية، إلا أنه يحسب للأولى كسر المحرمات العربية في استضافة المسؤولين الإسرائيليين قبل ظهور القناة الناطقة بالإنجليزية، وقد بلغ متوسط عدد استضافة المتحدثين الإسرائيليين على القناة من 6-10 مقابلات في الشهر([114]).

إن المحصلة النهائية لفعل الجزيرة، هي قولها لك- كمشاهد، من خلال تغطياتها المختلفة أنه عليك أن ترسو في الدوحة، ومن خلال البث أنت تسترد دائما إلى سفينة الدوحة القائدة **ذات الطابقين**- أي تعبيرا عن ازدواجية الخطاب، "على المشاهد أن يدرك رسالة الجزيرة: الدوحة مركز العالم"([115]).

المبحث الثاني:" الجزيرة" والتفوق القطري على السعودية

ليس من اليسير فهم العلاقات القطرية السعودية بمعزل عن قناة الجزيرة، ومن الأولى القول بان الجزيرة هي التعبير الحقيقي عن صناعة الأزمة القطرية السعودية، فقد سعت عبر برامجها ونشراتها الإخبارية لضرب وخلخلة موقع السعودية في المحيط العربي من جانب ، وإحداث أزمات سياسية للسعودية على المستوى الدولي من جانب أخر.

قبل ظهور الجزيرة، مثلت الخلافات الحدودية القطرية السعودية مصدر التوتر بين البلدين، خاصة أنها منطقة غنية بالنفط والغاز ويصل طولها إلى 40 كم، وحصل الصدام الفعلي في 21 سبتمبر 1992، حينما تبادل الجانبان إطلاق النار عند نقطة خوفش على بعد 80 كم جنوب شرق الدوحة قتل فيه جنديان قطريان وأسر آخر، إلا أن الإستراتيجية القطرية اعتمدت على التخطيط والمراوغة لاستفزاز السعودية، من خلال تطوير العلاقات مع إيران والاتفاق على تزويد قطر بالمياه العذبة الإيرانية ضمن مشروع ضخم بتكلفة 13 مليار دولار ([116]).

---

[114] - Miles, Hugh ."**Thinks Against Aljazeera"**. foreign policy. July/ August 2006. electronic Resource. www.foreignpolicy.com/story/cms.php?story_id=3497 version:

[115] - McKelvey, Tara. **In Arabic in English in D.C.: Up to a Point, Al Jazeera English Looks like.** Electronic resource. Ibid.

[116] - محمد نصر مهنا. **قطر: التاريخ، السياسة، التحديث**، مصدر سابق. ص 346.

كما أن الموقف القطري من إيران والعراق يعتبر من مسببات الخلافات مع دول مجلس التعاون الخليجي، وقد انعكست الخلافات سلبا على المشروعات الاقتصادية المشتركة في المنطقة، خصوصا اتفاقية إنشاء السوق الخليجية، فقد أرادت قطر بأن تكون إيران عضوا في مجلس التعاون الخليجي، ومثلت حرب الخليج عام1991 محطة هامة دفعت دول الخليج لبلورة أمنها القومي الداخلي على حساب الأمن الإقليمي([117])، وهذا ما يفسر لجوء قطر للحصول على الحماية الأمريكية، بل وإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع إسرائيل، مما يعني أن الاعتناء بالشأن القومي الداخلي على حساب الأمن الإقليمي، أدى إلى تفاقم الأزمات الخليجية وتحديدا العلاقات السعودية القطرية، والقطرية البحرينية على سبيل المثال.

وفي السياق ذاته، تشير الصحافة السعودية إلى أن سحب السفير السعودي في قطر عام 2002 لم يكن على أثر برنامج في قناة الجزيرة، وإنما عائد لطبيعة علاقة البلدين مع الولايات المتحدة وفتح قطر المكتب التجاري مع إسرائيل، إضافة إلى رفض السعودية الحرب على العراق فيما كانت قطر وقاعدة" العديد" منطلقا للهجوم الأمريكي على العراق ([118]).

وتعبيرا عن التوتر القطري السعودي السياسي، هاجمت الجزيرة المملكة العربية السعودية والأسرة الحاكمة في أكثر من موضع أهمها الأزمة التي أحدثها برنامج الاتجاه المعاكس في 25 حزيران عام 2002 حول السعودية والعلاقة بالقضية الفلسطينية، ليتلوه بعد ثلاثة أسابيع برنامج" أكثر من رأي" والذي حمل عنوان: الموقف الشعبي من الحملات الأمريكية على السعودية"، حيث استضاف البرنامج المعارض السعودي" محسن ألعوجي" الذي وجه انتقادات للأمير" عبد الله "ولي العهد السعودي آنذاك([119])، ورغم خطورة الانتقادات الأمريكية للسعودية وتداول المحللين السياسيين الحديث عن مشروع أمريكي لتقسيم السعودية إلى ثلاثة مناطق، إلا أن الجزيرة ارتضت معالجة الموضوع من جانب مغاير تماما لطبيعة الأزمة، مما يعكس سعي الجزيرة لإشغال جمهورها العربي بالنظر إلى ما تصوره على أنه مهم ، رغم وجود ما هو أخطر وأهم، أي

---

[117] - المصدر السابق، ص 326-328.

[118] - مفيد الزيدي.(2003). **قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي**، مصدر سابق. ص 65.

[119] - المصدر السابق، ص 58+59.

التغطية على العلاقات الأمريكية القطرية الصاعدة و التي تتوجت ببناء قاعدة" العديد" الأمريكية، التي كانت مركز غزو العراق([120]).

إن تغطيات الجزيرة لتسجيلات أسامة بن لادن وما رافق أحداث الحادي عشر من سبتمبر من ردود فعل وكشف لمعلومات جديدة، وتحديدا برنامج " سري للغاية" الذي يقدمه يسري فوده، جعل من القناة ظاهرة إعلامية دولية تستوجب التوقف من قبل وسائل الإعلام الغربية، التي عرضت مقتطفات من تغطياتها الخاصة، إلا أن رد فعل الدبلوماسية الأمريكية على هذه التغطيات، كان باتجاه السعودية المصدّر الأول لغالبية المشاركين في تفجيرات 11 سبتمبر، وقد تحولت بسببها النظرة الأمريكية للمملكة العربية السعودية، من حليف وصديق إلى عدو استراتيجي، وتعالت في حينها أصوت اللوبي الصهيوني وأقلام صحفية تدعو" لاحتلال مناطق النفط وتجميد الأرصدة السعودية في الولايات المتحدة"، وقد اعتبرت صحيفة نيويورك تايمز في 13 تشرين أول 2001، " أن السعودية تتسامح مع الإرهاب، وأن القمع السياسي يشجع على العادات الهدامة"([121])، إلا المستفيد الرئيسي من توتر هذه العلاقات هي قطر على وجه التحديد، وبسببها استطاعت قطر أن تصبح الحليف الأول للولايات المتحدة في المنطقة العربية.

وقد لخص التقرير السنوي لمركز الخليج للأبحاث عام 2003، علاقة دول الخليج بالولايات المتحدة، من منطلق أن الرأي السائد يعتبر أن العلاقة مع أمريكيا في أحسن أحوالها ممكنة، ما دامت تضغط على إسرائيل للاستجابة لمتطلبات التسوية السلمية في المنطقة، أما بخصوص التطبيع مع إسرائيل، فلا يجب أن يتم إلا حينما تلتزم إسرائيل بالسلام العادل وإقامة الدولة الفلسطينية، إلا أن الموقف القطري يختلف عن ذلك([122])، ومن الممكن القول إن علاقات قطر مع إسرائيل هي من أهم أسباب التوتر مع السعودية.

---

[120] - تعتبر قاعدة العديد، أكبر قاعدة أمريكية خارج الولايات المتحدة، تتسع لـ 120 طائرة و 10 الآلاف عسكري، وقبل الحرب على العراق كانت قطر استضافت 35 مقاتلة أمريكية وناقله، في ظل سعي النظام الجديد للحماية بعد انقلاب الأمير الابن حمد على والده خليفة، ووصلت تكلفة بناء القاعدة بليون دولار، للمزيد حول قاعدة العديد ينظر:
http://www.globalsecurity.org/military/facility/udeid.htm

[121] - أنظر. ألعفيفي، فتحي. **" الديمقراطية والليبرالية في الممارسة السياسية لدولة قطر"**.مصدر سابق. ص 63+64.

[122] - أنظر تقرير مركز الخليج للأبحاث عام 2003، مصدر سابق، ص 226+ 227.

ومن عوامل التوتر الأخرى بين السعودية وقطر، رفض الأخيرة طلبا من الأولى لنشر قواتها على أراضيها، أثناء اجتياح العراق للكويت عام 1991، مما أدى إلى وضع السعودية قيودا على الطريق البحري" كار عبيد" الذي يوصل المركبات بين ابوظبي وقطر وإجبارها على المرور بالأراضي السعودية، وردا على ذلك سعت قطر لمغازلة إيران لإغضاب السعودية([123])، وتؤكد هذه الحادثة أن النزاع السعودي القطري لم يبدأ منذ نشأة الجزيرة، ولكن التفوق القطري على السعودية ابتدأ منذ إطلاق الدوحة قناة الجزيرة، وبفضلها نجحت قطر في معركتها الإعلامية، رغم أن النزاع الحدودي انتهى على الأرض قبل الجزيرة، عبر وساطة الرئيس المصري مبارك في المدينة المنورة تنازلت فيها السعودية لقطر([124]).

وبناء على ما سبق أمكن القول، أن تغطية الجزيرة لأخبار السعودية مثلت عملية اصطناع إعلامي، اعتمدت على البحث في التاريخ ومحاولة إحداث ثغرات جديدة لمقاربة الأحداث التاريخية بما يتناسب وما استجد من وقائع، بهدف إيصال رسائل مفادها أن السعودية الدولة العربية الأكبر هي المسؤولة عن الأزمات في المنطقة العربية وتحديدا احتلال فلسطين عبر علاقاتها بالاميريكيين واستضافة قواعدهم العسكرية في مكان إسلامي مقدس، فاستغلال الرمز الديني إستراتيجية من استراتيجيات الجزيرة .

وفي الوقت الذي انتقدت فيه الجزيرة العلاقات السعودية الأمريكية، كانت قطر تستقبل القواعد الأمريكية الوافدة من السعودية، فقد رفضت الأخيرة في أكثر من مرة طلبا أمريكيا لضرب العراق من أراضيها، الأمر الذي قاد إلى أزمة بين البلدين([125])، ورغم التحول السياسي والدبلوماسي الكبير في منطقة الشرق الأوسط بسبب توتر العلاقات الأمريكية السعودية، والسعودية القطرية بسبب قبول الأخيرة غزو العراق من قواعدها الجديدة، إلا أن الجزيرة لم تعط اهتماما لنقل القواعد العسكرية الأمريكية من السعودية إلى قطر، ولم تركز أيضا على دور قطر في الحرب على العراق، فيما انصرفت لاصطناع أحداث جديدة للتغطية على ما يجري في قطر، عبر تصدير الأزمة إلى الأردن من خلال حلقة من برنامج" الاتجاه المعاكس" في آب 2002، حملت

---

[123] - Da Lage, Oliver.(2005) **The politics of Aljazeera or the Diplomacy of Doha**. From book: The Aljazeera Phenomenon. Ibid. p. 51

[124] - علي، عبد الرحيم ، **الإعلام العربي وقضايا الإرهاب**. مصدر سابق، ص 14.

[125] - أنظر. صحيفة الجاردينز البريطانية 27 آذار 2002.

عنوان" الدور المحتمل للأردن في الحرب على العراق"([126])، وواضح من المثال كيف تصرف الجزيرة انتباه المشاهدين إلى قضايا سطحية مقابل قضايا جوهرية، ولا يمكن من منطلق أي تفسير إعلامي أن لا يذكر الدور الفعلي لدولة قطر في الحرب على العراق، فيما يتم التركيز على دور هامشي لدولة مثل الأردن، ومن هذا المثال أيضا يمكن استحضار القاعدة النظرية وتطابقها مع إستراتيجية الجزيرة من حيث أن ما هو موجود، هو ما يتم الإخبار عنه، وما هو غير موجود في التغطية الإعلامية لا وجود له، والعكس صحيح.

قبل الجزيرة كانت السعودية المسيطرة على الفضاء الإعلامي العربي من خلال شبكتي ART, MBC، إلا أن حضور الجزيرة وحجم الاحتدام والعرض العاطفي في خطابها، إضافة إلى تخصصها الإخباري قلل من تأثير القنوات الخاصة السعودية، وبدأ اسم قطر يطفو على السطح مكان السعودية.

وبذلك تكون الجزيرة أتاحت المجال لظهور قطر، وفرض نفسها على المشهد الإقليمي، فقد ساعدت في خفض تأثير السعودية وحضورها في القضايا العربية، فيما جعلت من قطر الحليف وصاحب الامتيازات الأمريكية في الخليج([127]).

ويعتبر فريد هاليدي، أستاذ العلاقات الدولية في كليه لندن للاقتصاد، أن وظيفة الجزيرة الرئيسية إزعاج السعودية، فمثلا في شباط 2007 حصلت الجزيرة على فيديو يظهر شجارا بين طلاب سعوديين داخل جامعتهم، وتعمدت الجزيرة إذاعة الفيديو أكثر من مرة لاستفزاز السعودية([128]).

وقد منعت الجزيرة من تغطية موسم الحج على مدى ثلاثة أعوام من 2005 إلى2007 بعد احتجاج السعودية على تغطية الجزيرة لموسم الحج عام 2004، ففي تلك التغطية ضخمت الجزيرة من حادث وفاة عدد من الحجاج متهمة السعودية عبر استضافة بعض المتحدثين بعدم بذل ما يكفي لحماية الحجاج. وإضافة إلى ذلك فقد تأزمت العلاقة أكثر خلال بث الجزيرة لشريطين: الأول، تقرير يتناول توقيف أميرة سعودية في الولايات

---

[126] - الزيدي، مفيد. **قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي** ، مصدر سابق. ص 73.

[127] - Da Lage, Oliver. **The politics of Aljazeera or the Diplomacy of Doha**. Ibid. P 63.

[128] - halliday, Fred. **Al-Jazeera: the matchbox that roared** .Electronic version. http://www.opendemocracy.net/globalization-vision_reflections/aljazeera_qatar_4466.jsp

المتحدة بتهمة استعباد جارية إندونيسية([129])، والشريط الثاني تسجيل لمجهول عقب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، يتبنى فيه المتحدث ويبرر اغتيال الحريري انتقاما لعلاقاته مع السعودية([130])، ومثل هذا الشريط غير المحدد مصدره يبث أكثر من مرة، لكن شريط مسجل للظواهري بتاريخ 4 كانون الثاني 2008 ينتقد فيه الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله لا يذكر أبدا في قناة الجزيرة العربية، لكن الجزيرة الإنجليزية تورد مقتطفات من الشريط وتستضيف خبير الجماعات الإسلامية ضياء رشوان للتعليق على التسجيل([131])، مثل هذه المفارقات والانتقائية في العرض تؤكد مشروعية التساؤلات الرئيسية: لماذا تركز الجزيرة على حدث دون آخر؟ وما هو معيارها في بث المعلومات بحيث تذيع شريطا غير موثوق المصدر حول اغتيال الحريري، فيما لا تبث الجزيرة شريط الظواهري، حيث اعتادت على ذلك؟

إن التقارب القطري السعودي خلال الشهور الماضية أسكت قناة الجزيرة، وحسب تقرير مطول ورد في صحيفة" نيويورك تايمز"، فإن الصحفيين العاملين في قناة الجزيرة تلقوا أوامرهم بعدم التعرض للشأن السعودي إلا بعد مراجعة إدارة القناة، وحسب التقرير المنشور بتاريخ 6 شباط 2008، فقد رافق رئيس مجلس إدارة الجزيرة الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني الوفد القطري في اجتماعه بالملك عبد الله بن عبد العزيز، وكبار المسؤولين من كلا الطرفين([132]).

ويعتبر التقرير أن موافقة قطر على الطلب السعودي لإسكات الجزيرة، هو لتحقيق مصلحة آنية تتمثل في تقديرات قطر من أن غياب السعودية عن قمة مجلس التعاون الخليجي المنعقدة في قطر في حينه سيؤدي إلى فشلها، إلا أن الجزيرة وبناء على تجارب سابقة لن تستمر طويلا في عدم التعرض للسعودية وقد ينكسر حاجز الصمت بعيد أشهر، والأمثلة كثيرة على ذلك، منها: إغلاق مكتب الجزيرة في عمان عام 98، ورغم التوافق الأردني القطري في حينه وإعادة فتح المكتب إلا أن الجزيرة تعرضت بالنقد للملك والعائلة مما دفع بالحكومة الأردنية لإعادة إغلاق المكتب عام 1999 وكذلك عام 2002 قبيل الحرب على العراق.

---

[129] - Gabriel, Judith. **"Al Jazeera Remains in the Hot Seat"**. Al Jadid, Vol. 7, no. 37 (Fall 2001) http://leb.net/~aljadid/features/AlJazeeraRemainsintheHotSeat.html

[130] - القنيعير، حسناء. **قناة الجزيرة والولوغ في الإناء الإعلامي**. جريدة الرياض. 27 فبراير 2005

[131] - أنظر تغطية الجزيرة الانجليزية بتاريخ: 2008-1-4

[132] - أنظر. صحيفة النيويورك تايمز 6 شباط 2008.

وفعليا التزمت الجزيرة بعدم التعرض للسعودية ويقع في هذا السياق عدم تغطية الجزيرة لقضية" فتاة القطيف"([133])، رغم التغطية العالمية التي حظيت بها القضية.

إن عدم التعرض بالنقد للسعودية بناء على التفاهمات السياسية السابقة الذكر لا يعني تغطية" موضوعية"، ويكفي ملاحظة زيارة الرئيس الأمريكي جورج بوش للسعودية بتاريخ 13 شباط 2008 ضمن جولته في المنطقة العربية، فقد كان واضحا فتور العلاقات السعودية الأمريكية مقارنة بباقي الدول العربية التي زارها، ورغم ذلك لم تخصص الجزيرة برنامجا يتناول التوتر في العلاقات السعودية الأمريكية، واكتفت الجزيرة بفتح نيرانها على أمير البحرين من خلال تكرار عرض صور رقص الأمير مع الرئيس الأمريكي جورج بوش بالسيف.

وبناءا على ما سبق، لا بد من التساؤل عن سبب مرافقة رئيس مجلس إدارة الجزيرة للوفد القطري إذا كانت القناة تتمتع باستقلال عن السياسة القطرية؟ ثم لماذا التزمت الجزيرة الصمت منذ شهور ولم تحاول الإساءة للسعودية، رغم توفر ظروف مشابهة ومناسبات قابله للاستغلال إعلاميا، كالملف اللبناني مثلا؟

المبحث الثالث:" الجزيرة" وإعادة صياغة العلاقات القطرية البحرينية

النزاع القطري البحريني ليس بجديد، وجذوره ممتدة منذ الخلاف على جزر "حوار، وقطعة جرادة والزبارة وجنان وفشت الديبيل"، وكاد النزاع أن يؤدي إلى حرب بين البلدين عام 1986 عندما سيطرت قوة عسكرية قطرية على جزيرة" فشت الديبل" واعتقلت 30 بحرينيا كانوا متواجدين عليها، ونتج عنه شبه قطيعة سياسية، وقبل ذلك فشلت محاولات إقامة وحدة بين البلدين، إلا أن الوساطات السعودية المتعددة لم تنجح إلا في دفع البلدين للتحاكم في محكمة العدل الدولية([134]).

توجهت قطر بطلب إلى محكمة العدل الدولية عام 1991 للتدخل في النزاع القطري البحريني، وقدمت مرافعاتها بما في ذلك وثائق تثبت ارتباطها بالجزر المتنازع عليها، لكن البحرين اتهمت قطر بتقديم وثائق

---

[133] - تدور هذه القضية حول قرار محكمة سعودية بجلد فتاة تعرضت للاغتصاب 200 جلدة في شهر نوفمبر 2007 بعد أن أصرت على مقاضاة 7 أشخاص متهمين باغتصابها، ورغم الانتقادات الدولية الواسعة إعلاميا وسياسيا، لم تتعرض الجزيرة للموضوع.

[134] - بشير شريف، محمد. **نزاعات الاقتصاد والحدود بين الدول العربية**. عرض كتاب. موقع الأخوان المسلمين. مصدر إلكتروني: www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=9776&SecID=343

مزورة، الأمر الذي دفع قطر إلى سحب وثائقها المشكوك في صحتها، وعللت قطر ذلك بوجود خلافات بين الخبراء القطريين أنفسهم حول صحة المحتوى التاريخي للوثائق([135]).

انتهت قضية النزاع الفعلية بين الدولتين بصدور قرار محكمة العدل الدولية عام 2001 ، القاضي بسيادة البحرين على جزر" حوار وقطعة جرادة"، وسيادة قطر على جزر" الزبارة وجنان وحد جنان وفشت الديبل"،([136]) ورغم تعبير الطرفين عن رضاهم عما خلصت له المحكمة، إلا أن نزاعا من نوع أخر ابتدأ، ويمكن وصفه بأنه أخطر من النزاع التقليدي، أي النزاع الإعلامي وتحديدا الحملات التي مارستها الجزيرة ضد البحرين وما ترتب على ذلك من أزمات دبلوماسية وإغلاق لمكتب الجزيرة عدة مرات.

تحسنت العلاقات القطرية البحرينية في زيارة الأمير حمد بن خليفة آل ثاني للبحرين أواخر عام 1999، إلا أن وزير الإعلام البحريني نبيل الحمر شن هجوما على قناة الجزيرة، بسبب تغطيها لتحضيرات انتخابات أيار 2002، إضافة إلى تغطية الجزيرة لمظاهرة بحرينية تضامنا مع الشعب الفلسطيني وشهدت اشتباكات مع الشرطة البحرينية([137]).

في مايو 2002 منعت البحرين طاقم الجزيرة من إعداد تقارير من أراضيها، وفي تموز 2003 علق مسؤول قطري على الدور السلبي لقناة الجزيرة بالقول:" الجزيرة صداع نحتاج لتنظيمه، فنحن في الخليج عائلة واحدة"([138]).

ويشير تقرير مركز الخليج للأبحاث إلى أن البحرين استطاعت تنفيذ عدد من الإصلاحات فيما يخص حرية الرأي والتعبير والمشاركة السياسية والحرية الدينية، وتسمح البحرين لقوى المعارضة بممارسة أنشطتها وتوصف بالتعددية ما بين ليبرالية وإسلامية وقومية، كما أفرجت الإمارة عن معظم السجناء السياسيين، ورغم ذلك تحاول الجزيرة إثارة أزمات داخلية بحرينية عبر تضخيم تغطيتها للأحداث في البحرين من خلال استضافة المعارضين وتأزيم علاقتهم بالحكومة سواء قبل انتخابات عام 2002 وبعدها، وعلى صعيد المقارنة

---

[135] - محمد كرم، جاسم. **"النزاع الحدودي بين دولتي قطر والبحرين".** العلوم الإنسانية. مج 30. ع 2. ص 243-245.

[136] - المصدر السابق، ص 253.

[137] - الزيدي، مفيد. **قناة الجزيرة كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي**. مصدر سابق، ص 82.

[138] - JOANNE MYERS. . Inter view with: Mohammed el-Nawawy, Adel Iskander about their books**: ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed the Middle East:** Electronic version . http://www.cceia.org/resources/transcripts/133.html

بين الإصلاحات البحرينية والقطرية، تغلب الأولى قطر في إصلاحاتها، ورغم ذلك لا تغطي الجزيرة أخبار قطر كما تغطي أخبار البحرين، والمثال على ذلك أن الجزيرة لم تعط اهتماما لتأجيل الأمير حمد للانتخابات النيابية عام 2001، بينما ركزت الجزيرة على مقاطعة بعض الأحزاب البحرينية للانتخابات في أكتوبر 2002([139]).

إن اهتمام الجزيرة المبالغ فيه في تغطية الشأن البحريني سواء الداخلي منه أو الخارجي، يهدف أساسا إلى إزعاج البحرين، وافتعال الأزمات، والمثال شديد الوضوح على ذلك، تحليل ورصد تغطية القناة لزيارة الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى المنامة، بتاريخ 12-1-2008، ضمن جولته في المنطقة العربية وإسرائيل، فقد ركزت الجزيرة على الاستقبال الكبير الذي حظي به بوش في البحرين؛ لاستفزاز النظام أولا، ولإثارة مشاعر الجمهور العربي ضد البحرين ثانيا.

وجاء خبر الزيارة في نشرة الحصاد ذلك اليوم في أول ملفات الحصاد، وبعد تقديم المذيعة" جمانة نمور" لموضوع الزيارة، استعرضت تقريرا لمراسل الجزيرة في المنامة غسان أبو حسين، وقد بدأ تقريره بالتالي:" بتحية سيوف رجال العرضة البحرينيين استقبلوه بحفاوة، فرد لهم التحية، الرئيس بوش في أول زيارة له للمنامة، أرادتها البحرين أن تكون تاريخية واحتفالية، فشاركها في ذلك.." وتزامن التعليق الصوتي مع عرض مكثف لرقص بوش مع ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة، مع التركيز على تبادل الضحكات بين الجانبين، وبعد نهاية التقرير استضافت الجزيرة أستاذ العلوم السياسية في جامعة قطر محمد المسفر، للتعليق على زيارة بوش للمنطقة، وكان السؤال الأخير الموجه له:" لماذا برأيك لم يزر بوش قطر وعُمان"، فيجيب المسفر:" هذا سؤال وجيه!! وأنا أعتقد، أنا أعبر عن سعادتي وشكري وتقديري العظيم لله عز وجل، بأن تراب قطر لم تمش عليه قدما بوش.. بوش غير مرحب به بالمنطقة، نشكر الله عز وجل أن تراب قطر ويدا رجال صناع القرار والسياسة في قطر لم تمس يداه الملوثة بدماء الأمة العربية والإسلامية".

---

[139] - لعمل مزيد من المقارنات بين الإصلاحات القطرية والبحرينية، ينظر ملف كل من البلدين بخصوص الإصلاحات في تقرير مركز الخليج للأبحاث، مصدر سابق. ص 69-72+ 77+78 .
أما حول تأجيل الأمير حمد لانتخابات عام 2001 ينظر: el-Nawawy, Mohammed and Adel Iskander **ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed the Middle East.** Ibid. P83.

لم تكتف الجزيرة في تكثيفها لتغطية الزيارة إلى هذا الحد، بل تحدث جمال ريان عن مشاركة بوش في رقصة" العرضة" التقليدية، ثم عرضت الجزيرة تقريرا آخرا لمشاهد الرقص، وهنا خطورة التكرار، إلا أن التغطية لم تنته بعد، فقد زادت الجزيرة على ما سبق بتقرير آخر يستعرض محطات بوش من إسرائيل وصولا إلى البحرين، وكانت خاتمة التقرير تكرارا لمشاهد رقص بوش مع حمد بن عيسى([140])!!

لا يمكن تبرير تكثيف تغطية زيارة الرئيس بوش إلى البحرين إلى هذا الحد إلا تعبيرا عن الصراع القطري البحريني، ورغبة قطر في فضح العلاقات البحرينية الأمريكية، وتشكيل صورة سلبية عن النظام البحريني، فقد ركزت الجزيرة في جميع نشراتها الإخبارية في ذات اليوم على صور الرقص بالسيف، أما بالنسبة لاستضافة المسفر للتعليق على عدم زيارة بوش لقطر، فإن اختيار الضيف واختيار التوقيت للتعليق، هو بهدف صرف الأنظار عن العلاقات الأمريكية القطرية، وتوجيه الرأي العام العربي تجاه البحرين.

المبحث الرابع: " الجزيرة" والحرب على أفغانستان

إذا كانت تغطية الجزيرة لعملية ثعلب الصحراء عام 1998 هي المحطة الأهم في شهرتها على المستوى العربي، فإن تغطيتها لأحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تبعها من غزو لأفغانستان، جعلها تطرق باب العالمية، حيث اعتمدت الكثير من وسائل الإعلام الغربية في تغطيتها للحرب على أشرطة الجزيرة وتصويراتها، والأهم احتكارها لأشرطة القاعدة وتسجيلات أسامة بن لادن، وقد " باعت الجزيرة الشريط الأول بعد ثلاثة دقائق من عرضه بمبلغ 250 ألف دولار"([141]) .

وأثارت تغطية الجزيرة للحرب على أفغانستان إشكاليات كثيرة، انعكست على موقفين متناقضين من القناة يمكن رصدهما: الموقف الأول الذي يعتبر القناة داعمة للإرهاب الدولي من خلال بثها أشرطة بن لادن،

---

[140] - أنظر تغطية الجزيرة لزيارة الرئيس بوش إلى البحرين 12-1-2008 .

[141] - Colonel Steven P.Garney **.Reporting from Qatar: This is Aljazeera.** electronic resource. PDF file. p.4

والتركيز على صور المدنيين وضحايا العمليات العسكرية لقوات التحالف في أفغانستان، والموقف الثاني: يعتبر أن تغطية القناة جسدت حالة الموضوعية الإعلامية، وكسرت هيمنة وسائل الإعلام الغربية على مصادر الأخبار وتوزيعها([142]).

وتجتهد الدراسة بتوصيف الحالة بعيدا عن الموقفين السابقين، مع عدم نفي وجودهما كخلفية يدعمان تحليل فعل القناة وتأثيرها ومقاصدها، من خلال رصد عدد من المفارقات التي تضعف من قوة الموقفين السابقين.
انتقدت السعودية منح بن لادن صوتا في القناة، كون خطابات بن لادن تحريضية وتدعو المسلمين إلى طرد الأمريكيين من الجزيرة العربية، وقد وجه بن لادن انتقادات عديدة للمملكة العربية السعودية والأسرة الحاكمة، ولكنه لم ينتقد قطر التي تحوي قاعدة" العديد" الأمريكية، ومنها انطلقت الحرب على العراق. وفي السياق ذاته أشار مراسل قناة الجزيرة في باكستان سابقا جمال إسماعيل إلى أن قناة الجزيرة كانت تستغل اللقاءات التي كان يجريها مع أسامة بن لادن والظواهري لاستفزاز بلدانهم، ويورد في كتابه بعنوان" بن لادن والجزيرة وأنا" مقابلة كان أجراها مع بن لادن وكانت تحوي معلومات هامة، إلا أن الجزيرة وبعد التردد في السماح له بإجراء المقابلة، لم تذعها ([143])، لذلك من الأهمية بمكان التساؤل عن سبب ممانعة الجزيرة وترددها في إجراء اللقاء رغم أهمية ما يحمله، في مقابل لقاءات أصرت الجزيرة على إجرائها وعرضها دون مناسبة.

وإجابة على التساؤل، يمكن طرح ثلاثة سيناريوهات، الأول: أن الجزيرة لم ترغب ببث المقابلة كونها تضمنت اعترافا صريحا من بن لادن بالمسؤولية عن أحداث 10 سبتمبر، وهذا ما ترجحه صحيفة الـ نيويورك تايمز الأمريكية، وثانيا: إن عدم بث المقابلة مرتبط بما تضمنته من إدانة لمواقف قطر وانتقادها لمساندتها أمريكيا في الحرب على ما يسمى الإرهاب، وثالثا: إن الشريط المسجل لم يبث استجابة لضغوط أمريكية على قطر([144]).

---

142 - MYERS, JOANNE. Inter view with: Mohammed el-Nawawy, Adel Iskander about their books: **ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed the Middle East.** Electronic resource. Ibid
And look to: LYNCH, MARC. **voice of the new Arab public: IRAQ, ALJAZEERA and Middle East policy Today** .Ibid. P. 72.

143 - أنظر. إسماعيل، جمال. (2001). **بن لادن والجزيرة و..أنا.** بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

144 - ألشمري، طارق. **الجزيرة قناة أم حزب أم دوله** ، مصدر سابق. ص 83.

وزيادة على عدم بث الجزيرة مقابلة جمال إسماعيل لـــ بن لادن، لم تبث الجزيرة مقابلـــة أخـــرى فـــي ذات السياق أجراها تيسير علوني مع بن لادن بالتعاون مع قناة الـــ CNN، وقد رفض بـــن لادن الإجابـــة علـــى بعض تساؤلات علوني مثل: ما هي أهدافك المستقبلية؟ وبررت الجزيرة امتناعها عن بث المقابلة بأنها لم تكن تحمل قيمة إخبارية، لكن قناة CNN استطاعت الحصول على نسخة من المقابلة وأذاعتها دون التنســـيق مـــع الجزيرة على البث، مما دفع الجزيرة لفتح تحقيق في كيفية تسرب التسجيل لـــCNN.([145])

أما عن علاقة الجزيرة بحركة طالبان، فقد منعت الحركة جميع وسائل الإعلام مـــن تغطيـــة الحـــرب علـــى أفغانستان، حيث أعطي مندوبو ومراسلو وسائل الإعلام مهلة لمغادرة البلاد باســـتثناء قنـــاة الجزيـــرة التـــي احتكرت تغطية الحرب([146])، إلى جانب احتكار أشرطة بن لادن وعرضها، لكن المفارقـــة الأولـــى هـــي أن **الجزيرة وافقت على تقديم أشرطة بن لادن للأمريكيين قبل بثها بـــ 24 ساعة**([147]).

كما أن قصف القوات الأمريكية لمقر الجزيرة في كابول هو المفارقة الثانية التي ينبغي التنبه لها، ، فقد حظي الموضوع بتغطية مكثفة من قبل الجزيرة، وتم تصوير العملية بمثابة استهداف مباشر للقنـــاة وكـــأن عمليـــة القصف أعطت شهادة مصداقية للقناة بما ينعكس على الجمهور العربي عبر إعطائه مزيد من جرعات الثقـــة، ولكن الرأي الأخر حول حقيقة قصف مقر الجزيرة جاء من داخل القناة، فقد اعتبر مدير مكتب الجزيرة فـــي مصر" حسين عبد الغني" أن قصف مقر الجزيرة لم يكن متعمدا؛ لأن مكاتب الصليب الأحمر ضـــربت هـــي أيضا"([148]).

---

[145] - Y. Bessaiso, Ehab. **Al Jazeera and the War in Afghanistan: A Delivery system or a Mouthpiece?** From book: The Aljazeera Phenomenon. Ibid. P. 166.

[146] - el-Nawawy, Mohammed and Adel Iskander**: ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed the Middle East.** Ibid .p 24.

[147] - Oliver Da Lage.(2005) **The politics of Aljazeera or the Diplomacy of Doha**. From book: The Aljazeera Phenomenon. P. 60.

[148] - الزيدي، مفيد. **قناة الجزيرة كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي**، مصدر سابق. ص 73.

خصصت الجزيرة مابين عامي 2001–2003 " 61" برنامجا تناولت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من أحداث تحت مسمى الحرب على الإرهاب، وحظي برنامج الاتجاه المعاكس على وجه التحديد بثمانية حلقات، يكفي النظر إلى فحوى حلقتين إحداها قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر، والأخرى بعد الهجمات([149]).

استهل مقدم البرنامج" فيصل القاسم" حلقة 10–7–2001 والتي كانت بعنوان" بن لادن واليأس العربي والخوف الأمريكي" استهلها بالمقدمة التالية:" تحية طيبة مشاهدي الكرام، هل تعلمون كم يبلغ وزن الشيخ أسامة بن لادن؟ تساءل أحد الزعماء العرب في قمة عمان، والجواب لا يبلغ وزنه 50 كيلو جراما على أقل تقدير، أما متوسط وزن أي زعيم عربي فهو أكثر من 80 كيلوجراما على أقل تقدير، ناهيك عن وزن الجيوش والميزانيات الضخمة، مع ذلك فـ بن لادن صاحب القد النحيل يجعل أعتى قوة في التاريخ ترتعد أوصالها لسماع اسمه، أما أصحاب الأوزان الثقيلة جسديا وماديا فلا يثيرون في نفس أميركا إلا الشفقة وربما السخرية، هكذا يجري أحدهم المقارنة!!

ألم يصبح بن لادن ندا تخشاه أميركا...؟ من الذي جعل أمريكيا تصرخ آه وألف آه..؟ من ومن..الخ، لا يمكن فهم المغزى من مقدمة القاسم إلا تتويج بن لادن بطلا على المستوين العربي والإسلامي، واستطاع فيصل والجزيرة بشكل عام تتويجه بطلا من خلال صناعة المقارنات، واستحضار ما يلزم من شواهد تاريخية إضافة إلى عدم التوازن في التغطية، ففي الحلقة نفسها كانت مقدمة فيصل تعرض 9 أسئلة تمجد ببطولات بن لادن إضافة للمقدمة الاستهزائية، في مقابل 7 أسئلة تتحدث عن الرأي الآخر([150])!!

وفي الحلقة الثانية لبرنامج الاتجاه المعاكس في سياق الموضوع كانت بتاريخ 22–1–2002، دارت الحلقة حول مجموعة من التساؤلات أهمها، هل أساء بن لادن للإسلام أم خدمه؟ واستضاف البرنامج كل من عضو

---

[149] - للمزيد حول تحليل تغطية الجزيرة في موضوع الحرب على الإرهاب، ينظر دراسة عبد الرحيم علي. **الإعلام العربي وقضايا الإرهاب**، مصدر سابق . ص 23-106.

[150] - سيتم خلال الفصول التالية تحليل خطاب الجزيرة ضمن حالات مشابهة، خصوصا استراتيجيات المقارنة والتعارض. للمزيد حول فهم تقنيات تحليل الخطاب، ينظر:
براون، ج.ب. و ج. يول.(1997). **تحليل الخطاب**. ترجمة وتقديم: محمد الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود.

جمعية الصحفيين الكويتية" أسامة سفر"، والواعظ في الشؤون الإسلامية والأوقاف السعودية الشيخ" عبد الله بن متروك"، الذي أيد الشق الأول من التساؤل، أي أن بن لادن خدم الإسلام في هجماته، في مقابل الضيف الكويتي المعارض([151])، ويكفي هنا الانتباه إلى السعي القطري لإحراج السعودية عبر استضافة شخصيات سعودية تؤيد فكر بن لادن، سواء على المستوى الدولي من خلال تصعيد التوتر مع الولايات المتحدة في ظل الضغوط الأمريكية، خصوصا بعد أن تبين أن غالبية المشاركين في أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانوا سعوديين، وهو ما تتوج فعليا في نقل مركز القوات الأمريكية في الخليج العربي إلى قطر، أو من خلال إحراج السعودية على المستوى الشعبي العربي؛ من خلال تبيان الفجوة بين الموقف الرسمي السعودي والموقف الشعبي والعقائدي المؤيد لـــ بن لادن.

مما لاشك فيه أن بن لادن استخدم قناة الجزيرة للوصول إلى الجمهور العربي والعالمي([152])، وفي ذات الوقت استفادت الجزيرة ماديا وشعبيا، فيما جنت قطر ثمارا سياسية؛ تتلخص الاستفادة المادية في بيع الجزيرة لبعض التصويرات الهامة بمبلغ 20 ألف دولار لكل دقيقة([153]) وشعبيا عبر بلوغ عدد مشاهديها ما يزيد عن 50 مليون مشاهد، أما الاستفادة السياسية لقطر كانت من خلال لعبة علاقات دولية ذكية؛ فهي من جانب تحتضن الدبلوماسية الأمريكية وعسكرها، ومن جانب تتلقى الشكاوى من القادة العرب على تغطيات قناة الجزيرة، وكل عملية تدخل من قبل الدبلوماسية القطرية لحجم الجزيرة– أو هكذا تصور، هي في مقابل ثمن سياسي في المنطقة يكون نتاج تراكم هذه الفسيحات السياسية لعب قطر دور فعال في المنطقة، ويكفي النظر إلى الدور القطري في الأزمتين اللبنانية والفلسطينية الداخليتين لفهم حقيقة الدور الذي تلعبه الجزيرة في خدمة الدبلوماسية القطرية.

---

[151] - المصدر سابق. ص 48.

[152] - USTAD FIGENCHOU, TINE: **Courting, Criticism, Censorship and Bombs: The Push Administration Troubled Relations With Al- Jazeera Channel From September 11 to the war in Iraq**. Nordicom Review.27(2006) 1, PP.81-96.

[153] - Bessaiso, Ehab Y.. **Al Jazeera and the War in Afghanistan: A Delivery system or a Mouthpiece?** From book: The Aljazeera Phenomenon. Ibid. P. 166

المبحث الخامس: العلاقات القطرية الأمريكية في عيون" الجزيرة

ركزت إستراتيجية الأمير حمد في تحديث قطر على بناء علاقات قوية مع الولايات المتحدة الأمريكية، لدرجة أن أصبحت قوة هذه العلاقات مصدرا من مصادر خلافات بعض الدول العربية مع الحكم القطـــري الجديـــد، سيما أن طبيعة هذه العلاقات توصف بالتبعية وحتى بالتوسل، وتعبيرا عن هذه العلاقة كانـــت دعـــوة وزيـــر الخارجية القطري حمد بن جاسم ونصحه للدول العربية للتوسل للولايات المتحدة؛ كي تهـــتم أكثـــر بالقضـــايا العربية– كما سبق إيضاح ذلك.

والمميز في التجربة القطرية أنها لم تكن نتيجة ضغوط داخلية أو مشكلات اقتصادية، مما جعل منها نموذجـــا مشجعا أمريكيا، باعتباره سابقة مهمة في التغيير ونموذجا قابلا للتعميم، في ظـــل الارتبـــاط الوثيـــق للنظـــام القطري الجديد بالسياسة الأمريكية وتجاذباتها مع الدولة اليهودية، إضافة إلى درجة التواصل العالية مـــع دول المنطقة الحليفة في الركب الأمريكي الإسرائيلي، وتحديدا موريتانيا المرتبطة بعلاقات تجاريـــة ودبلوماســـية متينة مع إسرائيل، وقد زارها الأمير حمد في 18 حزيران 2003، لدعم النظام الذي نجا من محاولة انقلابيـــة من معارضين لسياسة هذه الدولة وعلاقاتها المشبوهة ([154]).

وزيادة على انطلاق الحملة الأمريكية في الحرب على العراق من قاعدة " العديد" القطرية بشكل رئيســـي، إلا أن الأمير حمد بن خليفة كان أول زعيم عربي زار واشنطن؛ ووصفت هذه الزيارة بأنها كانت دعوة أمريكية لتقديم الشكر للأمير لولائه ودعمه الصامت غير المحدود([155]). وأثناء زيارة بوش إلى الشرق الأوسط ما بين 5 و6 حزيران 2003، تنّكر بوش للعلاقات التاريخية الأمريكية السعودية، ومن قاعدة " العديد" القطرية قـــدم بوش الشكر لقطر بوصفها الحليف الاستراتيجي، إضافة إلى باقي دول الخليج باستثناء السعودية([156]).

---

[154] - ألعفيفي، فتحي**." الديمقراطية والليبرالية في الممارسة السياسية لدولة قطر"**. مصدر سابق، ص 62+63.

[155] - Halliday, Freed. **"Aljazeera: The matchbox that roaded".** Open Democracy. 23 - 03 – 2007. http://www.opendemocracy.net/globalization-vision_reflections/aljazeera_qatar_4466.jsp

[156] - ألعفيفي، فتحي**." الديمقراطية والليبرالية في الممارسة السياسية لدولة قطر"**. مصدر سابق، ص 64.

" إن أحدا لا يستطيع اتهام قطر بالعمل ضد المصالح الأمريكية"([157])، ومن هذا المدخل ينبغي فهم علاقة قطر بالإدارة الأمريكية، ومن المدخل ذاته فهم قناة الجزيرة كونها ملتزمة بالخط السياسي لبلدها ولا تنتقده، وهي بالأساس جزء من بنية المشروع التحديثي وانعكاس له وفيه.

تعتبر تغطية الجزيرة للحرب على أفغانستان المحطة الأولى في التأثير والتأثر المباشر مع الولايات المتحدة– الاحتكاك المباشر، كونها المصدر الرئيس لمصادر الأخبار عما يجري على الأرض، ومن ثم كانت المحطة الثانية في الحرب على العراق، إلا أن العلاقة التي حكمت الطرفين كانت مختلفة، وتفاوتت بين مد وجزر، وبين رضا ونقد.

قبل 11 سبتمبر أتقنت الجزيرة الدبلوماسية الأمريكية وكانت تلقى الدعم والتشجيع، وقد استضافت هذه الشاشة المسؤولين الأمريكيين من كولين باول ورامسفيلد، إلى كوندليزا رايس ومتحدثين عسكريين وآخرين، وحسب مدير مكتب الجزيرة في واشنطن حافظ الميرازي([158])، فإن مقابلة كولين باول على الجزيرة استقبلت بردة فعل إيجابية من قبل المشاهدين، ومن ضمن ما قاله باول" نحن نحتاج للحديث إلى الرأي العام العربي"([159])، وهذا بالفعل ما وفرته الجزيرة من خدمة. ويعتبر الأمريكيون أنهم منحوا القناة تغطيات خاصة، إلا أن العلاقات الجيدة انتهت عندما ركزت الجزيرة على الوجه القبيح لحربي العراق وأفغانستان، من هنا حاولت الإدارة الأمريكية إسكات القناة، رغم كونها جزءا من الدبلوماسية الأمريكية([160]).

تجتهد الدراسة في تفسير لحظة تحول الجزيرة من الرقص بنغمة منسجمة مع الدبلوماسية الأمريكية، كونها تعبيرا واضحا وحقيقيا عن المشروع التحديثي القطري، إلى خطاب ناقم على الأمريكيين، منذ اللحظة التي تلقت فيها الجزيرة وقطر ردودا ناقدة على تصريحات وزير الخارجية حمد بن جاسم، ودعوته القادة العرب لمزيد من التوسل للولايات المتحدة كي تهتم بالقضايا العربية، وقد قوبل هذا التصريح بردود فعل شعبية

157- Elmasry, Mohamed. **"Don't censor Al-Jazeera".** Media Monitors Network. July 22, 2004

158 - حافظ الميرازي عمل سابقا مديرا لمكتب الجزيرة في واشنطن، لكنه انتقد إدارة قناة الجزيرة، واتهماها بحسم النزاع الفلسطيني الداخلي لصالح حماس، وتحدث في مقال له عن تأثير الإخوان المسلمين وتحديدا مدير القناة وضاح خنفر على تغطية الأخبار في فلسطين والعالم العربي.
أنظر **حافظ الميرازي: الجزيرة تحولت إلى ناطق باسم "حماس" بعد تسلم خنفر لإدارتها**، صحيفة الوطن، مصدر إلكتروني:
http://www.watan.com/index.php?name=News&file=article&sid=959&theme=Printer

159 - Zayani, Mohammad and others.(2005). **Aljazeera Phenomenon** .P.196+197

160 - Steven P.Garney, Colonel**. Reporting from Qatar: This is Aljazeera.** Ibid. p 81

غاضبة، ولم يمكن من مجال أمام الجزيرة إلا عرض التصريح بعد أن تناولته غالبية وسائل الإعلام العربيـــة، وقياسا على ردود الفعل كان التغيير في الخطاب القطري العلني، فيما الجزيرة بدت ناقمة علـــى الأمـــريكيين، إلا أنها لا تزال تراعي حساسية عالية في تغطية الشأن القطري.

ورغم اعتبار تصريح الوزير حمد محطة حقيقية لتغير الخطاب بشقه الإعلامي، إلا أن هنالك محطات ســـابقة انتقدت فيها قطر، كفتح المكتب التجاري مع إسرائيل في الفترة التي كانت الـــدول العربيـــة تطبـــق سياســـة المقاطعة لإسرائيل، باستثناء موريتانيا، وقد رافق ذلك انتقادات إعلامية وشعبية، إلا أن الجزيرة لم تخصـــص برنامجا واحدا يتحدث عن دبلوماسية قطر وعلاقاتها الأمريكية الإسرائيلية، رغم أنها خصصـــت أكثـــر مـــن برنامج للحديث عن علاقات الأردن ومصر مع إسرائيل، وفي مناسبات اعتيادية.

وعودة للملف القطري الأمريكي، فقد طلب وزير الخارجية كولين باول في أكتوبر 2001 من الأميـــر حمـــد وقف تحريض الجزيرة، وفي الوقت ذاته، منحتها الإدارة الأمريكية مقابلة خاصة مع كولين باول، وحتى بعـــد استقالة باول، مُنحت الجزيرة مقابلة أخرى مع وزيرة الخارجية الجديدة كوندليزا رايس فـــي شـــباط 2003، وبات من الواضح أن التغير الحقيقي في الموقف الأمريكي من قناة الجزيرة في ظل علاقات المـــد والجـــزر، كان بعد بث الجزيرة شريطا مصورا مصدره تلفزيون عراقي يظهر مقتل 4 جنود أمريكيين وقد تم تعـــذيبهم وتعليقهم على أحد الجسور([161]).

إحدى المفارقات الهامة التي تضاف إلى سلسلة المفارقات غير المعنونة في الصفحات السابقة، تركيز الجزيرة على عمليات المقاومة العراقية ضد الأمريكيين، من خلال بث أشرطة بعض العمليات ومتابعتها في البـــرامج واستضافة المحللين، إلا أن وزير الخارجية القطري وانسجاما مع الموقف الأمريكي، عبر فـــي 17 حزيـــران 2003 من برلين عن قلق بلاده" من تطور عمليات المقاومة المسلحة ضد القوات الأمريكية في العـــراق، وأن على هذا الشعب السعي إلى كسب السلام سياسيا، وإلا تحولت بلادهم إلى أفغانستان أخرى"([162])، لو كان هذا التصريح منسوبا لغير مسؤول قطري لكانت التغطية مختلفة تماما، ومن الممكن بالاستناد إلى الأمثلة المختلفة

---

[161] - Steven P.Garney, Colonel**. Reporting from Qatar: This is Aljazeera**. Ibid. P.89.

[162] - ألعفيفي، فتحي**." الديمقراطية والليبرالية في الممارسة السياسية لدولة قطر"**مصدر سابق، ص 67.

إلى أن مثل هذا التصريح لكان أعطي محورا رئيسيا في نشرات الأخبار، إضافة إلى حلقة برنامج" مـــا وراء الخبر" في ذلك اليوم، وربما حلقة من" الاتجاه المعاكس" أو" أكثر من رأي"([163]) !

المبحث السادس:" الجزيرة" و "القرضاوي": سلطة خطاب الميديولوجيا

ليس من قبيل الصدفة أن يتوصل ريجيس دوبريه إلى مصطلح" الميديولوجيا"، فالتقنية أتاحت المجال لتطـــور الوسائط الإعلامية في السياق الذي تحدث فيه ماكلوهن على أنها رسائل، وليس بمعنى أنها قنوات وسيطة فقط لتحقيق غاية للتواصل، والشحنة الأيديولوجية وتحديدا الدينية حينما تسيطر وتستخدم خطـــاب التقنيـــة، فإنهـــا تشرع لخطابها مقابل خطابات أخرى قد تكون سلوكياتها أكثر تناغما مع خطابها من الأولى، لكنها لن تحظـــى بشرعية الخطاب الأول ما دامت تفتقد للسلطة بمعنى القمع الفكري، هذا على مستوى خطاب التقنية وخطـــاب الإيديولوجيا، فكيف يكون التأثير حينما تلتقي الإيديولوجيا الدينية مع المال والسياسة والتقنية؟

أضفت التقنية قيما جديدة للمواقف والأحداث، مما يعني أن الفضاء الإعلامي بشكل عام هو منـــتج لوســـط " كيميائي" تتفاعل فيه انساق مختلفة السياقات، لتنتج خطابا واحدا يكون المخرج النهائي والمعبر عن منظومـــة القيم التي تؤسس لها المؤسسة الإعلامية.

وفي سياق قطر وقناة الجزيرة، فإن الجمع بين شخصية الظـــواهري وأســـامة بـــن لادن واستضـــافة دائمـــة للقرضاوي وقاعدة العديد والمكتب التجاري الإسرائيلي مع رضا عام لجميع هذه الجهات المتناقضـــة، يعنـــي اعترافا واضحا من الباحث بصعوبة البنية المشكلة لخطاب القناة، رغم أنه تم تبيان بعـــض المفارقـــات التـــي تفككك بعض عناصر الظاهرة.

إن توافق القرضاوي مع السياسة القطرية، رغم تعارضه مع كثير من الدول العربية التـــي لا تمتلـــك شـــبكة علاقات معقدة كقطر، مثل السعودية ومصر يطرح أكثر من تساؤل حول ظاهرة القرضاوي، فهو من جانـــب يحرم مساعدة الأمريكيين في غزو العراق، وهو يقيم في قطر مركز الحرب على العراق دون أن يخصـــص

---

[163] - يشير المثال السابق إلى خطورة الخطاب وتقنياته في عمليات تشكيل المعرفة خصوصا عبر إستراتجيتي الحجب والاختيار، ينظر الفصل الأول في مبحثه الثالث وتحديدا المطلب الأول: آليات تشكيل الواقع المرئي.

قطر بأي من انتقاداته، يدعو إلى مقاطعة إسرائيل ووقف التطبيع، بينما تستضيف قطر المكتب التجاري الإسرائيلي في عام 2002 الذي شهد شبه مقاطعة عربية كاملة باستثناء موريتانيا وقطر.

في التفسير الأولي الذي يطرحه د. عادل اسكندر، حول التناقض في الجمع بين ظاهرة القرضاوي و القواعد الأمريكية في قطر، يعتبر أن هذه التناقضات هي التي تبق قطر فاعلة ومسيطرة، فهي تتعاون مع الأمريكان والإسرائيليين، بينما تعطي فسحة للقرضاوي المعارض المصري، ومحمد ألمسعري المعارض السعودي، لإضافة للظواهري وبن لادن لنقد أنظمة بلدانهم، وبالتالي توجيه الاهتمام العربي بعيدا عن السياسة القطرية الفعلية في المنطقة([164]).

إن التوافق بين قطر و القرضاوي مرده إلى أن الأخير يترأس هيئة علماء المسلمين العالمية، أكبر مؤسسة إفتاء إسلامية، بينما أتاحت له قطر رئاسة أو عضوية مجالس الإشراف الديني في أبرز المصارف الإسلامية، منها: بنك قطر الإسلامي، وبنك قطر الإسلامي الدولي، وبنك قطر الإسلامي للتطوير، ومؤسسة البراق للاستثمار..الخ([165])، وإلى جانب العمل المالي أتاحت له الجزيرة شاشتها مرة أسبوعيا على أقل تقدير خلال ظهوره المتواصل في برنامج" الشريعة والحياة".

وإلى جانب عدم تعرض القرضاوي بالنقد للنظام القطري أسوة ببعض الدول العربية، فإنه قدم خدمات لقطر على حساب دول عربية أخرى، فقد ساهم في التقارب بين قطر وإيران([166]) عبر علاقاته بالحوزات الشيعية، ورجال الدين الإيرانيين القريبين من دوائر صناعة السياسة الإيرانية، ولهذا التقارب جملة من الأهداف، على صعيد قطر، يمثل التقارب استفزازا للسعودية وإتاحة المجال لتنسيق أكبر مع إيران في قضايا الخليج العربي، إضافة إلى تقوية العلاقات التجارية بين البلدين، أما على صعيد القرضاوي، فإن شهرته تتعزز عبر شرعيته كوسيط وفاعل على مستوى العلاقات بين السنة والشيعة، ويتحقق له التأثير الأكبر عبر منبره المفتوح على

---

[164] - مقابلة أجراها الباحث مع **د. عادل اسكندر أستاذ الإعلام في جامعة جورج تاون**. جامعة بيرزيت 20-2-2008.

[165] - مارياني، إرميتي.(2003) **يوسف القرضاوي: سلطة إعلامية واقتصادية ورمزية**. من كتاب: الفضاء العربي. ترجمة ، فريدريك معتوق. ط1. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع. ص 224+ 532.

[166] - Halliday, Freed. **"Aljazeera: The matchbox that roaded".** Electronic resource. Ibid.

قناة الجزيرة، إضافة إلى توسيع سلطاته المالية عبر توسيع التعاملات التجارية لشبكات الاستثمار والبنوك التي يترأسها أو يشترك في عضويتها.

القرضاوي أصبح نجم العالم العربي والإسلامي من خلال الجزيرة([167])، وشهرة القرضاوي تمثل عامل جذب للمصارف التي تستهدف الوصول إلى زبائن من الطبقات الثرية والوسطى، إضافة إلى أموال المستثمرين والمهاجرين العرب الذين يشكلون مصدرا مهما فيما يخص بلدان الخليج، وخاصة قطر التي تعتمد على الطاقة الاستيعابية للمنظمات الأصولية السنية([168]).

وفي المجمل، فإن فهم خطاب الجزيرة وما يتضمنه من تنوع كبير في عناصر الخطاب ليس بالأمر الهين، لدرجة قد يفهم منها التناقض، أي كيف تجمع قطر والجزيرة بين القاعدة الأمريكية والعلاقات الدبلوماسية المتينة مع إسرائيل في مقابل احتضان واستضافة دائمة لشخصيات مثل القرضاوي والظواهري وبن لادن على شاشتها؟

إن قضية التناقض غير واردة إطلاقا مادامت بنية القناة وقبلها الدولة قادرة على شحن الجميع والتظاهر بأنها تتوسطهم وتسعى للتقريب بينهم، وهو ما يحصل تحديدا بشكل علني في مؤتمر الحوار الإسلامي العالمي الذي ينعقد في الدوحة، أما من يوجه الآخر: الجزيرة أم الدولة؟ فإنه بات من الواضح درجة التداخل الكبيرة بين فعل كل من الطرفين خصوصا على مستوى الخطاب، بحيث تبادر الجزيرة لتشكيل مواقف وإحداث، بينما تكون بعض التغطيات تعبيرا عن خطوات سياسية تنفذها دبلوماسية الدولة، وينحصر فعل الجزيرة حينها في حدود قوانين الانعكاس لهذه الدبلوماسية وفيها، لكن الأهم أن هنالك حدود للقناة لا تتجاوز فيها مماسات دائرة المياه الإقليمية للبنية الكبرى.

---

[167] - Parkho, Leon. **The Arab Aljazeera Vs Britin's BBC and America's CNN: Who does journalist right?** Electronic resource Ibid. PDF File. P.7. **www.acjourn**al**.org/holdings/vol8/Essays/**arab**2.pdf.**

[168] - ماريائي، إرميتي. **يوسف القرضاوي: سلطة إعلامية واقتصادية ورمزية**، مصدر سابق. ص 228.

الفصل الثالث: الجزيرة وتغطية الملف الفلسطيني الداخلي

المبحث الأول: تغطية الجزيرة لمؤتمر أنابوليس وتبعاته

المبحث الثاني: تغطية الجزيرة لحصار قطاع غزة

المطلب الأول: تغطية أزمة انقطاع الكهرباء

المطلب الثاني: تغطية أزمة معبر رفح

تمهيد

إن تخصيص دراسة جدلية الجزيرة وقطر– جدلية " الرأي والرأي الآخر" ضمن فترة زمنية معينة، يستهدف اختبار نوعين من العلاقات، الأولى: اختبار مدى التوافق بين النموذج والبنية نظريا، وثانيا: مدى انطباق دراسات الحالة مع الاستخلاصات العامة للبنية عمليا؛ انطلاقا من تفكيك ثنائية خطاب العمق والسطح خلال حالة دراسية محددة.

سبق إيضاح دعامات بنية خطاب العمق والسطح نظريا، من خلال تفكيكها وكشف استراتيجيات بنيانها في منظومات الإخفاء والإظهار، وفي المقاربات ومحاور الاستبدال إلى جوار تقنيات اللغة وتصويراتها، مضافة إلى تقنيات تشكيل المرئيات. وبشكل عام، فإن دراستها جميعها تتم ضمن حقل تحليل الخطاب([169])، والمطلوب عمليا هو تطبيق هذه الأدوات، بل الاستراتيجيات على نماذج عينية وحالات دراسية من الظاهرة الإعلامية قيد البحث.

من المناسب بمكان، التذكير باعتماد الدراسة إلى جانب الأدبيات السابقة والمقابلات، على منهج تحليل الخطاب؛ من خلال دراسة حالة بنيوية([170])، عبارة عن تسجيلات من قناة الجزيرة لمدة 3 أشهر([171]) تم أرشفتها من قبل الباحث، وتنقسم إلى نوعين: **حالة دراسية** متخصصة تتضمن تحليلا لتغطية الجزيرة للملف الفلسطيني خلال الفترة المحددة، وسيتم معالجتها ضمن الفصل الثالث. **وحالة دراسية** مختلطة تتضمن تحليلا لأحداث مرتبطة بالملف القطري السعودي، واللبناني الداخلي، إضافة إلى تغطيات أخرى، سيتم معالجتها في الفصل الرابع؛ وتستهدف إعطاء مصداقية أكبر لنتائج الدراسة من حيث القدرة على تعميمها.

إن الدافع لتحديد الحالة الدراسية وتقسيماتها يعود إلى ما تمتاز به فترة الدراسة من أحداث بنيوية، فهي أولا ضمن فترة مشاهدة الباحث بشكل متخصص، تدعم فيه المشاهدة بتسجيلات يمكن الرجوع لها وتحليلها

---

[169]- ينظر تعريف منهج تحليل الخطاب في صفحة" ص" ضمن المنهجية.

[170]- المقصود بمنهج دراسة الحالة البنيوية، هو اعتبار أن أي عينة من الظاهرة المدروسة يمكن تعميمها على كل الظاهرة، بشرط أن تكون الظاهرة بنيوية بالأساس، إلى جوار الحالة الدراسية المحددة المتضمنة عناصر بنيوية يمكن تحليلها ومقارنتها، ضمن أحداث ووقائع داخل الفترة الدراسية وخارجها، والعينة البنيوية لا تخضع لمحددات وشروط أنواع العينات الأخرى خصوصا في هذه الدراسة، نظرا لما تمتاز به الظاهرة المدروسة من تعقيد بنيوي يتطلب تقديم شواهد داخل العينة ومقارنتها بشواهد من خارج العينة، لذلك فهي ليست عينة بالمعنى التقني.

[171]- فترة الدراسة مكونة من تسجيل تغطية الجزيرة لمجمل الأحداث الواقعة خلال فترة 3 أشهر، بما يشمل جميع الإشكال الإعلامية من أخبار وتقارير وبرامج وتغطيات خاصة، وحددت فترة الدراسة من 2007/12/1 إلى 2008/2/30.

واختبارها على عينة تسجيلية أخرى سواء ضمن نفس الفترة المقصودة، أو ضمن عينة من فترة دراسية أخرى، مما يعني أن المقارنات الداخلية بين تغطية وأخرى، مدعمة بتقنيات تحليل الخطاب، تعطي فرصة أكبر لتعميم نتائج الدراسة.

إن توفر الخيار التقني– إجراء التسجيلات– هو الدافع الأول لاختيار مدة العينة وحدودها، افتراضا من الباحث بان أيه عينة ضمن الظاهرة المدروسة صالحة للتعميم، كما أن توفر التسجيلات يمكن الباحث من الرجوع لها في حال وجود أية إشكالية حول دقة العينة الخاضعة للمعالجة، مما يعطي مصداقية أكبر لشواهد الدراسة ومن ثم نتائجها.

و يستند الدافع الثاني في اختيار الحالة الدراسية إلى وجود تحولات واضحة داخل الملفات السياسية في المنطقة العربية والتي تثبت عند مقارنتها، الأبعاد الدولية لتغطية القناة من جانب، وارتباطاتها– أي الجزيرة– بالأجندة السياسية لدولة قطر سواء من حيث التوجيه أو التبعية، من جانب آخر.

ففي الحالة الفلسطينية، واضح وجود تحول في السياستين الداخلية والخارجية بعد وصول حركة حماس للسلطة، خصوصا الأزمة الدستورية بعد إقالة حكومة الوحدة الوطنية برئاسة القيادي في حركة حماس إسماعيل هنية، على إثر" الانقلاب" الذي نفذته الحركة في قطاع غزة. وفي سياق الجزيرة وقطر، تحاول الحالة الدراسية الإجابة على التساؤل المزدوج التالي: كيف عكست (انعكست) السياسة الخارجية القطرية من خلال الجزيرة (على) المشهد الفلسطيني؟

بشكل عام، يحتاج السؤال السابق إلى الفصلين الثالث والرابع لتقديم إجابة كاملة، ويختص الفصل الثالث من الدراسة في البحث في استراتيجيات وخيارات تناول قناة الجزيرة للملف الفلسطيني عموما، والملف الداخلي خصوصا في ظل حالات دراسية محددة، يتم خلالها تفكيك إستراتيجيات تغطية القناة، والتي تنتقل من تسطيح التغطية حينا، إلى تكثيفها حينا آخر، سواء في نشرات الأخبار أم التقارير، أم في تخصيص كم كبير من البرامج التي تستضيف المتخاصمين على الهواء، وتفاوتت المواقف من تغطية الجزيرة بين من اعتبرها تصب في نشر" الحقيقة"، وبين من وضع القناة في خانة الاتهام بالتسبب في " تأزيم" النزاع الفلسطيني الداخلي،

وتسارعت الانتقادات عبر وسائل الإعلام لهذه التغطية، والسؤال المطروح هو: لصالح من، ولخدمة من، التشهير والانتقائية في عرض الخبر الفلسطيني، وتنصيصه ضمن سياقات محددة([172])؟

المبحث الأول: تغطية الجزيرة لمؤتمر أنابوليس وتبعاته

إن تقديم إجابة عن الجهة التي يخدمها خطاب الجزيرة في توجيهه للخبر الفلسطيني، يقتضي تقديم شواهد من تغطية القناة وكيفية تناولها للحدث الفلسطيني بشقه الداخلي، والبداية من تغطية مؤتمر أنابوليس وتبعاته.

في شهر كانون الأول 2007، كثفت الجزيرة من تغطيها للملف الفلسطيني بعد مؤتمر أنابوليس، ففي 2 كانون الأول ركزت الجزيرة في نشراتها على عرض أزمة مياه المجاري في قطاع غزة، في جانبها الإنساني، وفي الوقت ذاته ربطت القناة الموضوع بمؤتمر أنابوليس عبر رد أزمة المجاري للحلقة الأوسع وهي استمرار الحصار الإسرائيلي على القطاع، وقد تصدر الموضوع الملف الأول في التغطية، إلا أن الجزيرة الناطقة بالانجليزية لم تعرض الأزمة إلا بعد يومين، وكان تركيزها على الانتخابات الروسية والفنزويلية.

إن سعي الجزيرة لاستدخال استنتاجاتها على العدوان الإسرائيلي على غزة، من خلال ربطه بمؤتمر أنابوليس، يفهم منهجيا على أنه سعي من القناة لفرض منطقها على الأحداث من خلال استخدامها لتقنيات الخطاب، وتحديدا عمليات الربط والاستحضار، وإعادة التشكيل ضمن التأثير في دائرة السياق ودره في تشكيل عملية الفهم، وسيتم في الأمثلة التالية، الكشف عن مواطن الخطاب ومنطقه في استخدام التقنيات([173]).

عرضت الجزيرة في نشرة حصاد اليوم بتاريخ 5 كانون الأول، تقريرا لـ ناصر ياسين، تضمن تصريحا لإسماعيل هنية يتحدث فيه عن منح مؤتمر انابوليس غطاءً للعدوان على غزة بعد سقوط 30 شهيدا خلال

---

[172] - انظر. الشرفا، وليد. **خطاب الجزيرة الفلسطيني: بناء النموذج وتشتيت القضية**. مصدر إلكتروني: http://www.hewaraat.com/forum/showthread.php?t=5313

[173] - يعكس سياق تقديم الأخبار دور الخطاب المؤسسي في تشكيل الأحداث وإزاحتها عن سياقها الفعلي، ويقع ضمن دراسة حقل السياقات عمليات الإحالة وإيراد المعاني الضمنية، وكذلك بناء الاستنتاجات. للمزيد. ينظر براون ويول. **تحليل الخطاب**، مصدر سابق. ص 35-42 .

أسبوع، وبعد التقرير استضافة القيادي في حركة الجهاد الإسلامي خالد البطش، وسألته المذيعة فيروز زياني: سيد البطش، حماس على لسان هنية ترى بأن أنابوليس هو من منح الغطاء لهذا التصعيد الإسرائيلي في قطاع غزة، هل تشاطرون هذه الرؤيا في الجهاد الإسلامي؟ وكان جواب البطش التأكيد على رؤية هنية([174]).

وفي فقرة صحافة المنتصف بتاريخ 7 كانون الأول، نقلت الجزيرة عن صحيفة" هأرتس" الإسرائيلية خبر تخوف إسرائيل من قدرة حماس على تطوير صواريخ القسام وتخزينها، وأن حماس حققت الانجاز الثاني، فيما هي على طريق إحداث تطور في قدرة الصواريخ لتصل عسقلان([175]).

وبتاريخ 8 كانون الأول، عرضت الجزيرة على الشريط الإخباري خبر" الفلسطينيون يعتبرون قرار مواصلة الاستيطان في جبل أبو غنيم ينسف عملية السلام"، والتصريح كان لرئيس دائرة المفاوضات في منظمة التحرير صائب عريقات، حسب ما ذكر وليد العمري في تقريره، إلا أن الشريط الإخباري لم ينسب التصريح لصاحبه، وفي ذات التقرير الحديث عن مواصلة إسرائيل للاستيطان مع عرض لصور أرشيفية حول السلام الحار بين الرئيسين الفلسطيني والإسرائيلي، وفي المحصلة كانت كلمة السر على الشريط الإخباري:" حماس تهدد باعتقال جنود إسرائيليين".

إن تحليل طبيعة تغطية الجزيرة لجملة الأخبار السابقة ممكن ضمن سياقين: سياق المضمون، وسياق التقنيات. على صعيد المضمون، تمثل تغطية الجزيرة للأحداث السابقة الشق الأول من مقولة" الرأي والرأي الآخر"، ففي الرأي الآخر غاب عن الجزيرة بتاريخ 9 كانون الأول، طلب حركة حماس من حركة الجهاد الإسلامي وقف إطلاق الصواريخ، وكان الرد من الأخيرة الترحيب بالمقترح مع اشتراط أن تكون الهدنة متبادلة، وفي 13 كانون الأول عرضت قناة العربية تقريرا لمراسلتها حنان المصري حول سيطرة حركة حماس على مجمع القضاة في غزة وعزل بعض القضاة، وتضمن التقرير تخوف المؤسسات الحقوقية من غياب شخصيات قضائية مؤهلة لتحل مكان القضاة السابقين، إضافة إلى التخوف من انهيار مؤسسات المجتمع المدني، إلا أن الخبر لم يرد ذكره في الجزيرة، في أي شكل من أشكال التغطية، مما يعني أن القناة مارست تجزئة للأحداث،

---

[174] - انظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم 5-12-2007.
[175] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة منتصف اليوم 7-12-2007.

عبر التركيز على أحداث دون أخرى، إضافة إلى حصر المشكلات في بؤر، كرد الحصار على غـزة إلـى مؤتمر أنابوليس([176]).

أما على صعيد تقنيات الخطاب، يتضح أن الأمثلة السابقة خضعت لعمليات حجب وتسطيح وإعـادة تشـكيل، بحيث أصبحت هنالك مساحة كبيرة بين الحدث والإخبار عنه،([177])، ففي خبر التهدئـة فـي غـزة، حجبـت الجزيرة عن المشاهدين الموقف الفعلي لحركة حماس وسعيها لتثبيت التهدئة، فيما سعت لاستحضار متحـدث عن حركة الجهاد الإسلامي. وذات الإستراتيجية تتبعها الجزيرة في انتقائيتها في عرض أقوال الصحف، فقـد ركزت القناة على ما ذكرته صحيفة هأرتس من تطوير حماس لصواريخ بعيدة المدى، لكنها تجاهلـت سـابقا خبرا آخر من ذات الصحيفة بتاريخ 18 تشرين أول يتحدث عن سعي حركة حماس لتثبيت التهدئة في غـزة، فيما ذكرت إذاعة" كول هداروم" الإسرائيلية أن قتل حماس لـ 7 مواطنين في غزة، وضغطها على الفصـائل الأخرى لوقف إطلاق الصواريخ، يعكس سعي حماس إثبات قدرتها على فرض التهدئة، على عكس ما كانـت علية أجهزة السلطة الفلسطينية من ضعف قبل الحسم العسكري([178])، إلا أن الجزيرة لم تخصـص برنامجـا واحدا لمناقشة الموضوع، كما اعتادت في برنامج وراء الخبر على أقل تقدير، مما يؤكد مجـددا أن التغطيـة هي انعكاس لأبعاد الخطاب الإعلامي المؤسسي.

---

[176] - أنظر نشرة أخبار العربية" آخر ساعة" بتاريخ 9-12-2007.
في الأمثلة السابقة تفعيل لخيارات الخطاب ودوافعه في تجزئة التغطية، وحصرها ضمن سياق معين، يختلف عن السياق الذي اتبعته قناة العربية مثلا في تصويرها لخبر سيطرة حماس على المحاكم في غزة، مما يعني أن لكل قناة خطاب محدد تمارس ودروها في تشكيل الوعي خلاله، للمزيد حول استراتيجيات الخطاب الإعلامي في التغطية والعرض، ينظر:
بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. مصدر سابق، ص 30-35.

[177] - تمارس عمليات الحجب والاختيار وإعادة التشكيل في التلفزيون دورا كبيرا في توجيه الجمهور تجاه قضايا معينة على حساب أخرى، بحيث تكون قيمة الخبر وتأثيره مرتبطة بالأسلوبية أولا، وفي رسالة المؤسسة ثانيا.
للمزيد حول عمليات الحجب والتشكيل في المرئي أنظر بيير بورديو. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. مصدر سابق، ص21-40
أنظر أيضا. بوبر، كارل وآخرون. **التلفزيون خطر على الديمقراطية**. مقالات مختارة، مراجعة وتقديم مجدي عبد الحافظ، مصدر سابق. ص 31-40.

[178] - أنظر تغطية مجموعة من الصحف والمواقع الإلكترونية لخبر سعي حماس لتثبيت التهدئة، فيما تجاهلت الجزيرة الموضوع، (استرجعت بتاريخ 26-3-2008).
http://www.alquds.com/node/15275
http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=104423&pg=2
http://www.al-ayyam.ps/znews/site/template/Doc_View.aspx?did=80811&Date=3/26/2008
http://paltoday.com/arabic/news.php?id=63267
http://www.elaph.com/ElaphWeb/Politics/2008/3/311443.htm

أما فيما يخص حجم الرأي والرأي الآخر في خطاب القناة على مستوى الحضور والغياب بالمعنى السطحي، أمكن القول أن منظومة التسطيح والتعميق، التخصيص والتعميم تظهر في خطاب الجزيرة، من خلال تحليل الأمثلة السابقة، وإحداها تصريح صائب عريقات حول نسف الاستيطان الإسرائيلي لعملية السلام، وقد عرضت الجزيرة الخبر على الشريط دون نسبه للمصدر، وفي ذلك عملية تعميم يمكن مقارنتها بالتخصيص كما في الخبر المنسوب لـ هنية على شريط الأخبار بتاريخ 5 كانون الأول:" مؤتمر أنابوليس أعطى غطاء للعدوان الإسرائيلي على غزة"، وبالرغم من اشتراك حركة الجهاد الإسلامي في الموقف حسب تصريح البطش على الجزيرة في ذات اليوم، إلا أن القناة فضلت إبقاء التخصيص على الموقف العام، في مقابل تعميم تصريح عريقات رغم أن فيه جانبا كبيرا من التخصيص([179]).

واستكمالا للتسلسل في عرض تغطية القناة، فقد استضافت الجزيرة في نشرة الحصاد بتاريخ 11كانون الأول مستشار الرئيس الفلسطيني نمر حماد، وكعادتها تصنع الجزيرة المقارنات بين القصف الإسرائيلي على غزة والمفاوضات، في كل مرة يتعرض فيها قطاع غزة للقصف، ووجه المذيع جمال ريان المداخلة التالية لضيفه حماد:" ربما تابعت ما عرض في التقرير قبل يوم من استئناف المفاوضات، **بالله عليك** يعني كيف يمكن لمفاوضات أن تستأنف تحت وقع القصف والتهديد والاجتياح في قطاع غزة"؟ وأثناء حديث حماد عن المطلوب من العالم لوقف العدوان الإسرائيلي، قاطعه جمال مداخلا:" المطلوب من قبل حماس مقاطعتكم لهذه المفاوضات، وتقول حماس إن هؤلاء الذين تفاوضونهم أيديهم ملطخة بدماء الفلسطينيين"([180]). ملاحظ من الأسئلة، بل المداخلات السابقة طبيعة الموقف الذي تحمله، ففي السؤال الأول نمط استهزائي لتفريغ موقف حماد ودعواته للمجتمع الدولي من مضمونها، وفي السؤال الثاني تخصيص حركة حماس وحديثها عن تلطخ أيادي الإسرائيليين بدماء الفلسطينيين، وكأن باقي الحركات الفلسطينية ترى غير ذلك.

---

[179] - يعتبر فعل التخصيص من استراتيجيات الإخراج التي تستهدف رصف الذاكرة بصور ذهنية إذا ما أضيف لها عنصر التكرار، تصبح بناءً ذهنيا جديدا يتجاوز الإخبار إلى الحقيقة ومن ثم المسلمات، وفي حقل تحليل الخطاب يقع ذلك ضمن الإجابة على التساؤل: كيف تكون المعلومة " مسلمة" نفسياً؟ إذا ما قرأ تجاهل الجزيرة لتصريحات البطش وتركزيها على تصريحات هنية، إضافة إلى الصور الذهنية التي شكلتها الجزيرة سابقا، أمكن القول أن دياليكتيك الحجب والإظهار هو في خدمة تشكيل المسلمات، وهو ذات السياق الذي تحدث عنه ريجيس دوبريه في مؤلفه **علم الإعلام العام: الميديولوجيا**، مصدر سابق.

[180] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ 11-12-2007.

على صعيد تقنيات الخطاب، يمكن فهم ابتداء ريان تساؤلاته لحماد بالقول" بالله عليك"، ضمن حقل الاستعارات وتحديدا الاستعارات الحجاجية التي تستهدف اجتذاب السامع وإبهامه، وهي بذلك تحمل معنى دلالـــي، لكنهـــا بالتأكيد منفصلة عن سياق الحدث([181]).

بات واضحا تأثير حضور تقنيات الخطاب على تغطية الجزيرة، لكن في سياق آخر، فإن التفاوت في خطـــاب الجزيرة بين القناة الناطقة بالعربية والقناة الناطقة بالانجليزية حتى على مستوى تغطية الموضـــوع الواحـــد، يعكس نظريا فلسفة البنية وتعدد أنساقها وخطاباتها، وعمليا ينطبق ذلك على افتراضات الباحث واعتبـــاره أن القناة الأولى تمثل رأيا، والثانية تمثل الرأي الآخر– حسب ما تؤكده الأمثلة التالية من تغطية القناتين.

عرضت قناة الجزيرة الناطقة بالانجليزية بتاريخ 15 كانون الأول تقريرا حول إحياء حركة حمـــاس لـــذكرى انطلاقتها، ويظهر في التقرير وزير الداخلية السابق سعيد صيام حاملا طفلا على رأسه وشاح الحركة ويحمل رشاشا، متبوعا بمشهد لصف من النساء اللواتي يرتدين اللباس العسكري ووجوههن مغطاة بوشـــاح الحركـــة أيضا، إضافة إلى صورة لرجل ملثم يركب حصانا ويحمل راية الحركة، ثم ينتقل التقرير لعرض مشاهد مـــن الحسم العسكري في غزة، وفي مشهد قصير يظهر طفل صغير يمشي عاريا تبع بمشهد آخر لطفـــل يســـرق كرسيا من أحد مقرات السلطة أثناء عملية الحسم العسكري([182]). في الجانب الآخر كانت تغطية قناة الجزيرة الناطقة بالعربية، فقد عرضت مقطعا من خطاب هنية يؤكد فيه علـــى التمســـك بالمقاومـــة ولـــيس طريـــق المفاوضات و" القبلات"، في إشارة منه إلى السلام الحار بين الرئيس عباس ورئيس الوزراء أولمرت، أما في بداية التقرير، ترد مغالطة تاريخية مفادها، اعتبار سمير أبو شماله أن الشيخ أحمد ياسين " اختار نهج المقاومة الشعبية سبيلا لمقارعة الاحتلال والعمليات الفدائية النوعية"، رغم أنه بين خيـــار المقاومـــة الشـــعبية ونهـــج العمليات الاستشهادية أكثر من 7 سنوات.

---

[181] - يعتبر أرسطو أن الاستعارة الحجاجية تستهدف إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي، إلى جوار إفساد كلام الآخرين ونزع الشرعية عنهم ، نظرا لقوة وشرعية الاستعارة. للمزيد حول الاستعارات وسياقات استخدامها حسب أنواعها، ينظر: أوكان، عمر.(2001). **اللغة والخطاب**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق. ص 123-139.

[182] - أنظر تغطية الجزيرة الانجليزية لإحياء ذكرى انطلاقة حماس بتاريخ: 15-12-2007.

بعد تقرير أبو شماله عرضت القناة تصريحا لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، قدمت له إيمان بنورة وعبد الصمد ملخصا يدور حول فعالية وتأثير حماس في إطلاق الانتفاضتين وتهديده بانتفاضة ثالثة، وبعد هذا التقديم، مقطع مصور لتصريح مشعل يتضمن تفسيرا أشمل.

يعكس المثال السابق البنية الحقيقية للجزيرة بين الخطاب العربي، والخطاب الموجه للغرب، ففي الأول تصوير عاطفي وتحريضي على الرأي الآخر ممن يوصفون بجماعة المفاوضات و" القبلات"، وبين الخطاب الموجة للعالم عبر اللغة الإنجليزية حيث تصوير قطاع غزة بالتخلف والرجعية عبر صور الطفل العاري أو الطفل الذي يسرق كرسيا، وبين التشدد الديني لنساء يرتدين الزي العسكري وأطفال يحملون السلاح، أي أن غياب الرأي والرأي الآخر على الشاشة الواحدة لا ينعكس على أطراف النزاع الفلسطيني الداخلي بقدر ما تتسع دائرة التضليل لمستويات عالمية، وهنا التساؤل قائم عن مصلحة الجزيرة الإنجليزية في تصوير قطاع غزة بالرجعية والتخلف عبر انتقائية عرض الصور وسياقاتها، وبين صناعة الجزيرة العربية للمقارنات بين خيار المقاومة والتمسك بالثوابت، وبين خيار" القبلات"، كما تسعى الجزيرة لترسيخ المصطلح وصورته الذهنية؛ عبر تكرار عرض صور تبادل الرئيس عباس للقبلات مع وزيرة الخارجية الأمريكية رايس، ورئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت!

ومنهجيا، يمثل التعارض السابق في تغطية القناتين نموذجا واضحا على خطورة خطاب المؤسسة، على اعتبار أن لكل من القناتين سياق معين ترغب في تعزيزه، وقد تم سابقا الإشارة إلى خطورة السياق على عملية الفهم ضمن إستراتيجيتي المعاني الضمنية والاستنتاجات، لكن في المثال السابق تفعيل لإستراتيجية جديدة وهي الإحالة، فإذا كنت مشاهدا باللغة العربية فإن الجزيرة تحيلك إلى نموذج البطولة والصمود في غزة، لكن إذا كنت مشاهدا للقناة الإنجليزية، فهي تحيلك إلى قطاع غزة المتخلف والرجعي حيث الأولاد حفاة في الشوارع، يسرقون الكراسي، ويحملون السلاح، فيما النساء يرتدين الخمار و الزي العسكري([183]).

---

[183] - ينبغي ملاحظة أن مقاصد المتحدث هي في آخر المطاف المعيار الأساسي في عملية الإحالة، فالحدث بدون إخبار لا يحيل إلى شيء سوى ثبات الصورة الذهنية السابقة لحين استحداث تغيرات جديدة، للمزيد حول فعل الإحالة.
أنظر: براون و يول. **تحليل الخطاب**. مصدر سابق. ص 35+36.

وبالعودة لتسلسل الأحداث، فقد استضافت الجزيرة الانجليزية بتاريخ 16 كانون الأول، محمد العلمي تاجر من قطاع غزة، تحدث عن أموال أنابوليس والحاجة لها في تنفيذ مشاريع إنمائية فعالة، لكن الجزيرة العربية عنونت الملف الفلسطيني في نشرة الحصاد" أحلام السلام وواقع الحواجز"، وإذا تم ربط هذا الكلام بالتغطية السابقة يتضح جليا سعي الجزيرة لتصوير فشل مؤتمر أنابوليس وما تقرر عنه، ورغم اعتبار بعض السياسيين المؤتمر غير مجد، إلا أن التغطية الإعلامية تسبق النتائج الفعلية المتوقعة من المؤتمر لتخط رسالة فشله، على عكس تغطية الجزيرة الانجليزية التي حاولت رسم صورة متفائلة.

إن عنونة التغطية بـ" أحلام السلام وواقع الحواجز" يشير إلى صناعة المقارنات، فالسلام ما يزال حلما، لكن الحواجز واقع، وبناء على ذلك على المشاهد أن يختار بين العقل وصور الواقع في وجود الحواجز، واحلام السلام، وفي ذلك فرض منطق القسمة والتعارض([184]).

لا ينعكس تأثير تغطية الجزيرة على تصنيفها للقوى الفلسطينية بين خيارين: خيار المقاومة، وخيار التفاوض، و" القبلات"، بل هنالك تجاهل لقوى معينة تدخل ضمن تصنيف الجزيرة نفسها لقوى المقاومة، وتحديدا تغطية أخبار حركة الجهاد الإسلامي، ففي 17 كانون الأول اكتفت الجزيرة بعرض سريع لصور اغتيال 3 نشطاء من الجهاد الإسلامي بينهم قائد السرايا في غزة وشمالها ماجد الحرادين([185])، ورغم أنه لا يفصل عملية الاغتيال عن نشرة الحصاد سوى ساعات قليلة، إلا أن الجزيرة فضلت عرض تقرير حول إفراج الإسرائيليين عن ناشطة من حماس، وقد رافقها طاقم الجزيرة من الحاجز الإسرائيلي، حيث تم إخلاء سراحها إلى المنزل مع مواكبة الاحتفالات، ورغم عرض التقرير في نشرات سابقة إلا أنه كان له الأولية على خبر الاغتيال. وقد كانت فاتحة نشرة أخبار الحصاد حول مؤتمر أنابوليس ما أسمته الجزيرة" وعود المال تسبق وعود السلام"، فيما عرضت شرين أبو عاقلة في تقرير لها، مشاهد من داخل مصنع في القطاع توقف بسبب الحصار، وتحدث صاحب المصنع عن عدم تفاؤله من المؤتمر إذا لم يرفع الحصار عن غزة، إضافة إلى تركيز

---

[184] - يعتبر فوكو أن منظومة التقسيم والرفض من استراتيجيات الخطاب، التي تمارس عمليات استبعاد- حجب، وفي خطاب الجزيرة، فإن التركيز على المعارضات والثنائيات مثل: أحلام السلام وواقع الحواجز، وعود المليارات تسبق وعود المفاوضات ، حصار وقطاف سلام مؤجل... الخ، تستهدف جميعها تعزيز منطق الخطاب في القسمة والرفض، وبالتالي التعارض بين العقل والحمق. أنظر فوكو، ميشيل. **نظام الخطاب**. مصدر سابق. ص 9.

[185] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ: 17-12-2007.

التقرير على الحواجز في الضفة، في رسالة غير معنونة مفادها فشل دعوات السلام والمال قبل وصولها، لكن الرسالة الأخرى التي سقطت بفعل ترتيب الأولويات هي خبر اغتيال قادة الجهاد.

واستمرارا من الجزيرة في عدم إنصاف حركة الجهاد الإسلامي، فإن سقوط 12 شهيدا في قطاع غزة بتاريخ 18 كانون الأول، غالبيتهم من الجهاد الإسلامي لا يكون حافزا لاستضافة متحدث من الجهاد، وعوضا عن ذلك، استضافت الجزيرة المتحدث باسم حماس إسماعيل رضوان للتعبير عن استمرار المقاومة، كما أن سقوط شهيدين من الجهاد الإسلامي وآخر من ألوية الناصر صلاح الدين بتاريخ 15 كانون الثاني يدفع الجزيرة مجددا لاستضافة إسماعيل رضوان في تقرير الجزيرة من غزة، وكأن الفصائل التي ينتمي لها الشهداء لا علاقة لها بالأمر.

وفي الوقت ذاته، يمكن فهم استضافة رضوان للتغطية على الأخبار التي تداولتها وسائل الإعلام حول طلب حماس من الفصائل الفلسطينية وتحديدا الجهاد الإسلامي لوقف إطلاق الصواريخ، وبدلا من الرأي والرأي الآخر، عرضت الجزيرة على الشريط:" الحكومة المقالة تنفي طلبها التفاوض مع إسرائيل لوقف الصواريخ"([186])، لكن الجزيرة لم تعرض الخبر الأصلي كما ورد في صحيفة هأرتس، والذي يتحدث عن خطوات حماس الفعلية لدفع فصائل المقاومة على التهدئة، فيما يبدو وكأن الجزيرة لم تعتد الاقتباس من وسائل إعلام إسرائيلية. ومما لا شك فيه أن خيار عرض أخبار الصحف وحجبها مرتبط بخطاب القناة نفسها، والخاسر مجددا من خيارات الجزيرة في التغطية هي حركة الجهاد الإسلامي التي لا تحظى بعرض أخبارها بشكل متوازن، وإلا كيف يمكن فهم خسارة الجهاد لعدد من قادتها على مدى يومين من الاغتيالات، فيما تحول الجزيرة التعاطف الشعبي لصالح حركة حماس عبر استضافة متحدثيها، بدلا من متحدثي الجهاد الإسلامي؟

يفتح التساؤل السابق الباب مجددا للبحث في كيفية تشكيل المعرفة في ظل خطاب مؤسسي متعدد الأنساق، إلا أن منظومة الحجب والتسطيح مقابل الإظهار والتضخيم، كما في تمايز الخبرين السابقين بين استشهاد قائد وإفراج عن سجين، تثير مجددا خطورة تشكيل المعرفة في الخطاب الإعلامي، بما يعزز ما قله بورديو، بناءً

[186] - أنظر الشريط الإخباري على قناة الجزيرة بتاريخ: 18-1-2008.

على تحليل تقنيات الخطاب الإعلامي: " التلفزيون يدعي الإبلاغ عن الحقيقة، لكنه يخلق حقيقته الخاصة بشكل كبير"([187]).

وعودة لتسلسل الأحداث، ففي اليوم الأول من العام 2008 ، قتل 7 فلسطينيين في مواجهات بين حركتي فتح وحماس([188])، هكذا جاءت التغطية في الجزيرة، لكن المتحدث باسم حركة الجهاد الإسلامي خالد البطش، والذي استضافته القناة في نشرة المساء لمعرفة سير وساطة الحركة بين حماس وفتح ، قال أن الوساطة نجحت في منع اقتحام منزل القيادي في فتح أحمد حلس إضافة إلى منازل العائلة، إلا أن التصريح لم يعرض كاملا في النشرات التالية، وتم اقتطاع الجزء الذي يتحدث عن الحيلولة دون اقتحام منزل حلس، وفي نشرة الحصاد فقد استضافت الجزيرة القيادي في الجبهة الشعبية جميل مزهر، للتعليق على اجتماع فصائل منظمة التحرير في غزة، وقد أدان مزهر الاعتداء على القيادي إبراهيم أبو النجا واختطافه لساعات، وبالرغم من تصريحات البطش ومزهر، لم تسعى الجزيرة لتقديم أي استيضاحات حول الحادثين سواء بالتقارير أم المقابلات، وبالنظر إلى تصريح البطش، فإن الجزيرة لم تسعى للاستيضاح عن الجهة التي تحاصر حي آل حلس وأسباب ذلك، بالرغم من أن القيادي في حماس محمود الزهار أشار في تصريح سابق على الجزيرة بأنه يعتبر حلس من القيادات الوطنية التي بقيت بعيدة عن" الفتنة" في غزة، وفي هذا الموضوع بالتحديد، يبدو أنه غاب عن الجزيرة صناعة المقارنات.

ترتبط تغطية الجزيرة السابقة منهجيا بعمليات الحذف والتخصيص ضمن عمليات تحليل الخطاب، كون تغطية الخبر مرت بثلاث مراحل: في التغطية المباشرة عرض لتصريحات البطش كاملة، فيما حذفت مقاطع من التصريح في النشرة الإخبارية التالية، مما تسبب بنوع من التعميم في الخبر بعد عمليات الحذف، وفي الخطوة الثالثة المرتبطة بتسلسل التغطية تم إعادة صياغة المعلومة وبنائها في سياق آخر غير سياق الحدث([189]).

---

[187] - . PIEER BOURDIO(1998) .**ON TELEVION.** Ibid. p 24

[188] - أنظر تغطية الجزيرة للملف الفلسطيني بتاريخ: 1-1-2008.

[189] - تعتبر عمليات التخصيص من استراتيجيات بناء الخطاب وتحليله في الوقت ذاته، ويشير فان ديك إلى أن عمليات التخصيص تمر بثلاث مراحل: 1- حذف كل المعلومات وبالتالي تجاهل حدثية الحدث وغيابه لصالح الإحداث عن خبر آخر 2- التعميم الذي ينشأ عن منظومة الحذف سواء بشكل كلي أو جزئي 3- البناء، حيث تندمج المقترحات الجزئية لتكوين تسلسل معين يستبدل بمقترح كلي جديد.
أنظر. شومان، محمد.(2007) . **تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. ص 80.

واستمرار من الجزيرة في تغطية أحداث الاقتتال الداخلي، عرضت في نشرة أخبار الثامنة بالتوقيت المحلي تقريرا لـ هيثم أبو صالح، قال فيه:" إن عناصر فتح خرجوا لإحياء ذكرى انطلاقة الحركة متحدين تعليمات الشرطة في غزة"، لكن في المقابل، فإن تقرير الجزيرة في ذكرى انطلاقة حماس كان مختلفا تماما، وابتدأه سمير أبو شماله بالتالي:" شعار المهرجان فجر الانتصار من قلب الحصار، يجسد تصميم الشعب الفلسطيني على مواصلة المسيرة رغم كل ما يعترض الطريق من عقبات وصعوبات، حسب القائمين على المهرجان، جموع حاشدة أمت موقع الكتيبة غرب مدينة غزة لإحياء ذكرى الانطلاقة"([190]). واضح في المقارنة بين التقريرين، أن جماهير حماس هي فجر الانتصار من قلب الحصار، إلا أن سقوط قتلى في مسيرة لفتح في ذكرى انطلاقتها، يعتبر تحد لتعليمات الشرطة في غزة!

والغريب أيضا في تغطية الجزيرة، أنها لم تستكف بعرض الصور النمطية السابقة، بل سعت لترسيخها، فقد عرضت في نشرة الحصاد تقريرا جديدا لـ عبد القادر دعميش، يتضمن مسيرة لتشييع طفل قضى في الاشتباكات، حمل بعض المشاركين فيها رايات حركة حماس، ومن ثم مشاهد من بكاء أم الطفل وصورا للدمار الحاصل، لكن لا صور للحظة تفريق التظاهرات وإطلاق النار.

يقارن دعميش في تقريره منع المسيرات في الضفة بمنعها في غزة، بل ويبر قرار منع المسيرات في غزة بمنع مسيرات حماس في الضفة في 15 كانون الأول رغم اختلاف الحالتين من حيث سقوط الضحايا وطبيعة التغطية، وهنا لابد من التساؤل عن عمليات تشكيل المقارنات والمقاربات، ومن يحدد ظهورها في تبرير أعمال معينة، فيما تغيب المقارنات عن أحداث أخرى؟

يلاحظ في تقرير دعميش سعيه لقطع تسلسل الأحداث عن سياقها، من خلال صناعة المقارنات والتأثير في بنية السرد، بحيث فصل أحداث غزة عن سياقها وأعطاها سياقا جديدا من خلال فعل المقارنة، مما ترتب على ذلك اغتراب فعلي بين الحدث وطريقة سرده في التغطية الإخبارية؛ بما يعكس دوافع السارد([191]).

---

[190] - أنظر تغطية الجزيرة لانطلاقة حركة حماس في غزة بتاريخ: 15-12-2007.

[191] - تعبر بنية السرد عن دوافع السارد، بحيث يراوغ الصحفي بين الإسهاب والاستطراد، إضافة إلى تقويم وتعديل وقت عرض الخبر في السياق السردي، ولهذا الموضوع أهمية كبيرة في تحليل الخطاب ودوافعه.
انظر: Cotter, Colleen.(2005). **Discourse and Media**. From The handbook Of Discourse analysis. rd1 .Edited by: Deborah schiffrin , Deborah Tannen & Heidi E. Hamitton.UK: Blackwell Publishing .p.425.

وللتأكيد على تقنيات الخطاب في الجزيرة بين المقارنات والمفارقات، عرضت بتاريخ 10 كانون الثاني مسيرة لمتظاهرين في رام الله، محتجين على زيارة بوش، ركزت فيها على صور رجال الشرطة وهم يعتدون على المتظاهرين وينزعون منهم بالقوة اللافتات التي يحملونها، كما علق جمال ريان على الصور المعروضة، قائلا:" وخلال لقاء عباس وبوش، فرقت قوات الأمن الفلسطينية بالقوة عشرا ت المتظاهرين الذين كانوا يطالبون إسرائيل بوقف الحصار، وقد انتزع رجال الأمن اللافتات التي حملها المحتجون المطالبون بإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال والذين يتجاوز عددهم 10 الآلاف"([192])، وبعد عرض الصور استضافت الجزيرة القيادي في حماس أسامة حمدان للتعليق على الصور، وهنا الحصاد الشعبي وكلمة السر في التغطية، وكان الأولى بالقناة استضافة أحد القيادات الفلسطينية المشاركة بالتظاهرة، وليس استضافة متحدث لم تشارك حركته في المسيرة.

يلاحظ من الاقتباس، سعي الجزيرة لتعزيز موقف ما من خلال المقارنات، أي أن رجال الشرطة قمعوا المتظاهرين لمطالبتهم بوقف الحصار، كما أن انتزاع لافتات المتظاهرين كانت مقابل دعواتهم لإطلاق سراح الأسرى، لكن منهجيا، يفهم كلام ريان في صناعة علاقات مفترضة بين السبب والمسبب على أن توجيه للحدث وتمثيله في إحالات تؤسس لمعان جديدة مضمرة في بنية التعليق على الصور([193])، فقد فات الجزيرة القول بأن المظاهرة غير مرخصة، كما فعلت وبررت تفريق حركة حماس لمسيرات حركة فتح في غزة، وحينها سقط عدد من الضحايا– كما سبق تبيان ذلك، إلا أن الجزيرة ركزت في جميع نشراتها على عرض صور قمع مسيرة العشرات في رام الله، لكنها افتتحت تقاريرها في مسيرات حركة فتح في غزة، بالقول:" في خطوة وصفت بتحد لتعليمات الشرطة في غزة"، وفي ذلك حكم مسبق وتوجيه للمعلومة، أي أن من كسر تعليمات الشرطة في غزة هو من يتحمل ما ترتب على ذلك من سقوط ضحايا، لكن كسر المتظاهرين لتعليمات شرطة رام الله يتحمل مسؤوليته رجال الشرطة أنفسهم!

---

[192] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ: 1-1-2008.

[193] - سبق تبيان خطورة السياق الذي يقدمه الخطاب الإعلامي على عملية الفهم، ففي الخبر السابق صناعة مقارنات وإحالات وتأسيس لمعان ضمنية، يلاحظ عند تحليلها ومقارنتها بنماذج أخرى من خطاب القناة أنها غير موجودة بالطريقة التي عرضت في الخبر السابق. للمزيد حول دور السياق في عملية تشكيل الخطاب وتحليله. ينظر: بروان ويول. **تحليل الخطاب**. مصدر سابق. ص 35-39.

واستكمالا لتغطية الجزيرة المكثفة لزيارة بوش، عرضت القناة تصريحا لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل معلقا على الزيارة، إلا أن الجزيرة ركزت على انتقادات مشعل للسلطة أكثر من انتقاداته لبوش وتحميله له مسؤولية استمرار العدوان على غزة، فيما صاغت على شريطها الإخباري بتاريخ 16 كانون الثاني الأخبار التالية متسلسلة:" الرئاسة الفلسطينية تعلن الحداد 3 أيام احتجاجا على مجزرة غزة. مشعل: إعلان الحداد لا يكفي والرد الحقيقي وقف المفاوضات. مشعل: الموقف المطلوب للرد على مجزرة يجب أن يكون عمليا. مشعل يحمل بوش مسؤولية المجزرة بعد الغطاء السياسي لمؤتمر أنابوليس. مشعل : تصريحات بوش بالمنطقة تضمنت تحريضا على الفلسطينيين. مشعل: يدعو الجميع لرفع الحصار عن غزة ردا على المجزرة([194]).

واضح أن هنالك تصريح واحد لموقف السلطة يتضمن إعلان الحداد ردا على عدوان غزة، لكن هنالك 5 تصريحات من خطاب مشعل تورد على الشريط، وفعليا لا يحمل تصريح مشعل قيمة إخبارية جديدة، لكن إعلان السلطة وقف المفاوضات كموقف غير اعتيادي يحمل قيمة خبرية، ومن المستغرب أن لا يتم تضمينه على الشريط.

وزيادة على تخصيص الشريط الإخباري بخطاب مشعل وإيراده في مختلف النشرات الإخبارية، خصصت الجزيرة في نشرة الحصاد فقرة لخطاب مشعل تضمنت مقطعا من تصريحاته متبوعة باستضافة القيادي في حماس محمد نزال للتعليق على تصريحات مشعل، وشتم موقف السلطة وتخوينها.

إن فهم سبب تركيز الجزيرة على تصريحات مشعل وانتقائيتها، ثم انتقائية السياق وحجب خبر وقف السلطة المفاوضات، يفسر على أنه إعادة إنتاج للحدث باستخدام تقنيات الخطاب، وتحديدا محددات الاختيار والحجب في الاقتباسات المباشرة وغير المباشرة، على اعتبار أن عملية الاختيار تمثيل لوجهة نظر([195]).

---

[194] - أنظر الشريط الإخباري على الجزيرة بتاريخ: 16-1-2008.

[195]- اختيار الاقتباسات المباشرة وغير المباشرة أمر مهم في التغطية الإخبارية، والجواب البسيط على من يحدد اختيار هذا الاقتباس من ذاك، هو خطاب المؤسسة ذاتها، وعملية اختيار الاقتباسات تندرج ضمن تحليل الخطاب في سياق فهم طبيعة المعلومات واختيارها، وكذلك ضمن منظمة الحجب والإظهار. أنظر:
Cotter, Colleen.(2005). **Discourse and Media .** Ibid. p. 423 + 424.

كما أن من استراتجيات خطاب الجزيرة تقديم الأقوال على الأفعال، بل نسب الأحداث إلى أقول لا علاقة لهـا بحدثية الحدث، ففي ذات اليوم الذي تخصص فيه الجزيرة قيمة خبرية لتصريحات مشعل، تتجاهل سقوط ثلاثة شهداء في غزة هم قادة في ألوية الناصر صلاح الدين، وتكتفي الجزيرة على الشريط الإخبـاري بـالقول: " استشهاد 3 فلسطين وجرح 3 آخرين في غارة إسرائيلية في غزة، لكن لغرض المقارنة، فقد أوردت الجزيـرة على الشريط الإخباري بتاريخ 19 كانون الثاني، التالي1:" شهيدان و 6 جرحى من كتائب القسام في غـارتين إسرائيليتين على غزة". مؤكد أن تجاهل ذكر تسمية انتماء شهداء ألوية الناصر صلاح الدين رغم أنـه مـن القادة، مقابل ذكر انتماء شهيدين إلى كتائب القسام، ليس بالأمر العفوي، بل هو ضمن إستراتيجية عامة تتبعها الجزيرة في تغطيتها تتأكد على طول فترة الدراسة وتسلسل الأمثلة([196]).

المبحث الثاني: تغطية الجزيرة لحصار قطاع غزة

سعت الجزيرة في تغطيها لمؤتمر أنابوليس إلى إحباط الجمهور قبل مشاهدة أي انعكاسـات محتملـه علـى الواقع، من خلال إستراتيجيتين: الأولى: طبيعة الاختيارات في التغطية قبل المؤتمر وأثناءه وبعده، كـالتركيز على قضايا الاستيطان والحواجز والحصار الإسرائيلي على غزة، وتصويرها بشكل مكثف وكأنها لم تكن من قبل.

وفي الإستراتيجية الثانية: سعي الجزيرة لتعظيم ردود الفعل حول مؤتمر أنابوليس وربطه بحصار قطاع غزة، ومما ساعد القناة في تشكيل الانطباع السلبي حول المؤتمر الضيوف الدائمون على شاشتها أمثـال:" المفكـر العربي"– كما تنعاه الجزيرة– عزمي بشارة، ونائب المنسق العام لحزب كفاية عبد الحليم قنديل، وكذلك رئيس تحرير صحيفة القدس العربي عبد الباري عطوان([197]).

---

[196] - يلاحظ في المثال السابق، استخدام صيغتي المجهول والمعلوم في تحديد انتماء الشهداء، وعند ربط الموضوع بالتكرار يتضح أن صيغة المجهول تخدم الإخفاء والتسطيح، فيما صيغة المعلوم تقدم التعزيز وتمنح المصداقية للخطاب الإعلامي ورسائله. أنظر الشريط الإخباري على الجزيرة بتاريخ: 19-1-2008.

[197] - واضح من التقديم السابق، تركيز الجزيرة على استخدام إستراتيجيتين في التغطية: نوعية التغطية وتكثيفها، ونوعية المدعوين إلى الشاشة، الأمر الذي ينعكس على تسريع تأثير فعل التعزيز على الجمهور، خصوصا حينما يشترك في عمليات قوليه الحدث، فعلي التجزئة والتغطية العاجلة. للمزيد، ينظر. شلر، هربرت. **المتلاعبون بالعقول**. مصدر سابق، ص 30-35.

المطلب الأول: تغطية أزمة انقطاع الكهرباء

قلصت إسرائيل في الـ 20 من كانون الثاني 2008 من تزويد قطاع غزة باحتياجاته اليومية من الوقود، تحت مبررات استمرار إطلاق الصواريخ من قطاع غزة، ووصلت الأزمة الإنسانية إلى درجة تهديد حياة المرضى في المستشفيات جراء نقص الوقود والأوكسجين، إضافة إلى تعطل الحياة العامة، بسبب توقف محطة كهرباء غزة عن التوليد.

غطت الجزيرة بشكل مكثف أزمة انقطاع الكهرباء في غزة، ومثلت الأزمة الملف الأول في تغطية القناة، ولكن السؤال القائم هنا: كيف غطت الجزيرة الأزمة؟

لا يتوقع من السؤال التمهيد للحديث عن تغطية للجزيرة مختلفة عما سبق من ملفات، خصوصا تقنيات الخطاب واستراتيجياته، وتأكيدا على ذلك وفي نشرة الحصاد بتاريخ 20 كانون الثاني، استضافت القناة كل من: المحلل السياسي عزمي بشارة و الناطق باسم الرئاسة الفلسطينية نبيل أبو ردينه، ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، إضافة إلى المتحدث باسم الإخوان المسلمين في عمان حمزة منصور، وكذلك نائب المنسق العام لحركة كفاية عبد الحليم قنديل.

من الملاحظ قبل الدخول في تفاصيل الموضوع، أن اختيار المتحدثين يحمل موقفا بالأساس، أي أن جميع الضيوف باستثناء أبو ردينه يمثلون موقفا واضحا ومسبقا ومتوقع نمط حديثهم، وهنا المفارقة الأولى([198]).

وفي تفاصيل التغطية بدأت الجزيرة بتقرير لمراسلها وائل الدحدوح يظهر فيه قصص إنسانية حول معاناة المرضى في غزة جراء انقطاع الكهرباء، وبعد التقرير تحدثت المذيعة إيمان عياد مع ضيفها من داخل الأستوديو المفكر العربي عزمي بشارة، للتعليق على العملية العسكرية في غزة، وما كان من بشارة إلا تحميل مسؤولية ما يجرى في غزة للمشاركين في مؤتمر أنابوليس، وقد تحدث بشارة لمدة 3 دقائق و 10 ثوان دون مقاطعة، إلا أن نبيل أبو ردينه الذي تمت استضافته عبر الهاتف من عمان يتحدث لمدة دقيقتين و 25 ثانية يجيب فيها على سؤال جمال ريان : ما هي خيارات السلطة في ظل العدوان الإسرائيلي؟ يقاطع حينما يقارن

[198] - أنظر نشرة أخبار حصاد اليوم بتاريخ: 20-1-2008.

بين حصار غزة وحصار رام الله عام 2003، ويقول له جمال: إن حصار رام الله يختلف، فحينها كانت المفاوضات متوقفة.

يلاحظ أن أبو ردينه مقارنة بكلام بشارة سؤل مرتين في وقت أقل من سؤال مفتوح لـ بشارة، وهنا المفارقة الثانية والتي تعزز ما بعدها، فقد تبع كلام أبو ردينه باستضافة خالد مشعل عبر الفيديو– وليس التلفون– من دمشق وسألته المذيعة إيمان عياد عن أولوية حياكة الثوب الفلسطيني في هذه المرحلة، لكن مشعل بدأ بشكر الجزيرة والدعاء لطاقمها بحسن الجزاء من الله لمدة 30 ثانية، يستمر بعدها بالحديث عن الوضع العربي والفلسطيني لمدة 12 دقيقة و 27 ثانية دون مقاطعة يتحدث فيها بخطاب ديني وعبر موجة مفتوحة، وبعد ذلك يسأله جمال ريان عن الخيارات الممكنة وهل في نية حماس العودة للعمليات الاستشهادية؟ يبتعد مشعل عن الإجابة ويبدأ بتقديم النصائح والتوصيات لأبي مازن والسلطة لمدة 4 دقائق دون مقاطعة، وينهي كلامه دون إجابة السؤال، وكأن السؤال هو تدعيم للخطاب وليس تحديد وتوجيه للإجابة، بدليل عدم مقاطعته حينما لم يجب عليه، واستمر بالحديث لمدة 4 دقائق متواصلة، في حين قوطع أبو ردينه في حديثة بعد الدقيقة الأولى وهنا المفارقة الأكبر. ومن الضروري العودة إلى تغطية تصريحات مشعل في 16 كانون الأول سابقة الذكر، لفهم كيف يتم تشكيل الرأي العام في الجزيرة([199]).

لم تكتف الجزيرة في توجيه الرأي العام إلى ما سبق ذكره، بل عرضت بعد كلام مشعل، تقريرا جديدا عن الأوضاع الإنسانية في غزة في ظل انقطاع الكهرباء، ثم تبع التقرير مجددا بحديث عزمي بشارة عن العلاقة بين العدوان على غزة وزيارة بوش للمنطقة، واستمر في كلامه لمدة دقيقتين و 40 ثانية، وبعد فاصل قصير توجه المذيع جمال إلى عبد الحليم قنديل من القاهرة للحديث عن إمكانية قيام ردة فعل عربية شعبية استثنائية؛ للتضامن مع إخوانهم في غزة. ابتعد قنديل عن السؤال وبدأ بشتم الأنظمة العربية وتحديدا مصر وتحميله إياها

---

[199] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ: 20-1-2008.
يعتبر بورديو أن فهم فعل الخطاب من حيث توزيع الوقت على المتحدثين في التلفزيون، ومقاطعة بعضهم دون آخرين، من أدوات تحليل الخطاب التي تؤكد للباحثين والمتخصصين يوما بعد يوم، بان المرئي لن يكون عادلا بين ضيوفه، وبالتالي تعزيز اعتبار أن جميع النقاشات على شاشة المرئي هي موجهة وعدة مسبقا. لمزيد من التوضيح حول آليات عمل الخطاب وتشكيل الرأي العام اعتمادا على استراتيجيات الإظهار والإخفاء والمقارنة والمفارقة، التسطيح والتعميق عبر المرئي، ينظر.
BOURDIO, PIEER (1998) .**ON TELEVION.** Ibid. p 245 -255.
جميع النقاشات على شاشة المرئي هي موجهة وعدة مسبقا. لمزيد من التوضيح حول آليات عمل الخطاب وتشكيل الرأي العام اعتمادا على استراتيجيات الإظهار والإخفاء والمقارنة والمفارقة، التسطيح والتعميق عبر المرئي، ينظر.
BOURDIO, PIEER (1998) .**ON TELEVION.** Ibid. p 245 -255.

مسؤولية مشاركتها في العدوان الإسرائيلي، بسب إغلاقها معبر رفح واتهامها بالاستمرار في توريد الغاز لإسرائيل، وبعدها يكمل شتمه للأنظمة العربية ويركز على استقبال بوش والرقص بالسيوف في إشارة منه إلى ملك البحرين، ويستمر في حديثه لمدة دقيقتين و18 ثانية، قبل أن تحول إيمان الموجة المفتوحة إلى حمزة منصور من عمان، بعد سؤاله عن نشاطات الإخوان في تنظيم المسيرات وسبب تأخر الفعاليات، ليبدأ منصور كما زميله قنديل بشتم الأنظمة العربية ويتحدث لمدة دقيقتين و 16 ثانية.

يلاحظ من التفصيل الموسع طبيعة تغطية الجزيرة واستراتيجياتها في العرض سواء في طبيعة الضيوف أم الوقت المتاح لهم، أم في اختيار الأسئلة وما تحمله من شحنة معرفية، وزيادة على كون 4 من المتحدثين يمثلون رأيا واحدا في مقابل أبورديه، إلا أن الوقت المتاح للأخير هو أقل من أقل متحدث من الرأي الآخر مقارنة بعدد الأسئلة، أما من حيث طبيعة الأسئلة، فإن جميع المتحدثين باستثناء أبو ردينه توجه لهم أسئلة مفتوحة، زيادة على أن المذيعين لم يقاطعا أحدا من الضيوف سواه([200]).

يعتبر المثال السابق نموذجا واضحا على انطباق جميع استراتيجيات تشكيل الخطاب على قناة الجزيرة بحيث لم يعد بالإمكان الاكتفاء بشعار الجزيرة الإنجليزية:Aljazeera Setting The News Agenda كتعبير عن فعل الجزيرة وخطابها في تشكيل الرأي العام، ومن الدقة القول أن الإحداث عبر الجزيرة تفكك ويعاد تشكيلها، كما يؤكد ذلك البحث على امتداد صفحاته.

واستكمالا لتغطية الجزيرة لأزمة الوقود، فقد أوردت شرين أبو عاقلة في نشرة أخبار السابعة بالتوقيت المحلي بتاريخ 21 كانون الثاني، خبرا عن جهود تبذلها الرئاسة الفلسطينية للضغط على إسرائيل لمواصلة تزويد القطاع بالوقود، إلا أن شرين تجاهلت تخصيص الحديث و إيراد تصريح مستشار الرئيس نمر حماد والذي أعلن فيه عن" تجدد دخول المحروقات إلى غزة بعد نجاح جهود الرئاسة"، كما ذكرت مراسلة الجزيرة الانجليزية نور عودة، وزيادة على تجاهل الإعلان عن الخبر كخبر عاجل نظرا لأهميته، ثم تأخير عرضه

---

[200] - إن صياغة السؤال أمر مهم في فهم وتحليل دوافع الخطاب الإعلامي، فمن خلال استخدام الأسئلة الخمسة في الصحافة" من؟ متى؟ أين؟ كيف؟ لماذا؟" يمكن تحليل الخطاب الإعلامي حينما تغيب بعض هذه التساؤلات أو الإجابة عنها في قضية، ثم تظهر في قضية أخرى. للمزيد حول فهم تأثير السؤال الصحفي وطبيعته في الخطاب الإعلامي ينظر:
Cotter, Colleen. **Discourse and Media .** Ibid. p. 425-428

لأكثر من ساعة، ولكي لا تنسب الجزيرة نجاح الجهود إلى رئاسة السلطة انتظرت إعلان متحدث باسم الخارجية المصرية حول الموضوع، لتورد الخبر على صيغة خبر عاجل، رغم أن شرين أبو عاقلة لمحت لمصدر الخبر، كما حددت نور عودة بشكل صريح نسبه قبل أكثر من ساعة على إذاعته في الجزيرة العربية، والسؤال المشروع هنا: ما هي مصلحة الجزيرة في تأخير عرض الخبر العاجل، حينما أورده نمر حماد، والانتظار حتى إعلان الخارجية المصرية؟ ([201])

إن تأخير الجزيرة إذاعة خبر قرب عودة الوقود لقطاع غزة حتى خروج المتحدث المصري، لا يعني إنصافا لمصر، بقدر سعي الجزيرة لعدم تصدير الخبر من الرئاسة الفلسطينية، حتى لا يحسب لها فك أزمة الوقود جزئيا في غزة، والدليل على ذلك، أن الجزيرة وبعد أن استضافت في نشرة حصاد اليوم في اليوم السابق، عبد الحليم قنديل من حزب كفاية المصري، وقد أظهر جرأته في شتم النظام المصري، واتهامه بحصار غزة إلى جانب إسرائيل، رغبت الجزيرة مجددا في استضافته في وقت أطول عبر حديثه في برنامج ما وراء الخبر بتاريخ 21 كانون الثاني، وبالفعل أتاحت مقدمة البرنامج جمانة نمور لضيفها كل الفسحة للحديث دون مقاطعة، في مقابل وقت أقصر للمحل السياسي من عمان سلطان حطاب، بل وزيادة على ذلك تركت جمانة ضيفها قنديل يختم بشتم مصر ويحملها مسؤولية كل ما يجري، رغم أن كلامه معاد، وقد استمر في حديثة بشتم النظام المصري مدة 3 دقائق و 15 ثانية، دون مقاطعة ([202])!

وفي سياق الفرق بين تغطية الجزيرة الناطقة بالعربية والجزيرة الناطقة بالانجليزية حول أزمة معبر رفح، فقد حولت القناة الناطقة بالعربية الأزمة في غزة إلى أزمة عربية عربية، فيما بدت الجزيرة الانجليزية عقلانية أكثر منها عاطفية، في تصوير الوضع الإنساني وعرض وجهات النظر المختلفة، ابتداء بتصريحات أولمرت مرورا بتصريح عمرو موسى إلى جانب استضافة متحدث من وكالة الأمم المتحدة للإغاثة من القدس للحديث عن الأزمة الإنسانية في قطاع غزة، ومن خلال المقارنة يتضح أن الجزيرة الناطقة بالعربية سعت وتسعى لتوجيه الضغط الشعبي الناقم للعدوان الإسرائيلي على غزة إلى الدول العربية وتحديدا مصر، عبر توظيف

[201] - أنظر نشرة أخبار السابعة على قناة الجزيرة 21-1-2008، وكذلك نشرة أخبار السادسة على قناة الجزيرة الانجليزية في ذات اليوم.

[202] - أنظر برنامج ما وراء الخبر على الجزيرة بتاريخ: 21-1-2008.

جميع إستراتيجيات الخطاب، إلى جوار السعي لاستضافة متحدثين ذوي خطابات عاطفية، لا يشتمون الاحتلال الإسرائيلي بقدر شتمهم للأنظمة العربية، وعلى العكس من ذلك بدت الجزيرة الإنجليزية.

تهدف الأمثلة السابقة إلى الإجابة عن السؤال المفترض: لخدمة من تسعى الجزيرة في تغطيتها إلى تأزيم العلاقات العربية العربية؟

بات واضحا أن تأزيم العلاقات العربية العربية مطلوب قطريا، فالسياسة القطرية تتفعل في الأزمات، والدليل على ذلك الوساطة في الأزمة اللبنانية الداخلية، وفي النزاع الفلسطيني بين حركتي فتح وحماس، والنزاع السوداني بين جماعة الترابي والرئيس حسن البشير، إضافة إلى الوساطة في اليمن بين الحوثيين ونظام الرئيس علي عبد الله صالح، وسيتم في الفصل الرابع الحديث عن الوساطة القطرية في الأزمتين اللبنانية والفلسطينية كنموذج على طبيعة وأهداف الوساطات القطرية.

المطلب الثاني: تغطية أزمة معبر رفح

نتيجة لإغلاق الاحتلال جميع معابر قطاع غزة ووقف إمدادات الوقود ومجمل الاحتياجات الرئيسية، بدأ " سكان القطاع" يتوجهون إلى معبر رفح على شكل تظاهرات نسويه في البداية إلى جانب تصريحات سياسية، وصلت فيما بعد إلى اقتحام المعبر وتفجير الشريط الحدودي، وقد حولت الجزيرة عملية اقتحام المعبر إلى انتصار، عبر تغطيتها الإعلامية المكثفة، والتي لم تخل من مضامين سياسية اعتمادا على التصويرات العاطفية.

بدأت الجزيرة حملتها الإعلامية لتصدير أزمة القطاع إلى مصر، استنادا إلى مبررات الأزمة الإنسانية، بحيث أن غياب القرار السياسي المصري لفتح المعبر، يعني أن مصر هي من يحاصر القطاع ويمنع تزويده

بالاحتياجات الأساسية، وإلى جوار ذلك، تسببت الجزيرة في تغطيتها لأزمة المعبر في تعزيز الانقسام الفلسطيني عبر التركيز على المواقف المتناقضة بين" سلطتي" رام الله وغزة.

في 22 كانون الثاني بدأت الجزيرة نشراتها الإخبارية بعد نشرة منتصف اليوم بصور لنساء يصرخن قبالة معبر رفح في ظل إطلاق نار كثيف، فيما حاولت مجموعة من النسوة اقتحام المعبر بعد عراك مع الشرطة المصرية عند البوابة الحدودية، إلى جانب عرض وائل الدحدوح في تقريره نساء يصرخن على الجزيرة، مطالبات بفتح المعبر، وإذا جمعت صرخات النسوة في المقابلة بمشهد فزعهن وخوفهن من إطلاق النار عند بوابة المعبر تكون الجزيرة قد شكلت مشهدا عاطفيا إنسانيا، أخطر ما فيه أنها لم توضح أن مصدر إطلاق النار كان فلسطينيا، حسب ما تظهر بعض الصور، إلى جانب عدم تركيزها على إصابة أكثر من 20 جنديا مصريا بعضهم بالرصاص الحي([203]).

يلاحظ من المثال السابق، سعي الجزيرة من خلال المشهد العاطفي إلى تحوير البصر ومكننته لدى الجمهور، بحيث يفرض الخطاب الإخباري بكل مكوناته من صورة وصوت وما بينهما من ترتيب وإعادة صياغة، صورة جديدة منفصلة عن سياقها، تعزز من أهمية زاوية من زوايا الموضوع على حساب الأخرى، من هنا أمكن التأكيد على أن تحليل الخطاب يتضمن القيمة الإخبارية، ودور الجمهور، إلى جانب العناصر المفتاحية التي تعبر جميعها عن أيدلوجية الخطاب الإعلامي، والتي تتعزز بفعل التكرار من خلال الأمثلة التالية([204]).

كما أن استخدام صرخات النساء كصوت وصورة وتدافعهن عن بوابة المعبر إلى جوار تعليق القناة، يعتبر عاملا مؤثرا في تشكيل الانطباع الأول لدى الجمهور، " فالشيء الذي يستهل به المتكلم أو الكاتب حديثه لابد وأن يؤثر حتما في فهم كل ما يلي لاحقا، وهكذا يؤثر العنوان في فهم النص الذي يتبعه"([205]).

وفي نشرة أخبار التاسعة بالتوقيت المحلي، استضافت الجزيرة الناطق باسم حماس مشير المصري ، وسأله جميل عازر:" لماذا الاحتجاج عند معبر رفح وليس عند معبر آخر؟ أجاب المصري بأنه على الجميع تحمل

---

[203] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة منتصف اليوم وما تبعها وصولا إلى نشرة الحصاد بتاريخ 22-1-2008.

[204] - إن طبيعة البيانات المقدمة في الخطاب الإعلامي، والسياق التي توضع فيه، تدفع باتجاه تعزيز دوافع الخطاب الإعلامي.
أنظر: Cotter, Colleen. **Discourse and Media .** Ibid P 425-430

[205] - براون ويول. **تحليل الخطاب**، مصدر سابق. ص 155.

مسؤولياته، لكن عازر لم يقاطعه ليسأله عن مسؤولية حركة حماس، كما فعل زميله علي الظفيري في نشـــرة الحصاد في مقاطعته لضيفه من الحزب الوطني المصري، ثم يعود عازر ويسأل مشـــير المصـــري بســـؤال مفتوح عن موقف حركته من مبادرة الرئيس عباس لاستلام المعابر.

واستكمالا لذات الحدث، سأل علي الظفيري في نشرة الحصاد وبعد عرض تقرير الدحدوح الســـابق الـــذكر، جهاد عودة عضو اللجنة السياسية في الحزب الحاكم المصري، عن التفسير المصري لما جرى عنـــد بوابـــة المعبر، فيما السؤال الثاني كان: هل ترى مصر محاولة الاقتحام هي خطوة من حماس لإحراج مصر؟ وحينما يتحدث الضيف عن خيارات حماس في غزة و كيف تتعارض مع خيار الرئاسة، قاطعه الظفيري قائلا:" هـــذه قضية جدلية وبحاجة إلى نقاش مستقل، لكن قضية ما اقترحه الرئيس عباس من تسلم المعابر، ما هو الموقف المصري من المبادرة"؟ فأجابه عوده:" مصر مع الشرعية..، قاطعه الظفيري قائلا:" حماس منتخبة يا دكتور"، يحاول الضيف أن يكمل، ويقول له الظفيري:" هذه قضية أخرى".

يلاحظ مما سبق مقاطعة الظفيري للضيف المصري 3 مرات، ولغرض المقارنة يمكن العـــودة إلـــى نشـــرة الحصاد قبل يومين، أي بتاريخ 20 كانون الثاني، حيث استضافت الجزيرة 4 متحدثين ضد موقف مصر مـــن أزمة المعبر، فيما كان متحدث واحد مع الموقف الرسمي المصري، يتاح له أقل وقت مـــن بـــين المتحـــدثين ويقاطع، بينما الضيوف الأربعة الآخرون لا يقاطعون ويأخذون حيزا أكبر، وهنا تأكيد من جديد على بنيويـــة الظاهرة، بحيث أن دراسة أي حدث بحاجة إلى ربطه بما سبق من أحداث كمعيار للحكم على طبيعة التغطية. كما تفهم المقاطعة الانتقائية كجزء من استراتيجيات الخطاب في حجب المعلومات، وغالبا مـــا تـــتم عمليـــات الحجب من خلال المقاطعة بحجة انتهاء الوقت، أو الخروج عن الموضوع([206]).

---

[206] - للمزيد حول استراتيجيات الخطاب في حجم المعلومات وإعاقة تدفقها إلى الجمهور. ينظر: بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**، مصدر سابق. ص 70-72.

وفي تغطية الجزيرة في اليوم التالي، استضافت في نشرة الحصاد جمال عبد الجواد، عضو اللجنة السياسية في الحزب الوطني الحاكم، وسألته خديجة بن قنة عن احتمال وجود تنسيق مع الجانب الفلسطيني في غزة بخصوص ما يجري على المعبر، ثم سألته عن تصريحات الرئيس مبارك وتحميله حماس وإسرائيل مسؤولية ما يجري في غزة مع مقطع لتصريح مبارك، وتساءلت بن قنة قائلة:" يعني إسرائيل مفهوم تحملها للحصار في غزة، لكن كيف يحمل مبارك حماس مسؤولية الأوضاع؟ يلاحظ أن التساؤلات المحرجة توجه للمصرين، فيما الأسئلة الموجة لمشير المصري– كما في تصريح سابق– مفتوحة، ولا يوجه للمصري سؤال عن مسؤولية حماس لإدارتها قطاع غزة، حينما تحدث عن أنه على الجميع تحمل مسؤولياتهم.

واستكمالا للتغطية، وبعد استضافة عبد الجواد عرضت الجزيرة مقطعا لتصريحات هنية حول اقتراح حماس الاتفاق على ترتيبات لفتح معبر رفح، وقد مهدت خديجة للمقطع التسجيلي بالقول:" إن هنية قال أن حكومته مستعدة لوضح كل الترتيبات اللازمة بما يضمن المصالح العليا للشعب الفلسطيني والأمن القومي المصري"، وبعد تصريح هنية سأل علي الظفيري مبعوث الرئيس عباس إلى مصر نبيل شعت عن موقف السلطة من طرح هنية، وقد أشار شعت إلى أن الاقتراح بالأساس من الرئيس عباس، لكن الجزيرة وبعد البحث في الأرشيف يتبين أنها لم تعطي الموضوع اهتماما في حينه، حينما كان مقترح إدارة المعبر مطروحا من قبل رئيس السلطة.

أما في برنامج ما وراء الخبر، فقد كرسته الجزيرة للحديث عن اقتحام معبر رفح، وقد استضافت الجزيرة في الحلقة الضيف الدائم عزمي بشارة للتعليق مجددا على الموضوع، إلى جانب الباحث في مركز الأهرام وحيد عبد المجيد، ووجه لعزمي في الفقرة الأخيرة من البرنامج سؤال حول الأعباء القانونية المترتبة على مصر لفك الحصار، وفي إجابة اعتبر بشارة أنه ليس هنالك مسؤولية قانونية على مصر لفك الحصار، واستمر في تحليله" القانوني" لمدة دقيقتين ونصف، والملاحظ أن السؤال قانوني وبحاجة إلى إجابة من مختص في القانون،

لكن اختيار الضيف بشكل متكرر إلى جوار السؤال، ومن ثم إتاحة المجال له ليختم الحلقة ويقدم الانطباع الأخير، يعزز بكل وضوح سلسلة التحليلات والأدلة السابقة على دور الجزيرة في توجيه أزمة معبر رفح عبر وضع الكرة في الملعب المصري.

وفي موضوع تقنيات الخطاب في الجزيرة، فقد أوردت على الشريط الإخباري بتاريخ 26 كانون الأول الأخبار التالية متسلسلة: عباس يتمسك بشرط تراجع حماس عن سيطرتها على غزة لإجراء الحوار. مشعل: حماس تقبل دون شروط دعوة مبارك للحوار مع فتح. الحكومة المقالة في قطاع غزة تقرر إعفاء تجار قطاع غزة من الجمارك، نظرا للظروف الصعبة في القطاع.

يلاحظ في الخبرين الأولين ذكاء الجزيرة ليس فقط في ترتيب الأولويات وصناعة المقارنات، بل في ذكاء المحرر في صياغة الخبر وقوة دلالته، ففي خبر مشعل: حماس تقبل دون شروط...، وليس حماس تقبل دعوة مبارك للحوار مع فتح دون شروط، فالتقديم في الموقف جاء لخدمة التناقض مع الموقف السابق لعباس، وهو بذلك يعكس تأثيرا أكبر من حيث الترابط من الخبر الثاني، خصوصا إذا قرأ الخبران متبوعان في الخبر الثالث، فإعفاء تجار قطاع غزة من قبل الحكومة المقالة يعطي دلالة إيجابية، لكن حكومة رام الله سبق وأن أعفت سكان القطاع من بعض الضرائب منذ الحسم العسكري، إلا أن أرشيف الجزيرة لم يورد أنها كانت قد غطت الخبر([207]).

من الهام ملاحظة إن القارئ العادي للأخبار الثلاثة المتسلسلة على الشريط، بشكلها المجتزئ، يتعزز لديه الانطباع بأن الرئيس عباس يضع شروطا على الحوار وبالتالي غير مكترث مما يجري في غزة، فيما حكومة حماس ترحب بالحوار دون شروط، بل وتسعى للتخفيف على المواطنين من خلال إلغاء الضرائب عن التجار، في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة. وقد بات واضحا من المثال السابق التأكيد مجددا على خطورة

---

[207] - تؤكد الأمثلة السابقة مجددا على منظومة الحجب والإظهار في الجزيرة، وتعزيزها من خلال طبيعة الضيوف المدعوين على الشاشة، ويضاف إلى ما سبق تأثير اللغة في تشكيل المعرفة، وخيارات اللغة في قوة التعبيرات وضعفها.
للمزيد حول فعالية اللغة في الخطاب، ينظر: كوش، عمر. **اللغة والخطاب**. مصدر سابق.
وأيضا: شومان، محمد. **تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية**. مصدر سابق. ص 50+51.

السياق في عملية الفهم وتشكيل المعرفة لدى الجمهور، وتحليل الأمثلة السابقة خطابيا يكشف عن مشكلة في النظام التسلسلي للأحداث، أي كيف تم اختيار العبارات وصياغتها وموضعتها متسلسلة بما يخدم خطاب المؤسسة الإعلامية ودوافعها، كما تعتبر الأخبار القصيرة على الشريط الإخباري بمثابة عناوين، " ويجب النظر إلى العنوان على أنه مساو للموضوع، بل هو تعبير ممكن واحد عن ذلك الموضوع، وهو أداة إبراز له قوة خاصة"([208]).

وانتقالا إلى شهر شباط من العام 2008، وفي اليوم التاسع من الشهر، خصصت الجزيرة برنامج ما وراء الخبر للحديث عن تصريحات وزير الخارجية المصري قوله إن مصر ستكسر رجل كل من يحاول اختراق الحدود، وقد عرضت الجزيرة إضافة إلى ما ورد في البرنامج تقريرا يوضح التفاوت بين الموقف المصري الرسمي والموقف الشعبي من اقتحام الفلسطينيين للحدود، وكذلك أذاعت ندوة على الجزيرة مباشر للتأكيد على تفاوت الموقفين، إضافة إلى أن جميع نشرات أخبار الجزيرة في ذلك اليوم، ركزت على الاقتباس من كلام أبو الغيض:" ... سنكسر رجل كل من يحاول اقتحام الحدود"، وفي برنامج ما وراء الخبر، أعاد علي الظفيري وركز على الاقتباس 3 مرات، محاولة للتأكيد على معنى التصريح واشتقاق دلالات جديدة، عبر فعلي التكرار والتعليق على الاقتباس المجزوء عن سياقه، سواء من قبل الظفيري، أم من قبل الضيوف([209]).

أما على الشريط الإخباري، فقد عرضت الجزيرة الأخبار التالية:" فياض يطالب حماس بعدم التدخل في قضية معابر غزة". حماس:" يجب أن يكون معبر رفح معبرا فلسطينيا مصريا"، وبعيدا عن دلالة ترتيب التصريحين رغم وضوحها، لم تكتفي الجزيرة بصناعة المقارنة، بل عرضت تصريح فياض مقطوعا عن سياق حديثه

---

[208] - تثير الاقتباسات السابقة مشكلة التنظيم المعرفي للأحداث ودورها في فرض خطاب معرفي معد سلفا، من خلال ترتيب الأخبار باتجاه تعزيز صور ذهنية ذات دلالات محددة، إضافة إلى خطورة صياغة العنوان ودلالاته في التغطية الإخبارية.
أنظر: براون ويول. **تحليل الخطاب**، مصدر سابق. ص 162+173.

[209] - يلاحظ فيما سبق خطورة التعليق والتكرار، خصوصا حينما يتم ربطه بسرعة التفكير، ودورها في تجاوز العقل النقدي وعمليات العقلنة لصالح وجبات أيديولوجية سريعة، تتعزز عندما يتم اقتطاع الخبر عن سياقه. للمزيد حول فهم فعل التلفزيون في هذا السياق ينظر: بوبر، كارل وآخرون. **التلفزيون خطر على الديمقراطية**. مقالات مختارة. ترجمة ودراسة: مجدي عبد الحافظ، مصدر سابق.

وإدانة للحصار الإسرائيلي، وكان مقطع تصريح فياض المستخدم في نشرة الحصاد 14 ثانية، فيما أتاحت الجزيرة لمشير المصري 4 دقائق و 50 ثانية للتعليق على تصريحات فياض([210])!

وبعيدا عن التغطية الإخبارية، تتضح مقاصد خطاب الجزيرة في برامجها بشكل أوضح من نشراتها الإخبارية، سيما للمشاهد العادي، وأكثر البرامج وضوحا هو برنامج" الاتجاه المعاكس" الذي خصص حلقته بتاريخ 12-2 للحديث عن أزمة معبر رفح.

ابتدأ فيصل الحلقة بقصيدة للشاعر أحمد مطر تقارن بين الشعوب العربية والخراف، وكيف أن الخراف لها كرامة حتى في موتها أكثر من العرب، ثم يتساءل: أليس حريا بأحمد مطر التراجع عن وصف العرب بالأنعام بعد أن غير سكان قطاع غزة وجه التاريخ؟ يصيح كاتب فلسطيني، أليس اجتياحهم لمعبر رفح وتحطيمه نسخة عن اجتياح الألمان التاريخي لحائط برلين؟ يضيف آخر، آلا يبشر بانتصار إرادة الصمود الشعبي؟ ما الذي يمنع الناس بعد كل ما شاهدوه على معبر رفح، من أن يحطموا حواجز وحدودا أخرى وأسوار ومكاتب أمنية ومقار تعذيب في كل مدينة عربية ينتهك فيها حرية الإنسان وكرامته؟ يتساءل كاتب آخر، متى يحذوا الشعب العربي حذوا أهل غزة ويدمروا أصنام الظلم والقهر؟ لكن في المقابل، أليس حريا بالشعوب العربية أن لا تحذوا حذو الفلسطينيين؟ أليس ما فعلوه عملا فوضويا تخريبيا بامتياز؟ آلا يكفينا خرابا ودمارا في بلادنا المنكوبة؟ أليس حريا بالمحاصرين في هذا العالم العربي المحاصر داخليا وخارجيا أن يقتحموا أصوار الأعداء أولا قبل أن يتشاطروا على الحدود العربية حتى لو كانت قاتلة؟ آلا تشكل الحركات الثورية العربية خطرا على أمن المجتمعات العربية واستقرارها؟ أليس ما حدث في رفح جزءا من معركة واحدة في حرب طويلة وهي ليست منقطعة الصلة بما حدث في نهر البارد وما بعدها من أحداث في لبنان وفي غيرها من العواصم العربية؟ متى يتوقف الشارع العربي عن التصفيق للمغامرين واليائسين؟ يتساءل ضيفنا([211]).

---

[210] - أنظر الشريط الإخباري على الجزيرة، إضافة إلى نشرة أخبار حصاد اليوم بتاريخ: 9-2-2008.
[211] - أنظر برنامج الاتجاه المعاكس بتاريخ: 12-2-2008.

يفهم من التقديم السابق خطورة المقارنات في عملية تشكيل المعرفة وتوجيهها، بحيث تعزز المقارنات افتراضا واحدا، بعد أن تم استبعاد باقي الافتراضات جراء حصر المقارنة في افتراض وافتراض معاكس([212]).

على صعيد توزيع الوقت، تحدث مقدم البرنامج حول الرأي الأول ما بين مقدمة شعرية لأحمد مطر وأسئلة، مدة دقيقة و 34 ثانية، في مقابل 54 ثانية للرأي الآخر، أما على صعيد الصياغة والدلالات، واضح من المقدمة الشعرية والأسئلة المتبوعة أنها تفرض وجهة نظر تتناسب والموقف الشعبي، كما جاء السؤال المحوري للحلقة:" هل تؤيد الفعل الشعبي على طريقة اجتياح سكان غزة لمعبر رفح([213])؟

وردا على السؤال السابق، يمكن طرح أكثر من تساؤل تصلح كمحور رئيس للحلقة: من يتحمل مسؤولية أزمة معبر رفح؟ ما هي انعكاسات أزمة معبر رفح على القضية الفلسطينية؟ كيف يمكن استغلال أزمة معبر رفح في توحيد الانقسام الفلسطيني.

في السؤال المحوري الأول المقرح، من الممكن تحميل مسؤوليات أزمة المعبر إلى جميع الجهات المشتركة حسب تأثيرها ودورها، وليس فقط توجيه الأزمة إلى مصر، أما في السؤال الثاني، فممكن الحديث عن خيارات عقلانية وإستراتيجية، وليس التركيز على موقف عاطفي كتكرار ما قاله وزير الخارجية المصري:" سنكسر رجل كل من يحاول كسر الحدود"، أما السؤال الثالث يعكس بشكل موضوعي وأخلاقي طرح موضوع إنهاء الانقسام الفلسطيني، وليس تعزيزه، كما تفعل الجزيرة عبر استضافته متحدثين لمناسبات منتقاة وموجهة لطرف على حساب آخر.

---

[212] - من إحدى وسائل إنتاج المعاني يتم من خلال المقارنات - التصويرات بين شيئين، وهذا ما فعله القاسم في مقارنته العرب بالخراف عبر استحضاره قصيدة لأحمد مطر، لكن من الأولى القول أن تمثيل المقارنات بحاجة إلى تحديد المعايير قبل البدء في المقارنة، ثم أن لمقارنة طريقة تفكير، أو هكذا يفترض أن تكون، لكن طبيعة الموضوع الذي يقارن فيه القاسم وعناصر المقارنة تدفع نحو التسلية وتبني الآراء المسبقة. وتثير قضية المقارنات سؤال اللغة والأسلوبية ومكانتها في تاريخية تطور نظريات تحليل الخطاب، على اعتبار أن في اللغة الإعلامية مساحة للبلاغة، كما في بعض مناهج تحليل الخطاب مساحة لتحليلها وإبراز أهميتها. ينظر: شومان، محمد. **تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية**. مصدر سابق. ص85 -87.

[213] - تعتبر استطلاعات الرأي، كما في التصويت على سؤال الجمهور في الاتجاه المعاكس، استجابات سطحية، لمشكلات وقضايا ربما لم تكن موضع اهتمام الجمهور من قبل، كما أن قضية تحديد الخيارات بين مؤيد ومعارض للسؤال، تفرض منطق خاصا، تغيب فيه نسبية الاختيارات وتعددها. ينظر: شلر، هربرت. **المتلاعبون بالعقول**. مصدر سابق. ص 198+199.

وعودة لسؤال الحلقة:" هل تؤيد الفعل الشعبي على طريقة اجتياح سكان غزة لمعبر رفح؟ يلاحظ من صياغة السؤال أن غالبية المصوتين حتما سيختارون نعم، بعد أن شاهدوا التغطية الإنسانية المكثفة من قبل الجزيرة، إلا أن السؤال فيه مغالطة وانتقائية في الصياغة، بحيث نسب فعل الاجتياح وما سبقه من تدمير للحدود إلى سكان قطاع غزة، ومن الأولى مراعاة السجال السياسي، والجهات التي تقف وراء تفجير الحدود بالديناميت، وليس تحويل الموضوع إلى شعبي وإنساني، رغم عدم إنكار البعد الإنساني.

أما بخصوص التساؤلات التي قدمها فيصل عن الرأي الآخر، إضافة إلى كونها غير متينة، قدمت بعد أن تم تعزيز الموقف الأول، وتغييب التحكيم العقلي لصالح العاطفة، فما الفائدة التي يقدمها سؤال مثل: آلا تشكل الحركات الثورية العربية خطرا على أمن المجتمع العربي واستقرارها؟ واضح أن السؤال لا يقدم أية معلومة ذات معنى، أي ما هي الحركات الثورية التي يقصدها؟ وما الفائدة من سؤال عام في مقابل مقدمة شعرية تطرب المستمع العربي، يقارن فيها بين العرب والخراف([214])؟

في بداية النقاش والذي استضاف القاسم فيه كلا من رئيس الاتحاد العام للطلبة العرب مبارك الشاطر، والمحلل السياسي علي سالم، وجه القاسم سؤاله الأول لـ الشاطر، قائلا: ماذا تقول في نتيجة التصويت، 92.1% يؤيدون اجتياح المعبر، و 7.9 % لا يؤيدون؟ تحدث الشاطر 3 دقائق و42 ثانية حتى أنهى كلامه دون مقاطعة، ليتوجه فيصل مباشرة لـ سالم قائلا: تضحك! تفضل، فأجاب سالم: " أحاول فهم الفكرة، يرد عليه فيصل ساخرا: صعبة على الهضم؟ يكمل سالم متحدثا لمدة 54 ثانية واصفا الفرق بين الضيف الذي يأتي زائرا عبر الحدود، وبين من يهدمها بالديناميت، يقاطعه فيصل بالقول: إن إسرائيل هي من بنت الحدود وليست مصر، وكأن القاسم يبرر هدم الحدود.

---

[214] - من جديد تظهر خيارات السطح والعمق، التركيز والتهميش في خطاب الجزيرة ، وقد تحدث بورديو مطولا عن عمليات التضليل التي تحدث عبر البرامج الحوارية، سواء على صعيد توزيع الوقت أو صياغة التساؤلات، ومحاور النقاش واختيار الضيوف، وغيرها من الخيارات التي تسمح لخطاب معين بالسيطرة وفرض منطقه على الجمهور على حساب الخطاب الآخر.
أنظر: بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. مصدر سابق. ص 39+40.

أكمل سالم كلامه عن هدم الحدود لمدة 44 ثانية قبل أن يقاطعه فيصل ساخرا: يعني اجتياح الحدود كلام عاطفي و..، ومن جديد يكمل سالم كلامه، ليقاطعه فيصل متسائلا: هل احتُرِم هؤلاء المحاصرون في غزة، أم أنهم جوعوا وحرموا وحاصرتهم الحدود العربية قبل الإسرائيلية؟

في سياق المقارنات، لم يقاطع القاسم ضيفه الشاطر كما قاطع الضيف الآخر" سالم"، فقد تحدث" الشاطر" ضمن الحلقة قائلا:" لو لم يضرب الجنود المصريون الفلسطينيين فهذا رائع"، لكن فيصل لم يقاطعه كما قاطع زميله سابقا ليسأله عن العدد الكبير من المصريين المصابين، إضافة إلى أن الجنود المصريين أصيبوا بالرصاص، فيما الفلسطينيون بالهراوات، كما تشير الأرقام التي عرضتها الجزيرة وغيرها من وسائل الإعلام في ذلك اليوم، مع اختلاف في طبيعة التغطية.

يلاحظ في المجمل أن مقدم البرنامج أتاح للضيف الأول- الشاطر- مدة 3 دقائق و 45 ثانية للتعليق على نتيجة التصويت، في مقابل الضيف الثاني" علي سالم" والذي تحدث لمدة مشابهة، لكن مع مقاطعته 4 مرات، مما يعني 4 أسئلة في مقابل سؤال واحد مفتوح للضيف الآخر في نفس الوقت، وهو ما ينطبق على شعار الرأي والرأي الآخر، الاتجاه والاتجاه المعاكس على طريقة الجزيرة!

بات واضحا أن تكثيف الجزيرة من تغطيها لانقطاع التيار الكهربائي على غالبية مناطق غزة، إلى جانب أزمة معبر رفح، وربط ذلك كله بما قاله هنية إلى جانب المتحدثين الدائمين على الجزيرة، من أن مؤتمر أنابوليس أعطى شرعية للعدوان الإسرائيلي على غزة، قد انعكس ذلك على الجزيرة في عنونتها لتغطية المؤتمر بالقول:" حصار وقطاف سلام مؤجل" و " وعود المال تسبق وعود السلام".

تأتي الترجمة المنهجية للحديث السابق، من بيير بورديو الذي خلص للقول:" إن التلفزيون يسعى لإطفاء طابع الدراما على الأحداث، بحيث يضع في المشهد أو الصورة واقعة أو حدثا ثم يقوم بالمبالغة في أهميتها، في خطورتها، وفي صفاتها الدرامية والتراجيدية". أما بخصوص المدعوين الدائمين على الشاشة، فيرى أن المرئي الذي يضم المدعوين الدائمين، هو عالم يعمل وفقا لمنطق" الدعم الذاتي" المستمر([215]).

أجابت الحالات الدراسية السابقة عن جزء من السؤال المحوري في هذا الفصل، وهو: لخدمة من، التشهير والانتقائية في عرض الخبر الفلسطيني الداخلي؟ لكن الإجابة البنيوية تكتمل مع معالجة الفصل التالي، بحيث سيتم بحث البعد الدولي والإقليمي في تغطية الملفين الفلسطيني واللبناني، ومكانة قطر الدولية فيهما، سواء عبر دبلوماسيتها المباشرة في الوساطة، أو بفعل تغطية قناة الجزيرة واستراتيجياتها في العرض.

[215] - أنظر: بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**، مصدر سابق، ص 50+68 .

الفصل الرابع: الجزيرة (قطر) والاستفادة من الأزمات

المبحث الأول: وساطة قطر في أزمتي الصراع الفلسطيني الفلسطيني، والفلسطيني الإسرائيلي

المبحث الثاني: تغطية الجزيرة للملف اللبناني في ظل التقارب القطري السعودي

الفصل الرابع: الجزيرة (قطر) والاستفادة من الأزمات

عرج الفصل الثالث على دراسة وتحليل شواهد من تغطية الجزيرة للملف الفلسطيني الداخلي وانعكاساته على المحيط العربي، إلى جانب انعكاس المحيط العربي على النزاع الداخلي؛ في محاولة لاختبار حجم وكيفية تمثيل الرأي والرأي الآخر في القناة.

ضمن تغطية الملف اللبناني، تكثر الأمثلة التي تكشف الترابط بين السياسية القطرية وتحولاتها، وانعكاسا على تغطية قناة الجزيرة وكيفية تناولها للأحداث، وما يميز الحالة الدراسية اشتمالها على متابعات مثل: التحول في العلاقات القطرية السعودية في إطار الملف اللبناني، إضافة إلى العلاقات القطرية السورية، وواضح من الاستنتاجات الأولية، وما عرضته الدراسة في الفصل الثاني، تأثر وتأثير قناة الجزيرة في علاقة قطر والسعودية وسوريا سلبا وإيجابا.

مثلت أزمة انتخاب رئيس الجمهورية اللبناني مشكلة إقليمية ودولية، تتدخل فيها عدة أطراف، تصنف حسب مصالحها ضمن إطارين: فرنسا والولايات المتحدة والسعودية من جانب، وإيران وسوريا من جانب آخر، ويتوسط الطرفين ظاهريا قطر وجهودها للوساطة، والسؤال المطروح حول الدور الفعلي لقطر في الملف اللبناني في الدبلوماسيتين: المباشرة عبر وساطة رئيس الوزراء حمد بن خليفة، وغير المباشرة: عبر قناة الجزيرة، وفيما إذا كان هنالك تناقض جوهري بين السياستين أم أنهما متوافقتين.

نظرا لأهمية الملف الفلسطيني في تشكيل الرأي العام كانت دبلوماسية الجزيرة سابقة للدبلوماسية السياسية القطرية في التأثير على قضايا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والنزاع الفلسطيني الفلسطيني، أي من الممكن تفكيك إشكالية الجزيرة في الجمع بين الخطاب الأيديولوجي لشخصيات مثل إبن لادن والظواهري والقرضاوي وقيادات الإخوان المسلمين، وبين ما يبدو على أنه النقيض، كعرض الخطاب التحديثي لدولة قطر وعلاقاتها المتينة بإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وانعكاسات ذلك كله على الملف الفلسطيني، من خلال الحالة الدراسية، وبالاعتماد على المعلومات الواردة في الفصل الثاني.

المبحث الأول: وساطة قطر في أزمتي الصراع الفلسطيني الفلسطيني، والفلسطيني الإسرائيلي

لا يمكن فصل الوساطة القطرية بين حركة حماس وإسرائيل عن وساطتها بين حركتي فتح وحماس، بل يمكن الذهاب أبعد من ذلك، بالحديث عن متانة العلاقات القطرية بحركة الأخوان المسلمين، وحسب افتراض الباحث، فإن علاقة الإخوان المسلمين بقطر هي من سمح للأخيرة بهامش كبير في المناورة بين الفلسطينيين والإسرائيليين عبر المرور بالبوابة الأردنية.

كانت بداية التوتر في العلاقات القطرية الأردنية في عام 1999، حينما حاولت قطر إعادة القيادي في حركة حماس إبراهيم غوشه إلى الأردن، عبر نقلة بطائرة قطرية إلى عمان بعد ان ابعده الأردن إلى قطر قبل أقل من عام ونصف، إلا أن السلطات الأردنية احتجزت غوشه والطائرة القطرية، متهمة الدوحة بالتخطيط لافتعال أزمة بين حركة حماس وجماعة الإخوان المسلمين في الأردن من جانب، والنظام الأردني من جانب آخر، مما ترتب على ذلك أزمة دبلوماسية بين البلدين([216]).

وتعبيرا عن متانة العلاقات القطرية بحركة الإخوان المسلمين وحماس، رفض خالد مشعل وساطة ليبية تقضي بإرسال طائرة لإعادة غوشه إلى قطر مجددا، فيما قبلت حماس الوساطة القطرية الأولى لاستضافة قادة الحركة، وأصر مشعل على موقف حركته على اعتبار أن غوشه مواطن أردني الجنسية، ومن حقه العودة متى شاء، لكن الموقف الأردني جاء مغايرا، وأجاب وزير الإعلام الأردني صالح القلاب على سؤال الباحث حول الموضوع معتبرا أن القانون الأردني يمنع مواطنيه من ممارسة نشاطات خارجية، وكذلك الانضمام إلى أحزاب وحركات غير وطنية غير مرخص لها العمل في الأردن، مشيرا إلى أن هنالك فارق قانوني بين

---

[216] - الصالح، علي. **الأردن يتهم قطر بالتخطيط لـ "أزمة غوشه" وحماس ترفض تجميد مهامه و الوساطات**. صحيفة الشرق الأوسط. ع 8237. 17 يونيو 2001

الانضمام إلى حركة حماس وبين الانضمام إلى جبهة العمل الإسلامي التي هي جزء من النظام الأردني، لذلك فإن السماح للمهندس غوشه بالعودة للأردن يجب أن يسبقه تجميد موقعه ونشاطه في حركة حماس، وقد قوبل هذا الموقف بالرفض من حماس على لسان خالد مشعل([217]).

وحول أصل الأزمة، أشار القلاب إلى أن قطر عبر وزير خارجيتها ورئيس وزرائها حاليا حمد بن جاسم آل ثاني، كانت قد طلبت من الأردن استضافة مشعل وغيره من قيادات حماس؛ بهدف كسب موقف جماهيري إلى جانب التغطية على المشاريع السياسية والاقتصادية بين قطر وإسرائيل، مشيرا في الوقت ذاته إلى علم قيادات حماس بالمخطط القطري مسبقا، ورغم ذلك قبلوا الانتقال إلى قطر([218]). ومن المؤشرات الداعمة لتصريح القلاب، ما قاله أمير قطر حمد بن جاسم أثناء لقائه عضو الكنيست الإسرائيلي يوسي بيلين في شباط 2008 من أن حماس حركة مرنة وقد تغيرت بشكل كبير، خصوصا حديثها عن الالتزام بوقف إطلاق النار، وأشار إلى أن قطر على استعداد للتوسط بين إسرائيل وأية دولة أو منظمة عربية بما فيها حماس([219]).

وفي اللقاء ذاته أكد حمد على علاقاته القوية بإسرائيل، وقوله بشكل واضح" إن بلاده مفتوحة على إسرائيل، أكثر من أي دولة عربية أخرى"، وأنه ليس لدى قطر مشكلة في رفع الأعلام الإسرائيلية في أنحاء الدوحة، خصوصا أيام استضافة لاعبة التنس الإسرائيلية شاهار بير، رغم الانتقادات التي وجهت لقطر([220]).
وتساءلت صحيفة الوطن العمانية عن" الصدفة" التي جمعت قادة حماس وسكنهم في الدوحة بمنطقة تسمى العموره، حيث يقع مكتب التمثيل التجاري الإسرائيلي، وقالت أنه ربما من الصدفة أيضا أن يسكن قادة حماس إبان وصولهم قطر قادمين من عمان في فندق شيراتون الدوحة، وهو ذات الفندق الذي نزل فيه الإسرائيليون العاملون في المكتب التجاري في الدوحة عام 1996([221]).

---

[217] - تصريح الوزير القلاب جاء ضمن مقابلة مع الباحث في عمان بتاريخ:2-2-2008.

[218] - تأكيدا على تصريحات القلاب، تشير بعض المصادر إلى أن نقل قيادات حركة حماس إلى قطر بعد أزمة عمان، هو مكسب شعبي قطري ساهمت الجزيرة في إنتاجه عبر التغطية المكثفة للأزمة والتي تضمنت أشارت تعظم دور قطر في الوساطة. أنظر: الشمري، طارق. **الجزيرة قناة أم حزب أم دولة**. مصدر سابق ص 190

[219] - أنظر الخبر في موقع .Arab48.com (استرجعت بتاريخ 25 - 2-2008) http://www.arabs48.com/display.x?cid=6&sid=6&id=52325&ar

[220] - أنظر راديو سوا بتاريخ 25-2-2008، الساعة 6:33 دقيقة بتوقيت غرينتش.

[221] - الشمري، طارق. **الجزيرة قناة أم حزب أم دولة**. مصدر سابق. ص 191.

يعتبر رفض حماس وساطة ليبيا في أزمة المهندس غوشه في عمان، دليلا جديدا على متانة العلاقات القطرية بحركة حماس، وكانت الجزيرة قد أشارت في برنامج أكثر من رأي الذي خصصت حلقته بتاريخ 26 تشرين الثاني 1999 للحديث عن الأزمة مع الأردن، وأشارت إلى أن تسوية الأزمة بين حماس والأردن ربما تمت بالتنسيق بين قيادات الإخوان المسلمين خارج الأردن وقطر، وفي نفس التقرير الذي عرضته الجزيرة في حلقة أكثر من رأي قال مقدم التقرير أحمد الشولي أن استضافة قطر لقيادات حماس هو نوع من الإيفاء بالتزام أدبي تجاه قادة الحركة. كما يعرض الشولي في تقريره خلفية إبعاد قادة حماس إلى قطر، بعد عودتهم من زيارة إيران في شهر آب عام 1999، ويقول الشولي:" حسب المراقبين، إن ترحيل قادة حماس إلى قطر ربما كان نتيجة تسوية مع قيادة الحركة في الخارج، فجماعة الأخوان المسلمين التي تبنت القضية منذ البداية ترتاب –على ما يبدو– في وجود صفقة تمت من دون علمها، ورغم المهرجانات التي نظمتها للتضامن مع المبعدين، إلا أنها لم تحدد موقفها بصورة قاطعة، كما أنها لم تعلن أنها متأكدة من واقعة الإبعاد القسري"([222]).

وكان مقدم الحلقة محمد كريشان قد أشار إلى أن تفاصيل الوساطة القطرية غير معروفة، وكان من الأولى بالجزيرة استضافة مسؤول قطري للحديث عن الوساطة، ومسببات الأزمة والتي من ضمنها التساؤل عن هدف قطر من نقل غوشه إلى الأردن بطائرة قطرية بعد أن تم إبعاده منها.

كما خصصت الجزيرة جملة من البرامج التي استهدفت تعزيز الوساطة القطرية وموقف حركة حماس، في مقابل تهميش الرأي الأردني، ففي 15 أيلول 1999 استضافت في برنامج لقاء اليوم عضو المكتب السياسي لحماس موسى أو مرزوق، متحدثا عن الأزمة وانتهائها وتركيزه على شتم الأردن من خلال حديثه عن دور الأردن تجاه القضية الفلسطينية من وجهة نظر حركة حماس، في غياب الرأي الآخر. كما خصصت الجزيرة حلقة من برنامج أكثر من رأي بتاريخ 27 تشرين أول 1999 للحديث عن ذات الموضوع تحت عنوان: حق مزاولة العمل السياسي في الأردن، وفي حلقة برنامج بلا حدود بتاريخ 13 تشرين أول 1999 استضاف احمد

[222] - أنظر تقرير احمد الشولي ضمن برنامج " أكثر من رأي" على الجزيرة بتاريخ: 26-11-1999.

منصور، الشيخ أحمد ياسين الذي تحدث في جزء من المقابلة عن الأزمة مع الأردن، وفي حلقة أكثر من رأي بتاريخ 26 حزيران 2001، استضاف سامي حداد، كل من أستاذ العلوم السياسية في جامعة قطر محمد المسفر، وعضو هيئة الدفاع عن قادة حماس في الأردن هاني الخصاونه، و رئيس البرلمان الأردني سعد سرور، وملاحظ على هذه الحلقة تعزيز ما ذهبت إليه الجزيرة في برامجها السابقة من عرض موقفي الأزمة بشكل غير متوازن، أي أن متحدثين من ثلاثة مؤيدين لموقف حماس، بينما متحدث واحد يمثل الموقف الأردني، فيما سعت الجزيرة لتعزيز مكانة قطر ودورها في حل الأزمة عبر حديث المسفر([223]).

ما من شك بأن وساطة قطر في ترحيل قيادات حماس إلى الدوحة، ومن ثم إعادة الناطق باسم حماس إبراهيم غوشه إلى عمان عبر طائرة قطرية بعد أقل من عام على الاتفاق بين البلدين، يعكس سعي الدوحة إلى إحراج الأردن، وإثارة البلبلة بين الحكومة وجماعة الإخوان المسلمين، وهذا ما ينعكس بدوره على القضية الفلسطينية ومكانة الأردن في القضية، وقد ترجم ذلك فعليا في تغطية الجزيرة وتعمدها الإساءة للنظام الأردني عبر إذاعة برامج تبحث تاريخيا في تشكيل المملكة وعلاقاتها بإسرائيل دون وجود أحداث ووقائع جديدة قد تدفع للربط بين ما يحدث وما يمكن أنه حدث.

ترتب على تغطية الجزيرة للملف الأردني إغلاق مكتبها في عمان عدة مرات، والبداية كانت في عام 1998، فقد أغلق الأردن مكتب الجزيرة لمدة 6 أشهر بعد بثها برنامجا يتحدث عن دور الأردن في قضيتي فلسطين والعراق، وقد وصفته الأردن بالتحريضي والسعي لتزييف تاريخ الأردن.

كما أغلق المكتب مرة أخرى في عام 2002 بعد إذاعة برنامج" الاتجاه المعاكس "الذي تناول اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية، وركزت الحلقة على الدور التاريخي للأردن في القضية الفلسطينية، واستطرد ضيف

---

[223] - للمزيد حول تفاصيل برامج الجزيرة سابقة الذكر ودورها في توجيه الرأي العام في أزمة الأردن وحركة حماس، يمكن قراءه نصوص الحلقات من موقع الجزيرة الإلكتروني: Aljazeera.net/ channel انظر أيضا: الشمري، طارق **الجزيرة.. قناة أم حزب أم دولة**. مصدر سابق. ص 192-198.

البرنامج أسعد أبو خليل، في وصف ملوك الأردن بخيانة القضية الفلسطينية وتسهيل إقامة دولة إسرائيل([224])، إلا أن الضيف لم يتفوه بكلمة عن التاريخ الجديد لدولة قطر وعلاقاتها المتينة بإسرائيل.

واستطاعت الدبلوماسية القطرية بذكائها إجبار الأردن على إعادة افتتاح مكتب الجزيرة في عمان بعد تسوية سياسية، كانت على مستوى رئاسة الدولة في البلدين، والبداية كانت من اعتقال السلطات القطرية الصحفي الأردني فراس ألمجالي أثناء تواجده في الدوحة، ووجهت له تهم بالتجسس وحكم عليه بالإعدام، لكن قطر أطلقت سراح ألمجالي بعد زيارة الملك عبد الله الثاني للدوحة، وكان اتفق مع الأمير حمد على إطلاق سراح ألمجالي مقابل إعادة افتتاح مكتب الجزيرة في عمان([225]).

واستكمالا لما درجت عليه السياسة القطرية وقناة الجزيرة، فقد ذكرت القناة على الشريط الإخباري بتاريخ 27 كانون الثاني 2008 خبر إرسال قطر قافلة مساعدات إنسانية إلى قطاع غزة، وفي نشرة الحصاد ذكّرت الجزيرة بالخبر، لكن في المقابل، أرسل الأردن قافلة مساعدات إلى غزة في نفس اليوم ضمن سلسلة قوافل المساعدات الأردنية التي وصل عددها 34 قافلة– حسب ما أوده التلفزيون الأردني، إلا أن الجزيرة لم تورد الخبر لا في سياق نشراتها الإخبارية، ولا على شريط الأخبار أسفل الشاشة، وتوجه الباحث بالسؤال لمدير مكتب الجزيرة في عمان عن سبب عدم إيراد الخبر الأردني، فيما أورد الخبر القطري، فأجاب بصراحة:" اتصلوا بي من الديوان الملكي لتغطية الخبر، وقلت لهم أنا لن أغطيها"، وعند سؤاله عن سبب امتناعه عن تغطية خبر القافلة، أجاب:" حجم المساعدات له دور، كما أن تقديم دولة خليجية للمساعدات له دلالة"([226]) في إشارة صريحة إلى دولة قطر، وكانت حركة حماس قد سيطرت على القافلة الأردنية فور وصولها إلى غزة.

---

[224] - تعكس محاور حلقة الاتجاه المعاكس الموقف النهائي الذي ذهب إليه ضيف الحلقة أسعد أبو خليل، وأهم محاور الحلقة: حقيقة انسجام الدور الأردني الجديد مع أدواره التاريخية. حقيقة الموقف الأردني تجاه القضية العراقية. الأمن والإعلام وعلاقة الأردن بـ أمريكيا.. الخ، فيما كان موقف أبو خليل، التأكيد على جميع افتراضات الجزيرة عبر تقديم الشواهد والشتائم. كما يغلب على أسئلة مقدم البرنامج فيصل القاسم الطابع التحريضي، عبر استخدام الأوصاف الشعبوية في نقاش تاريخي هام.
أنظر برنامج الاتجاه المعاكس على الجزيرة بتاريخ 6-8-2002. يمكن قراءه نص الحلقة على موقع الجزيرة وفق الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/channel/archive/archive?ArchiveId=90919
(استرجعت بتاريخ 2-3-2008).

[225] - يعكس الكلام السابق الترابط الكبير بين سياسة قطر كدولة وقناة الجزيرة، مما يعني وجود تأثير متبادل ودور تكاملي بين دبلوماسية الدولة وخطاب القناة، وبخصوص حادثة الصحفي ألمجالي، فقد تحدث الباحث إلى الصحفي سعد السيلاوي في عمان، إلى جانب وزير الإعلام الأردني السابق صالح القلاب، بعد أن رفض ألمجالي الحديث للباحث حول الموضوع، واكتفى بالقول أنه يلتزم تعليمات الدولة خصوصا بعد أن انتهت الأزمة، للمزيد حول الموضع ينظر تغطية صحيفة السبيل التابعة للإخوان المسلمين في عمان بتاريخ 22-3-2003، ينظر الرابط الالكتروني للصحيفة: (استرجعت بتاريخ 2-3-2008).
http://www.assabeel.info/inside/article.asp?version=480&newsid=2400&section=78

[226] - مقابلة أجراها الباحث مع مدير مكتب الجزيرة في عمان ياسر أبو هلاله بتاريخ: 5-2-2008

ورغم إدانة السفير الأردني في فلسطين لسيطرة حماس على القافلة، إلا أن الجزيرة غطت الخبر من منطلق تحليلي؛ لتبرير سيطرة الحكومة المقالة عليها وليس بناء على كون عملية السيطرة عملية إخبار، وكان عنوان الخبر على الجزيرة نت:" الحكومة المقالة تبرر مصادرة مساعدات إنسانية أردنية لغزة"، وجاءت مقدمة الخبر ما يلي:" ردت الحكومة الفلسطينية المقالة على اتهامات الأردن والسلطة الفلسطينية بأنها استولت على قافلة مساعدات أردنية أرسلت إلى قطاع غزة بالقول إنها قامت بهذه الخطوة للحيلولة دون قيام الهلال الأحمر الفلسطيني بتوزيع المساعدات خلسة لجهات أمنية ولحركة التحرير الفلسطيني "فتح" "(227)!

المستغرب من الصياغة السابقة تناقضها، أي كيف ردت الحكومة المقالة على اتهامات الأردن والسلطة، بأنها استولت على القافلة؟ والأولى القول: بررت الحكومة المقالة استيلائها..، فهي لم تنف الاستيلاء، وهنا تدخل الجزيرة مجددا في إعادة صياغة الأخبار و الأحداث بما يعكس معنى جديدا، مختلفا عن سياق الحدث الأول([228]).

وزيادة على ما سبق، تجاهلت الجزيرة خبرا مهما، يتحدث عن بناء الأردن مساكن جديدة للاجئين الفلسطينيين في مخيماته، وأوردت قناة العربية بتاريخ 8 كانون الثاني 2008 تقريرا حول بناء الأردن 500 وحدة سكينة للاجئين الفلسطينيين في عدة مخيمات، وكالعادة الجزيرة تجاهلت الخبر([229])!

إن فهم طبيعة الوساطة القطرية بين حركة حماس والنظام الأردني في الأزمة سابقة الذكر، زيادة على دور الجزيرة في تغطيتها للموضوع، يمهد لفهم دور قطر على صعيد الوساطة في الملفين: الفلسطيني الإسرائيلي، والفلسطيني الفلسطيني.

---

[227] - أنظر خبر سيطرة حركة حماس على قافلة المساعدات الأردنية في غزة على الجزيرة نت: (استرجعت بتاريخ 5-3-2008). http://www.aljazeera.net/NR/exeres/88D2EB0C-7AB4-49D7-ACAC-99DD8F615F4C.htm

[228] - يلاحظ من المثال السابق، خطورة السياق الذي يوضع فيه الخبر على عملية الفهم، بحيث ينتج معنى جديد قائم على منظمة الإظهار في مقابل الحجب، كون الجزيرة حجبت عن جمهورها عدد القوافل الأردنية السابقة وكيف كان توزيعها، فيما لم تتم مقارنة ما حصل بالنسبة للقافلة القطرية، مقارنة بالقوافل الأردنية، مما يعني أن القضية سياسية بالأساس. للمزيد حول خطورة السياق في الأخبار، ينظر الفصل الأول في مبحثه الثالث: المرئي وتصويرات الواقع.

[229] - أنظر نشرة أخبار العربية آخر ساعة بتاريخ: 8-1-2008 .

تعود بداية الوساطة القطرية في الملف الفلسطيني الإسرائيلي إلى العام 2000، حينما زار الوزير حمد بن جاسم الرئيس الراحل ياسر عرفات، في محاولة للتوسط بين السلطة الوطنية الفلسطينية وإسرائيل، إلا أن الوسيط غادر دون انجازات، فقد فرضت إسرائيل حصارا على الرئيس عرفات في مقره في رام الله حتى وفاته.

أما على صعيد الوساطة القطرية في الملف الداخلي الفلسطيني، أي بين حركتي فتح وحماس، لم تقدم قطر سلوكا جديدا يختلف عن مواقفها ومصالحها التي سبق تحليلها وتحديدا في الأزمة بين الأردن وحركة حماس، فقد توسط وزير الخارجية القطري بين الحركتين بعد صدامات دامية، إبان أزمة تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، وقبل أن تسيطر حماس على قطاع غزة، سبق الوساطة القطرية سقوط 11 قتيلا في اشتباكات بين الطرفين في شهر أيلول 2006، وتعليقا على زيارة حمد قال القيادي في حماس محمود الزهار إن المبادرة القطرية تضمن الحفاظ على الثوابت الفلسطينية، رغم أن البند الأول فيها يدعو للالتزام بقرارات الشرعية الدولية وتحقيق رؤية الرئيس بوش في إقامة الدولتين([230]).

فيما اعتبر الوزير القطري أن عدم التوافق الفلسطيني على مبادرة بلاده، يعود إلى نقطتين:" النقطة الأساسية هي الخلاف حول كيف يكون الاعتراف متبادلا بين إسرائيل والحكومة الفلسطينية، والثانية: كيف نصل إلى صيغة تكون معها دولتان: فلسطينية وإسرائيلية"([231]).

لكن الغريب في الوساطة القطرية أن الوزير بدأها بزيارة إلى دمشق التقى خلالها الرئيس بشار الأسد وسلمه رسالة من الأمير حمد خلال بحثهما الوضع الفلسطيني وضرورة تعزيز مواقف البلدين، وقبل مغادرته دمشق

---

[230] - أنظر تغطية مجموعة من الصحف والمواقع الإلكترونية لموضوع الوساطة القطرية: (استرجعت بتاريخ: 5-3-2008)
http://www.news.gov.kw/view.aspx?id=29154
http://www.gia.gov.ae/giawebsite/arabic/news/content/index.asp?news_id=1088
http://www.al-vefagh.com/1385/850719/html/arabiat.htm

[231]- أنظر تغطية صحيفة المهاجر نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية لفشل الوساطة القطرية: (استرجعت بتاريخ: 10-3-2005).
http://al-mohager.com/modules.php?name=News&file=article&sid=54

إلى غزة عبر معبر رفح، التقى مشعل في مقر السفارة القطرية وتباحثا في الوساطة، وقد أجرى مشعل بعض التعديلات على المبادرة([232])، ورغم ذلك فشلت الوساطة في جولتها الأولى.

وفي الجولة الثانية، عاد الوزير القطري، لكنه فشل مجددا في الجمع بين عباس و هنية، وحمل مقترحا من الرئيس عباس إلى خالد مشعل يدعوه للموافقة على تشكيل حكومة كفاءات وطنية دون مشاركة حركتي فتح وحماس([233])، لكن الغريب ضمن الوساطة القطرية، تزامنها مع قبول وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني دعوة قطر لزيارتها وتمثيل بلدها في مؤتمر" الدول الديمقراطية الحديثة والمستحدثة"، وبذلك تكون قطر كسبت موقفين: موقف المتخاصمين الفلسطينيين الذين شكروها على وساطتها رغم فشلها، وموقف إسرائيل والولايات المتحدة من قطر وتأكيد متانة العلاقات بينهما عبر دعوة ليفني إلى زيارة قطر، ورغم أن رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل يقيم في قطر حينها، إلا انه لم يدن دعوة قطر للوزيرة الإسرائيلية، ولم يعلق على التناقض في الوساطة القطرية!

واستكمالا للوساطة القطرية، لابد من الحديث عن موقع الجزيرة منها وكيفية تغطيها في سياقين: الأول: لم تخصص الجزيرة أي برنامج أو تقرير عن جدلية قطر بين الوساطة الفلسطينية، ودعوة الوزيرة الإسرائيلية لزيارة قطر بالتزامن، ثانيا: لم تركز الجزيرة على تصريحات الوزير حمد قوله" أن هنالك خلافا بين حماس الداخل وحماس الخارج"، دون أن يقدم إيضاحات حول طبيعة الخلاف، وكان منتظرا من الجزيرة الكشف عن هذه الخلافات كما تفعل في ملفات وتغطيات أخرى، إضافة إلى عدم بحث الجزيرة في تصريح القيادي في حماس محمود الزهار قوله أن المبادرة القطرية تتفق والثوابت الوطنية الفلسطينية، لكن حماس لم توافق عليها([234]).

---

[232]- أنظر صحيفة الأخبار. **قطر تبدأ من دمشق وساطة فلسطينية**. بتاريخ: 6-11-2006 ص 23.
http://www.al-akhbar.com/files/pdfs/20061006/p23_20061006_international.pdf

[233]- للمزيد حول الوساطة القطرية الثانية ينظر صحيفة الصباح: (استرجعت بتاريخ: 10-3-2008)
http://www.alsbah.net/mynews/modules.php?name=News&file=print&sid=2877

[234] - انظر تغطية الـ BBC العربية لخبر فشل الوساطة القطرية على موقعها الالكتروني بتاريخ: 10 أكتوبر 2006 :
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_6035000/6035871.stm

إعلام الجزيرة ودبلوماسيتها

في مقابل تجاهل الجزيرة جملة القضايا السابقة، ركزت على عرض وثائق قالت إن مندوب فلسطين في الأمم المتحدة رياض منصور قدمها كمشروع على ممثلي الدول العربية، تمهيدا لاعتماد قرار في الأمم المتحدة يعتبر حماس حركة خارجة عن القانون، وقد صورت الجزيرة الخبر كتحد للسلطة الفلسطينية، كما جاء عنوان الخبر:" ردا على اتهام أجهزتها للجزيرة باختلاق الخبر، بالوثائق السلطة سعت لاعتبار حركة حماس خارجة عن القانون أمميا"(235).

وأشارت الجزيرة إلى أنها علمت من مصادرها أن المجموعة العربية في الأمم المتحدة شهدت جدلا في الآونة الأخيرة بسبب المشروع، وذلك بسبب ما تضمنته النسخة الأولية من مشروع القرار من إشارة إلى اعتبار حركة حماس مليشيا خارجة على القانون، لكن في النهاية تم التوافق على تعديل الصيغة بإدخال عبارة "الاستيلاء غير القانوني" على مؤسسات السلطة بدلا من "استيلاء مليشيات خارجة عن القانون".

وكانت الجزيرة قد أشارت إلى أن مندوبي مصر وسوريا وليبيا والسودان، اعترضوا على النص، لكن الغريب أن وسائل إعلام الدول التي اعترضت على المشروع لم تذع الخبر، فكيف تم تسريب الخبر للجزيرة؟ وما هي مصلحة الجهة التي سربت الخبر رغم بقائها في المجهول؟ ما مصلحة الجزيرة في كشف الخبر في مقابل تجاهل تصريحات وزير الخارجية القطري حول الخلافات الداخلية في حماس، أو حتى تجاهل تصريح الزهار حينما يعتبر المبادرة القطرية تتفق والثوابت الفلسطينية، فيما تراجعت حماس عن المبادرة بعد أن كان خالد مشعل قد أجرى تعديلات عليها حينما عرضها عليه الوزير القطري في دمشق؟

يستخلص مما سبق، أن الجزيرة ستبقى وجه الدبلوماسية القطرية في استخدامها تقنيات الخطاب، بحيث يتكرر في تغطياتها عمليات الحجب والتمثيل، والتعريف والتنكير والتكرار والتجاهل، إضافة إلى خيارات أخرى تفرض الجزيرة خلالها منطقها على الأحداث.

---

235 - نشرت الجزيرة الخبر ومقاطع مصورة من الوثيقة التي عرضتها على موقع الجزيرة نت بتاريخ: 12-11-2007 . أنظر الرابط http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=1074535

ومن خلال التقنيات السابقة الذكر، سعت لإفشال الوساطات السعودية، في مقابل عمليات الحجب وتجاهل البحث في أهداف الوساطات القطرية.

ففي حلقة الاتجاه المعاكس بتاريخ 25 حزيران 2002، خصصت الجزيرة الحلقة للبحث في جهود السعودية تجاه القضية الفلسطينية، وقد استضاف القاسم في حلقته كل من: الصحفي المصري محمد عبد الحكيم ذياب، وعضو مجلس الشورى السعودي فهد الحارثي،" واتهم ذياب السعودية بخيانة القضية الفلسطينية، معتبرا أن 90% من مآسي وأخطاء العرب تتحملها السعودية، وأن الملك المؤسس عبد العزيز فرط بالقضية الفلسطينية وباعها للإسرائيليين"([236]).

يتضح ذكاء الجزيرة ليس فقط في تقنياتها في العرض من حديث اختيار الموضوع ومناسبته، وطريقة النقاش في برنامج الاتجاه المعاكس على وجه الخصوص، بل أيضا في اختيار الضيوف، خصوصا استضافة صحفي مصري ليشتم السعودية بغية توتير علاقات البلدين، وقد نجحت الجزيرة في دفع وسائل إعلام البلدين للتوتر واتهام الطرف الآخر بخيانة القضية الفلسطينية، فيما الجزيرة وقطر تتظاهران بالوقوف على الحياد.

تتضح خطورة خطاب الجزيرة وتقنياته في تحويله عمليات الإخبار إلى حقائق مبالغ فيها– كما في الحديث عن السعودية وارتباطاتها بالقضية الفلسطينية، في مقابل حجب أخبار وأحداث أخرى تنتج معاني في غيابها، تختلف عن المعاني المنتجة في حضورها، كما يظهر في تجاهل الجزيرة البحث في أبعاد الوساطات القطرية.

منهجيا، يطرح الكلام السابق جدلية كون الخطاب واقعة أم معنى مشكل، وكيف يمكن أن يتحول الواقع المشكل إلى حقيقة أصدق من الواقعة؟([237]).

---

[236] - أنظر حلقة برنامج الاتجاه المعاكس بتاريخ: 25-6-2002.
أنظر أيضا: الشمري، طارق. **الجزيرة: قناة.. أم حزب.. أم دوله**، مصدر سابق. ص 168+169.

[237] - يرتبط الكلام السابق نظريا، بما جاء في الفصل الأول من الدراسة، خصوصا عمليات تشكيل الصور بين الدلالات والمدلولات، إلى جانب الحديث عن آليات تشكيل الواقع المرئي.
أنظر أيضا. ريكور، بول. (2003). **نظري التأويل: الخطاب وفائض المعنى**. ترجمة: سعيد الغانمي. ط1 . بيروت: المركز الثقافي العربي. ص 33-52.

المبحث الثاني: تغطية الجزيرة للملف اللبناني في ظل التقارب القطري السعودي

يتناول المبحث الثاني تطورات الملف اللبناني على صعيد أزمة انتخاب رئيس الجمهورية، في ظل أدوار إقليمية ودولية، كان أبرزها التحول في العلاقات القطرية السعودية وانعكاسها على الملف اللبناني، ويتطلب تبيان انعكاس تغير علاقات البلدين على أزمة الرئاسة اللبنانية، العودة إلى تغطية الجزيرة للأزمة وإيراد شواهد سواء من ضمن فترة الدراسة المحددة مسبقا بثلاثة أشهر، أم من خارجها.

يعتبر اللقاء الذي جمع كل من وزير الخارجية الفرنسي برنارد كوشنير بـ رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، وزعيم تيار المستقبل سعد الحريري المحطة الأبرز في أزمة انتخاب الرئيس اللبناني على صعيد تغطية قناة الجزيرة، تمهيدا للحديث عن الدور القطري في الأزمة عبر الوساطات الدبلوماسية. وقد التقى الثلاثة بتاريخ 6 كانون الأول 2008 في ساعات النهار دون التوصل إلى نتيجة، وكان مراسل الجزيرة عباس ناصر قد وصف الوسيط الفرنسي بأنه" لم يجد ما يقوله لينقض وساطته، رغم طلاقة لسانه"، إلا أن المفاجئ في تغطية الجزيرة كان في نشرة الحصاد وبعد عرض تقرير المراسل عباس ناصر، سأل جمال ريان مدير مكتب الجزيرة في بيروت غسان بن جدو عن الوساطة الفرنسية في جولتها المسائية، و فاجئ بن جدو المشاهدين بأخبار عاجله مهمة للغاية، فقد أشار إلى أن الاجتماع النهائي بين بري والحريري و كوشنير خلص إلى اتفاق ينهي أزمة الرئاسة، ضمن صفقة متكاملة تتضمن انتخاب قائد الجيش ميشيل سليمان للرئاسة مقابل الاتفاق على رئيس الحكومة وغالبا ما يكون سعد الحريري، لكن الأهم فيما قاله بن جدو أن الطرفين اللبنانيين اتفقا على نسبة تمثيل كل طرف في الحكومة بحيث يكون لقوى السلطة 55%، فيما تمثل المعارضة بنسبة 45%([238]).

[238] - للمزيد حول الخبر العاجل الذي أورده بن جدو وأهميته في أزمة الرئاسة اللبنانية، ينظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ: 6-12-2007.

وفي اليوم التالي المنتظر لاجتماع مجلس النواب لانتخاب سليمان رئيسا، تراجع عون عن تفاهمات ليلة الأمس، وأنتظر أربعة أيام ليخرج بتصريح قوي مفاده، العودة إلى شروط المعارضة السابقة والتراجع عن الاتفاق مع الحريري وكوشنير، لكن الأغرب من الحدث تغطيته من قبل الجزيرة، فقد تجاهلت تراجع عون عن تفاهماته، ولم تورد مجددا تصريحات بن جدو التي تحدث فيها عن الاتفاق بصيغة خبر عاجل، بل واكتفت الجزيرة في تغطيتها بالقول: ميشيل عون يتمسك بالتعديل الدستوري.."، وليس" ميشيل عون يتراجع عن اتفاقه مع الحريري و كوشنير على انتخاب سليمان([239]).

لم تكتف الجزيرة بتجاهل المعلومات التي عرضها بن جدو وتسطيح تصريحات عون، بل عرضت في نشراتها الإخبارية بتاريخ 16 كانون الثاني تقريرا لمراسلها عباس ناصر يقول فيه أن زيارة المبحوث الأمريكي ديفيد ولش لقوى السلطة في لبنان يعني أن أمريكيا تدعم هذا التيار، وأكمل التقرير توجيه الحدث معرجا على تصريح للنائب عن حزب الله حسين الحاج حسن، مفاده أن قوى المعارضة لا تخشى قوى السلطة " لا هم ولا أسيادهم"([240]).

وعودة لتصريحات عون، فقد فات الجزيرة التركيز على تصريحه بتاريخ 6 كانون الأول، ومطالبته بحقوق مفقودة للمسيحيين منذ 17 عام، وجدد عون تصريحه بعد 4 أيام، لكن الجزيرة لم تركز سواء في تغطيتها الإخبارية أم في برامجها على دلالات تصريحات عون وانعكاساتها على المجتمع اللبناني، ولماذا غير استراتيجياته من الحديث عن مطالب المعارضة ككل، إلى الحديث عن حقوق مفقودة للمسيحيين؟ كما لم تسأل الجزيرة حزب الله عن موقفه من تصريحات عون، وفيما إذا كان التصريح من الاستراتيجيات الجديدة للمعارضة.

---

[239]- للمزيد حول تغطية الجزيرة لتصريحات عون ينظر نشرات الجزيرة الإخبارية بتاريخ: 10-12-2007، وكذلك صياغة الخبر على الشريط الإخباري، بالقول:" عون يتمسك بالتعديل الدستوري"، وليس عون يتراجع عن اتفاقه مع الحريري و كوشنير.

[240] - في تقرير عباس ناصر تجاهل مجددا توافق بري والحري و كوشنير، وسعى إلى إظهار دعم الولايات المتحدة لقوى السلطة بالقول أن زيارة ولش تدعم قوى السلطة، لكن قوى المعارضة تصور بمشهد بطولي عبر تصريح لنائب عن حزب الله يقول أنهم لا يخشون قوى السلطة ولا أسيادهم، في إشارة إلى الولايات المتحدة. أنظر تقرير عباس ناصر في نشرات الجزيرة بتاريخ: 16-12- 2007 .

وانتقالا إلى 8 كانون الثاني 2008، استضافت الجزيرة الخبير في الشؤون الإستراتيجية من لبنان إلياس حنا، حيث سُئل عن أبعاد استهداف قوات اليونيفل في جنوب لبنان من خلال تفجير عبوة ناسفة، وقد عرضت الجزيرة مقطعا لزعيم جماعة فتح الإسلام شاكر العبسي الذي تحدث عن هربه من المخيم وتوعد للجيش اللبناني بهجمات جديدة، فيما أجاب الضيف حنا، قائلا أن تهديد العبسي يستهدف مؤسسة الجيش، لكن تهديد قوات اليونيفيل مرتبط بتهديدات سابقة للقيادي في القاعدة أيمن الظواهري، والذي أدان في تصريح له حينها حزب الله لقبوله بقرار 1701([241])، لكن لغرض المفارقة، سعت الجزيرة عبر تساؤلاتها للضيف لترسيخ ما قاله العبسي من أن معركة نهر البارد وحسم القتال فيها، جاء بسبب دور رئيس الجيش والوعود التي تلقاها من الأمريكيين لتسلم الرئاسة في حال القضاء على فتح الإسلام، فيما تجاهلت الجزيرة بالكامل إدانة الظواهري للسيد حسن نصر الله وحزب الله لقبول القرار 1701، لكن المثير في التغطية أن الجزيرة الناطقة بالانجليزية غطت الخبر في حينه، واستضافت الخبير في الجماعات الإسلامية ضياء رشوان للتعليق على تصريحات الظواهري وانتقاداته.

وفي15 كانون الثاني استضافت الجزيرة في برنامج ما وراء الخبر المحلل السياسي سالم قصير للحديث حول الانتخابات الرئاسية، لكنه ابتعد عن الموضوع الرئيسي، وبدا يشكر رئيس الوزراء القطري على جهوده للوساطة ودورة في ترتيب اجتماع عربي في منزل الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى، إضافة إلى شكره للدور الإيراني في جهوده " للوساطة في لبنان"، ومما لا شك فيه أن القصير استرسل في إطرائه دون مقاطعة مقدم البرنامج، لكن الضيف الآخر الصحفي في جريدة السفير نهاد المشنوق قاطع المتحدث قائلا بأن الوسيط القطري يحمل صياغات ولا يحمل ضمانات([242]).

الملاحظ على تغطية الجزيرة عدم تركيزها على تفاصيل الوساطة القطرية، والمصالح التي تجنيها قطر من فعل الوساطة، وسيتم خلال الصفحات التالية التركيز على دور قطر في الأزمة اللبنانية ضمن السياقات التي تجاهلتها الجزيرة.

---

[241] - أنظر استضافة العميد إلياس حنا في نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ: 8-1-2008.

[242] - أنظر برنامج ما وراء الخبر على الجزيرة بتاريخ: 15-1-2008.

ازدواجية الخطاب، ازدواجية اللغة

قبل الدخول في تفاصيل الوساطة القطرية، ينبغي توضيح انعكاسات التوافق القطري السعودي على تغطية الجزيرة للأزمة اللبنانية، ففي 10 شباط 2008، عرضت الجزيرة تصريحا ناريا لرئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، والذي قال بان قوى السلطة ستحرق الأخضر واليابس إذا أردت قوى المعارضة الفوضى في لبنان، " لبنان أهم منا جميعا"، لكن الفقرة المقتبسة بين علامتي تنصيص غابت عن تغطية الجزيرة، واكتفت بعرض الشق الأول كفاتحة لنشراتها الإخبارية منذ نشرة منتصف اليوم وعلى طول نشرات المساء، وكان من الجزيرة أن افتتحت نشرة أخبار حصاد اليوم بقول جمال ريان:" جنبلاط يعلن استعداه للحرب، والمعارضة تتمسك بالحوار"([243]).

ملاحظ منذ البداية سعي الجزيرة لتصنيف المواقف والأحكام بشكل حاسم، فهي صنفت قوى السلطة بالسعي للحرب والتهديد بحرق الأخضر واليابس، فيما قوى المعارضة متمسكة بالحوار، وقد نسيت الجزيرة تصريحات عون السابقة والبحث في مضمونها([244])، لكن في المقابل استضافت الجزيرة بعد تصريحات جنبلاط في نشرة الحصاد، نائب رئيس المجلس السياسي في حزب الله محمود قماطي للرد على تصريحات جنبلاط، وكانت قبلها خصصت برنامج ما وراء الخبر للحديث حول نفس الموضوع، وفي الجانب الآخر، كانت تغطية الجزيرة الانجليزية بعيدة عن التصنيف ضمن ثنائيتي الحرب والحوار، وعرضت شقي تصريح جنبلاط، لكنها سعت للربط بين تصريح جنبلاط وزيارته السعودية مؤخرا، في إشارة إلى أن التصعيد الكلامي مصدره السعودية، ففي نشرة أخبار التاسعة على الجزيرة الانجليزية بالتوقيت المحلي، استضافت المحلل السياسي نعيم سالم، والذي أجاب على سؤال الجزيرة حول العلاقة بين زيارة جنبلاط للسعودية وتصريحاته الأخيرة، معتبرا أن زيارة جنبلاط مرتبطة إلى حد كبير بتحذيرات الرياض لسوريا، وأن موقف جنبلاط

---

[243] - أنظر نشرة أخبار حصاد اليوم بتاريخ: 15-1-2008.

[244] - إن عمليات تصنيف التصريحات وصياغتها وقولبتها ضمن سياقات معينة، يفهم منهجيا وضمن تحليل الخطاب في سياق عمليات التعارض والمقابلة التي يستخدمها الخطاب الإعلامي في تعزيز رسائله.
أنظر. بوبر، كارل وآخرون. **التلفزيون خطر على الديمقراطية**. مصدر سابق، ص 34-39.

يعكس الدعم السعودي والأمريكي والأردني والمصري لقوى 14 آذار، ومن ثم القول بان السعودية من خلال لبنان، ذهبت إلى مواجهة مع سوريا([245]).

المستغرب في تغطية الجزيرة الناطقة بالعربية، عدم تركيزها على الربط بين تصريحات جنبلاط وزيارته الأخيرة للسعودية، كما فعلت القناة الناطقة بالانجليزية، بل وغاب عنها دعوة الضيف الدائم عبد الباري عطوان لشتم السعودية كما هو معتاد، والسبب الرئيسي في ذلك هو سعي قطر لعدم إغضاب السعودية بعد التوافق الأخير بينهما، وسبق الإشارة في الفصل الثاني إلى المعلومات التي تحدثت عن منع طاقم الجزيرة من تغطية أي خبر في الشأن السعودي دون الحصول على موافقة من إدارة تحرير القناة بشكل مباشر.

وفي موضوع أخر، حول تغطية الجزيرة لاغتيال القائد في حزب الله عماد مغنية في سوريا، ختم عباس ناصر تقريره بتاريخ 13 شباط، قائلا:" إن العارفين بحزب الله يقولون أنه حزب كلما سقطت له راية، ارتفعت له رايات، وكلما فوجئ بضربة توعد بمفاجآت"([246])، متوقع أن يصدر الكلام السابق عن مراسل قناة المنار وليس مراسل الجزيرة، والناظر في تقارير عباس ناصر السابقة يلحظ تحميله إياها رسائل وأحاكم تقدم على شكل صور لغوية جميلة تطرب المستمع، ويكفي المقارنة بين تقرير اغتيال مغنية وتقرير زيارة المندوب الأمريكي ولش إلى لبنان لمعرفة الفرق في اللغة والصور وأدوات الخطاب بشكل عام، والتي تؤثر على المتلقي بشكل غير مباشر.

وفي مقابل تغطية الجزيرة الناطقة بالعربية، جاءت تغطية القناة الناطقة بالانجليزية مغايرة تماما، ورغم عرضها صور جنازة مغنية وإشارتها إلى غضب المشيعيين، إلا أن مراسلها من القدس أيمن محيي الدين قال:" إنه لايوجد دليل واحد على تورط إسرائيل في اغتيال مغنية"، وأثناء حديثه استخدم مصطلح" قوات الدفاع الإسرائيلية"، وليس قوات الاحتلال الإسرائيلي كما تستخدم القناة الناطقة بالعربية، وفي ذات اليوم الذي شيع حزب الله فيه مغنية، انطلقت مسيرات قوى 14 آذار لإحياء الذكرى الثالثة لاغتيال الحريري، فقد بدأت بشرى عبد الصمد تقريرها بصورة لمجموعة قليلة من الشباب الذين يحملون رايات قوى 14 آذار ويسيرون

---

[245] - انظر نشرة أخبار الجزيرة الانجليزية الساعة التاسعة بالتوقيت المحلي بتاريخ: 10-2-2008.
[246] - أنظر تقرير عباس ناصر حول اغتيال عماد مغنية بتاريخ: 13-2-2008.

في المطر، فيما كانت مشاهد التقرير ثابتة و الكاميرا غير متحركة بحيث لم تظهر حجم الحشود الكبيرة كما عرضتها القناة الناطقة بالانجليزية ووصفتها المراسلة شرين تدرس بأنها تضم مئات الآلاف وهو ما لا ترغب الجزيرة العربية في إظهاره.

ولا يتوقف اختلاف التغطية بين القناتين على طبيعة التقارير وعرض الصور، بل أيضا في اختيار اقتباسات المتحدثين، ففي تقرير بشرى استخدمت مقطع الحريري الذي يقول فيه " لا قيمة لقمة عربية بدون رئيس لبناني"، فيما كان اقتباس شرين في القناة الانجليزية، قول الحريري:" إن أعداء لبنان يتربصون به كما الإسرائيليين" واضح أنه هنالك فرق في التصريحين سواء من جانب العرض أم في دلالات كل منهما. أما في خاتمة تقريرها، أشارت شرين إنه من الهام لقوى 14 آذار الحفاظ على السلام، وأن الحضور الكبير لجماهيرهم في ذكرى اغتيال الحريري، يعني قدرة هذا الفريق على جمع مئات الآلاف من المؤيدين لوجهة نظرهم حول مستقبل لبنان، لكن بشرى أشارت في ختام تقريرها إلى المحطة المفصلية في المشهد اللبناني، حيث أخرج كل طرف جماهيره للشارع، مما يعني أن التوازن لا يستقيم إلا بسعي الطرفين للتوافق([247]).

بات واضحا من تغطية الجزيرة بشقيها العربية والانجليزية وجود معيارين للتعامل مع الملف اللبناني؛ الجزيرة الناطقة بالعربية توجه صوتها للجمهور العربي، والجزيرة الناطقة بالانجليزية التي تحمل خطابا مغايرا تماما عن القناة الناطقة بالعربية، أما من حيث انعكاس السياسة القطرية على التغطية، يبدو أن هنالك تبادل أدوار بين القناتين؛ فحينما تُمنع الجزيرة الناطقة بالعربية من تغطية ما يمكن اعتباره أبعاد الدور السعودي في الملف اللبناني، بسبب التوافق القطري السعودي، سعت الجزيرة الانجليزية لربط تصريحات جنبلاط السابقة الذكر بزيارته للسعودية، بل والسعي لاعتبار أن تصريحات جنبلاط هي رسالة سعودية لسوريا عبر البوابة اللبنانية، وبذلك تكون الجزيرة قد أرضت السعودية في اتجاهين: الأول أن القناة الناطقة بالعربية لم تحرض الجمهور العربي على السعودية من خلال تجاهل الربط بين تصريح جنبلاط والموقف السعودي، والاتجاه الثاني: دعم السياسة الخارجية الرسمية للسعودية من خلال التأكيد للولايات المتحدة أن السعودية حازمة في الملف اللبناني، وهو ما قد يخفف التوتر في علاقات السعودية والولايات المتحدة، إلى

---

[247] - أنظر تغطية كل من قناتي الجزيرة الناطقة بالعربية، والجزيرة الناطقة بالانجليزية لحادث تشييع قوى المعارضة لجثمان عماد مغنية، إلى جانب مهرجان قوى 14 آذار في الذكرى الثالثة لاغتيال رفيق الحريري بتاريخ: 14-2-2008..

جوار أنه من الممكن أن تقتبس وسائل الإعلام الأجنبية من القناة الناطقة بالانجليزية أكثر من اقتباسها من القناة الناطقة بالعربية، مما قد يزيد على الرضا الأمريكي رضا آخر مصدره فرنسا، الدولة الفاعلة في الأزمة اللبنانية.

أما بخصوص الوساطات القطرية في الملف اللبناني خارج دبلوماسية الجزيرة، تشير وسائل الإعلام إلى دور قطري فاعل عبر رئيس الوزراء ووزير الخارجية حمد بن جاسم، والذي تدخل على خط الوساطة متصلا مع جميع الأطراف، لكن برسائل مختلفة ومتناقضة في بعض الأحيان، سيتم عرضها كما وردت في وسائل الإعلام ومقارنتها بدبلوماسية الجزيرة عبر تغطيتها للملف اللبناني.

بعيدا عن محاولة تأريخ بداية الانقسام العربي حول الموقف مما يجري في لبنان، وبالتالي التدخلات العربية والدولية فيه، على اعتبار أن المكان لا يتسع للحديث إلا عن محيط فاعلية الدبلوماسية القطرية في سياق جدلية أدوار السعودية وسوريا في الفترة القصيرة الماضية، يمكن القول أن الخلاف السعودي السوري بدأ يطفو على السطح حديثا منذ العدوان الإسرائيلي على لبنان صيف 2006، وانعكس على مشاورات وزراء الخارجية العرب في بيروت في أيلول من ذات العام، حينما دعا وزير الخارجية السعودي إلى عقد القمة العربية الطارئة في السعودية، فرد عليه وزير الخارجية السوري وليد المعلم بأن سوريا تبارك هذا الاجتماع إذا كان سيدعو إلى تجييش الجيوش العربية وقطع إمدادات النفط، فرد وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بأن النفط للتنمية وليس للحرب([248]).

إن دخول قطر على خط المشاورات لعقد القمة الطارئة كان في سياق تداول النقاش حول موضوع الوفد العربي الذي سيسافر إلى نيويورك لنقل الموقف العربي، فقد كان الاقتراح بأن يسافر رئيس الدورة وزير

---

[248] - لم يتوقف الجدال السعودي السوري عند هذا الحد، بل دخلت أطراف أخرى على خط النقاش، فقد تدخل عبد الرحمن شلقم، أمين اللجنة الشعبية الليبية للاتصال الخارجي والتعاون (وزير الخارجية)، وقال للمعلم: "لا أعلم لماذا دائما تشتعل هذه الأمور وتردد شعارات، كلنا يعلم أنه ليس لها نتيجة. فلنعط الفرصة للآخرين ليتحدثوا". ورد المعلم قائلاً "إننا نعبر عن الكرامة والصمود والتضحية". فأجابه الوزير الليبي: "لماذا لا تطبقها إذاً في الجولان؟"
أنظر. موقع الـ CNN باللغة العربية بتاريخ: 7-9-2006 .
http://arabic.cnn.com/2006/lebanon.escalation/8/9/press.august9th/index.html

الخارجية الإماراتي، الشيخ عبد الله بن زايد، والأمين العام للجامعة العربية، عمرو موسى، إلا أن وزير الخارجية القطري الشيخ حمد بن جاسم طلب أن يكون جزءا من الوفد، فرد أحد الوزراء قائلا أنه من المفترض أن يذهب فقط رئيس الدورة وأمين عام الجامعة، في هذه الأثناء تدخل أحد الوزراء المغاربة قائلا:" إن الشيخ حمد يجب أن يكون حمد الأول لا حمد آل ثاني، مما أثار غضب الوفد القطري[249].

ومما زاد من تعقيد الأزمة اللبنانية، احتجاجات دول الاعتدال العربي- مصر والسعودية والأردن- على الوساطة القطرية في لبنان، واتهامها بالتحالف مع النظام السوري لإفشال ترشيح قائد الجيش ميشيل سليمان لمنصب رئيس الدولة، وتناقلت بعض وسائل الإعلام معلومات حول مساع سورية قطرية لإقناع فرنسا، بأن سليمان ليس مرشحا توافقيا، وقد أشارت صحيفة النيويورك تايمز إلى نقاشات رئيس الوزراء القطري الأمير حمد مع الرئيس الفرنسي ساركوزي، حينما جاء حمد لإخبار فرنسا بأن سوريا وضعت فيتو على ترشح سليمان، إلا أن ساركوزي حسم الأمر عندما سأل أطرافا لبنانية صديقة عن موقفها من ذلك، فأجابت أنها متمسكة بترشيح سليمان. وعبرت الخارجية الفرنسية عن استيائها من طرح حمد، وفي لقائه كوشنير في قمة دافوس، أخبره كوشنير أن موقف قطر يتعارض مع المبادرة العربية حيال الأزمة في لبنان، لكن فرنسا ستبقى على موقفها ودعمها للإجماع العربي([250]).

وكانت صحيفة العرب القطرية، أشارت إلى الانسجام القطري السوري الإيراني حيال ملفات المنطقة العربية، وأوردت تصريحا للوزير حمد بتاريخ 28 شباط 2008، قال فيه أن العلاقات القطرية الإيرانية " تاريخية وراسخة"، وأن تنسيقا طيبا يسود علاقات البلدين. وقبل زيارة الوزير حمد لإيران وتصريح السابق، كان ولي العهد القطري الأمير تميم في سوريا، لبحث علاقات البلدين والمشاريع الاقتصادية التي تنفذها قطر في سوريا([251]).

---

249 - موقع الـ CNN ، المصدر سابق.

250 - تقي الدين، رندة." **سوريا ولبنان بين الرئاسة والخارجية الفرنسية**". صحيفة الحياة اللبنانية. 6-2-2008. أنظر الرابط الإلكتروني:http://www.daralhayat.com/opinion/02-2008/Item-20080205-eac35f7d-c0a8-10ed-01dd-6f82b36b0fdd/story.html

كما أشارت موقع أحرار سوريا إلى ذات الخبر بتاريخ 13-2-2008، أنظر الرابط الإلكتروني:
http://www.ahrarsyria.com/index.php?option=com_content&task=view&id=4286&

251 - أنظر موقع صحيفة العرب القطرية: (استرجعت بتاريخ 14-3-2008)

يتضح من مساعي الوزير حمد لدى ساركوزي بعد لقائه الرئيس السوري بشار الأسد والقادة الإيـــرانيين، أن وساطته في الملف اللبناني أقرب ما تكون إلى الموقف السوري، وهو ما تؤكده تصريحاته الســـابقة وإشـــارته إلى عمق التنسيق بين الدول الثلاث، لكن المفارقة والمراوغة القطرية تتضح أثناء زيارة ولي العهد السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى الدوحة، فقد صرح الأمير حمد عقب لقائه الصحفيين الســـعوديين إلـــى أن السياسة السورية تجاه لبنان غير حكيمة! وفي رده على سؤال حول مسؤولية قناة الجزيرة في أزمـــة البلـــدين خلال السنوات الماضية، قال حمد: " لا أبرئ قناة الجزيرة ولكن الإعلام في البلدين وتر العلاقات. الآن يجب أن تكون التغطيات حيادية وليست كيدية" ([252]).

تشير المفارقة السابقة إلى طبيعة الدور القطري في الوساطة اللبنانية، ورغم قربها من الموقف الســـوري، إلا أنها سعت لإرضاء السعودية على صعيدين: دبلوماسيا من خلال الزيارات المتبادلة([253])، وإعلاميا من خلال الجزيرة وتقنياتها في تغطية الشأن السعودي.

وزيادة على الأمثلة الواردة في الفصل الثاني، فقد غطت الجزيرة موسم الحج العام الماضي، بشكل بالغت فيه من تحضيرات السعودية لاستقبال موسم الحج، فقد عرضت على شريطها الإخباري بتاريخ 17 كـــانون الأول 2007 خبر استكمال السعودية كافة إجراءاتها لاستقبال الحجاج، وفي تقرير لمراسلها محمد الكبير الكتبي من مكة بتاريخ 16 كانون الأول، أشار إلى أن السعودية أنهت استعداداتها لاستقبال الحجاج بشكل شامل، وعـــدّد: توسيع الممرات والطرق وجسر الجمرات، إضافة إلى الخدمات الصحية ورضا الحجاج عن هـــذه الخـــدمات، كما ضمّن تقريره بمقابلة مع رئيس بعثة الحج القطرية صالح المري، يمتدح فيها الجهود السعودية في تسهيل

---

http://www.alarab.com.qa/details.php?docId=5154&issueNo=57&secId=16
أنظر أيضا: الصحيفة الإلكترونية سيريان تايم: http://syriantime.com/state/1829.html

[252] - أنظر الخبر في موقع البوابة الإلكتروني: (استرجع بتاريخ 17-3-2008)
http://www.albawaba.com/ar/countries/Qatar/278887
أنظر أيضا: http://www.free-syria.com/loadarticle.php?articleid=26952

[253] - زار أمير قطر السعودية لحضور القمة الخليجية في الرياض في ديسمبر/كانون الأول 2006، وكذلك حضور قمة منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) في نوفمبر/تشرين الثاني 2007، إضافة إلى لقاء في جدة بغرب المملكة مع الملك السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز في سبتمبر/أيلول 2007. أنظر موقع الجزيرة نت: (استرجعت بتاريخ 5-3-2008).
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/6681FA42-F596-4D9B-A8B6-399E81A17266.htm

أداء مناسك الحج، وبعد التقرير استضافت الجزيرة اللواء منصور التركي، المتحدث الرسمي باسم وزارة الداخلية السعودية، ليسأله جمال ريان عن التسهيلات السعودية للحجاج([254]).

ملاحظ من المثال السابق، سعي الجزيرة لا استضافة رئيس بعثة الحج القطرية دون غيره؛ للإشادة بالجهود السعودية والتنسيق العالي لإنجاح موسم الحج، وفي 24 شباط 2008، استضافت الجزيرة الباحث السعودي زهير الحارثي، للحديث عن العلاقات السعودية المصرية، بعد زيارة مبارك للرياض، لكن في استحضار مواقف مشابهة سابقة على التوافق القطري السعودي، كانت الجزيرة تستضيف عبد الباري عطوان لشتم السعودية ومصر بدل مغازلة السعودية([255])، وقد اقتصر دور عبد الباري بعد التوافق المذكور على شتم مصر، من خلال استضافته في المواضيع المرتبطة بمصر والقضية الفلسطينية بعيدا عن السعودية، كما تؤكد ذلك الأمثلة الواردة في الفصل الثالث من الدراسة.

لا تعني الأمثلة السابقة التزام الجزيرة بالتوافق القطري السعودي، ووقف الحملات التحريضية المتبادلة بشكل كامل، بل سعت بتقنياتها في العرض إلى استحضار الوجه الآخر في التغطية، ومثال ذلك تغطيتها لزيارة وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس للكويت بتاريخ 8 كانون الأول، لبحث موضوع الدرع الصاروخي، ففي تقرير غسان أبو حسين، استعراض لصور مصافحة غيتس خادم الحرمين الملك عبد الله، ليستدرك المراسل بالقول أن دولا خليجية أبلغت غيتس تخوفها من إيران، والإشارة هنا تستحضر إجابة متوقعة، بحيث يؤكد

---

[254] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ: 16-12-2007.

[255] - لم تتوقف الجزيرة عن استضافة عبد الباري عطوان بعد التوافق القطري السعودي، لكن تراجع عدد مرات ظهوره مرتبط بطبيعة برامج الجزيرة ومواضيعها، والأهم من ذلك طبيعة السياسة القطرية واختلافها بين الحين والآخر، ومنهجيا يرتبط الكلام السابق بما جاء في الفصل الأول، سواء في دلالات ومدلولات تغطية الجزيرة وانعكاسها على عبد الباري في حضوره، أم في سلطة خطاب المرئي، خلال توزيع الأدوار بين الضيوف الدائمين على الجزيرة حسب استراتيجيات خطاب القناة، أم في الفصل الثالث من خلال آليات تشكيل الواقع بما فيها طبيعة إدارة الحوار واختيار الموضوع والضيوف وغيرها من تقنيات خطاب المرئي في تشكيل الرأي العام
أنظر استضافة عبد الباري عطوان في برنامج ما وراء الخبر في الجزيرة حول الموقف العربي من حزب الله بتاريخ: 16-7-2006. وعلى الرابط الإلكتروني للجزيرة: (استرجعت بتاريخ 20-4-2008).
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/6CA1655E-2AE7-4CFD-BCCB-18CD9339F439.htm
واستمرت الجزيرة بعد التوافق القطري السعودي في ضرب السعودي من تحت الحزام/ كما في برنامج أكثر من رأي والذي خصصت حلقته بتاريخ 23-3-2008، للحديث عن جولة نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني الشرق أوسطيه. انظر:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/26F99799-7E0C-4C92-B87A-82F6F071CDA1.htm

المثال ما ذهب إليه الفصل الأول في الحديث عن خطورة التعليق على صور المرئي، بحيث يكتسب معنى جديد غير سياق الحدث([256]).

وفي 5 كانون الثاني، عرضت الجزيرة مقابلة كانت أجرتها مع رئيس البرلمان اليمني المتوفى عبد الله الأحمر ، للحديث عن دور مصر والسعودية في الثورة اليمنية، وركزت أسئلة على التدخلات السعودية والمصرية في شأن اليمن الداخلي، ومحاولات السعودية إجهاض الثورة وإعادة النظام السابق إلى ما قبل الانقلاب([257]).

وعودة لتعارض الموقف القطري في الملف اللبناني بين تأييد سوريا حينا، والتوافق مع السعودية حينا آخر، ورغم قول الأمير حمد بأن السياسة السورية تجاه لبنان غير حكيمة، إلا أنه شارك سوريا وإيران وعُمان اجتماعا سريا في دمشق قبيل القمة العربية الأخيرة، لتأكيد موقفهم تجاه الملف اللبناني[258]، وكان دور الجزيرة حاضرا في غيابها، أي أنها لم تغط خبر الاجتماع، فيما يبدو على أنه حرص على استمرار التوافق القطري السعودي.

وتزامن الاجتماع الرباعي مع دعوة وجهها وزير الخارجية القطري للدول العربية لحضور اجتماع القمة قائلا:" لا يجب أن نساوم على القمة والمقاطعة لا تفيد، وإذا لم نقاطع أنابوليس، فلماذا نقاطع القمة السورية"([259]).

يبدو من الكلام السابق انتقال تقنيات المقارنات في الخطاب من الجزيرة إلى وزير" خارجيتها"؛ فحينما يلتقي الأمير حمد ولي العهد السعودي يدين تدخلات سوريا في لبنان، وحين يجتمع بالمسئولين السورين والإيرانيين يتوافق معهم حول موقفهم من أزمة الرئاسة اللبنانية، بل و يشتم بشكل غير مباشر السعودية ومصر ويدعوهم

---

256 - للمزيد حول خطورة التعليق على الصور في توجيه الرأي العام، ينظر الفصل الأول في مبحثه الثالث، وتحديا المطلب الثاني: المرئي والتعليق على مرئياته.

257 - أنظر مقابلة عبد الله الأحمر التي بثتها الجزيرة بتاريخ: 5-1-2008.

258 - للمزيد أنظر تقرير شعلان شريف في إذاعة هولندا الحرة على الموقع الإلكتروني بتاريخ: 10-3-2008. http://arabic.rnw.nl/mideastafrica/10020801

259 - المصدر السابق.

لحضور القمة، ولغرض إحراج هذه الدول جماهيريا، يقارن بين حضور أنابوليس ومقاطعة القمة العربية في دمشق!

وللتأكيد مجددا على العلاقة التكاملية بين الجزيرة القناة والجزيرة الدولة، تجاهلت القناة خبرا مهما في غمرة تغطيتها للحرب الإسرائيلية على لبنان، مفاده أن منظمة العدل الدولية طالبت قطر بعدم السماح للطائرات الأمريكية بالإقلاع من القاعدة الأمريكية في الدوحة، وذلك لشحن قنابل ذكية تساند الجيش الإسرائيلي في حربه على لبنان([260])، فيما كانت الجزيرة تكثف من تغطيها وعرضها لصور سقوط القذائف العنقودية الإسرائيلية وسقوط الضحايا اللبنانيين، دون الكشف عن مصدر هذه القنابل، من هنا تتبع خطورة البنية الجمعية للدبلوماسيتين: دبلوماسية قطر ودبلوماسية الجزيرة، بحيث تبدو كل واحدة على النقيض.

والمثال الآخر على تكامل الدبلوماسيتين، أن وزير الخارجية القطري وصل بيروت إبان الحرب الإسرائيلية على لبنان صيف 2006، لحضور اجتماع وزراء الخارجية العرب قادما من إسرائيل، وهو الوحيد الذي وصل بيروت بطائرة خاصة بعد قضاء 4 ساعات في إسرائيل، وأنه قد استأذن السلطات الإسرائيلية أن تهبط طائرته في بيروت على اعتبار أن لا أحد من الوزراء العرب تمكن من الوصول بطائرته، بسبب الحظر الجوي الإسرائيلي في سماء بيروت في حينه([261])، واكتفت الجزيرة آنذاك بتغطية زيارة الوزير القطري للضاحية الجنوبية بعد توقف القصف الإسرائيلي، في إشارة إلى دعم قطر للمقاومة اللبنانية.

---

[260] - أوردت قناة العربية خبر رسالة منظمة أمنستي إلى قطر ضمن نشراتها الإخبارية بتاريخ: 9-2-2006.
كما ورد الخبر في أكثر من موقع على شبكة الإنترنت، لكن لغرض المصداقية يمكن الرجوع للخبر كما ورد في دراسة:
البستاني، هشام . **التحليل السياسي لما بعد العدوان الصهيوني على لبنان**. مجلة المحرر. ع 266. سنة 2008.، كما يمكن الرجوع للرابط الإلكتروني على العنوان التالي: http://www.al-moharer.net/moh249/bustani249.htm
أنظر أيضا صحيفة الشرق الأوسط على الرابط الإلكتروني: (استرجعت بتاريخ: 10-2-2008).
www.asharqalawsat.com/details.asp?section=1&article=374555&issue=10100

[261] - أنظر صحيفة الرأي الأردنية بتاريخ 6-9-2006.
كما أوردت صحف ومواقع إلكترونية خبر تأكيد مسؤول إسرائيلي لزيارة الأمير حمد، واستغرابه من نفي قطر للزيارة. أنظر: http://www.alwatanvoice.com/arabic/content-54127.html

الفصل الخامس: نتائج الدراسة – الجزيرة وبناء النموذج القطري–

–" قطر مركز العالم"–

يروى أن الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية، استدعى ذات يوم وزير خارجيته عمر السقاف بشكل عاجل، بعد هزيمة حرب عام 1967، إلا أن السقاف رغم علمه بمواعيد الملك وانتظاره زيارة وزير الخارجية الكويتي صباح الأحمد، ظن أن الملك قد تلقى خبرا أو هاتفا يتعلق بالحرب وظروفها، ولما دخل الوزير على ملكه، سأله الملك:" قل يا عمر: هل تعرف ما هما الدولتان العظميان في العالم اليوم؟" دهش السقاف لسؤال الملك وبساطته وأجاب بشيء من الهدوء:" الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي"، فما كان من الملك إلا أن ابتسم وقال:" أضف إلى معلوماتك بلدا ثالثا هو الكويت".

تروى هذه القصة للدلالة على غرور دولة الكويت وشعورها بالعظمة في حينه. طبعا كان ذلك قبل الغزو العراقي لها.

يشير رياض الريس مؤلف كتاب: رياح السَموم: السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج 1991–1994" إلى أن حكاية الملك فيصل مع وزيره حصلت قبل ما يزيد عن 30 سنة، لكن لو يعيد التاريخ نفسه ويستدعي الملك وزيرة مجددا، ويسأله ذات السؤال لكان الأمير أجابه" دولة قطر" والسبب– حسب الكاتب أن الأمير سعود الفيصل يعرف أن سياسة بلاده بعد حرب الخليج، والتي لم تساهم فيها قطر إلا في النذر اليسير من القوات والجهد، قد ولدت لديها الشعور بالعظمة، أين منه ما كان عند الكويت في عقدي الستينيات والسبعينيات!

ويستطرد الريس:" إن المتابع للشؤون القطرية وتحركات رئيس وزرائها حمد بن جاسم لا بد و أن يلحظ مدى الشعور بالعظمة الذي يمارسه في تصريحاته ومواقفه"، مشيرا إلى أن قطر تمارس تصرفات سياسية فوقية لا

تتناسب مع حجمها الجغرافي ولا قدراتها العسكرية، كما أنها لا تشبه أي دولة كبرى في إمكانياتها الاقتصادية وفكرها السياسي وقدراتها الدبلوماسية([262]).

المبحث الأول: تقسيم الأدوار، خلق عالم

بعيدا عن توقعات رياض الريس بخصوص السعي القطري للحصول على مكانة فاعلة في المنظومة العربية، تثبت الحالات الدراسية أن الدبلوماسية القطرية كانت فاعلة أكثر في حضور قناة الجزيرة، وبإمكان الأخيرة دعم الدبلوماسية القطرية سواء في تأكيدها والثناء عليها، أو في إخفائها، وفيما يلي بعض الشواهد التي تؤكد الدور التكاملي للدبلوماسيتين.

في 12 شباط 2008 ركزت الجزيرة في نشرتها وبرامجها على وثيقة ميثاق الشرف الإعلامي العربي التي أقرها وزراء الإعلام العرب، باستثناء تحفظ قطر ولبنان، وفي نشرة حصاد اليوم سأل جمال ريان، جمال فهمي عضو نقابة الصحفيين المصريين، قائلا: كيف تقرأ هذه الوثيقة وهنالك من يقول أن وزراء الإعلام العرب قرروا شن حربا على الفضائيات؟ بدأ الضيف إجابته بمقارنة فشل الوزراء العرب في حل المشاكل العربية في مقابل اتفاقهم على أداة جديدة من أدوات القمع ومصادرة الحريات، وكان السؤال الثاني لجمال عن عدم اشتمال الوثيقة على بند منع تمجيد الزعيم، ليكمل الضيف حديثه عن سلبيات الوثيقة ومصادرتها كل الحقوق، حتى حق التنفس– على حد وصفه([263]).

وقبل نشرة الحصاد، كانت الجزيرة قد خصصت حلقة برنامج ما وراء الخبر، للحديث عن الوثيقة، واستضاف علي الظفيري كل من الضيف الدائم عبد الباري عطوان، ورئيس تحرير مجلة الهلال مجدي الدقاق. تحدث

---

[262] - الريس، رياض نجيب.(1998). **رياح السَموم: السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج 1991-1994**. ط4. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص 295+296.

[263] - أنظر نشرة أخبار حصاد اليوم بتاريخ: 12-2-2008.

الظفيري للدقاق بمداخلة حول عدم اهتمام الوزراء العرب في نقاشاتهم إلى فضائيات التسلية، قائلا:" لو سألت كل مواطن عربي عما يشاهده في الفضائيات، لتحدث لك عن برامج "العهر" و" الدعارة".. كل هذه الأمور لم يناقشها وزراء الإعلام العرب فيما تحدثوا عن صون الرموز السياسية".

ثم سأل عطوان عن قدرة الوثيقة على تقييد وسائل الإعلام العربية. بدأ عبد الباري الحديث عن تكميم الإعلام، خصوصا منع قناة الجزيرة من التغطية في العراق، بعد دورها في التأثير في مجريات الحرب، قبل أن ينتقل للحديث عن القنوات" الخلاعية" وتشجيعها، كونها تبث على قمر النايل سات، فيما رؤوس الأموال تأتي من الخليج وخصص السعودية على وجه التحديد، لكن الظفيري قاطعه قائلا:" قد يكون تحديد السعودية أمرا غير دقيقا، فإنشاء قناة فضائية لا يحتاج لأكثر من 200 ألف دولار، يعني أي فرد من مصر من الجزائر مش فقط الخليج والسعودية، يعني المسألة أصبحت مفتوحة للجميع حتى لا نظلم جهة معينه"، يجيبه عبد الباري: طيب ياسيدي الجميع، بس.. بس، أين تبث هذه القنوات على النايل سات والعرب سات يعني المسألة واضحة جدا"([264])، وأكمل عبد الباري لثوان قبل أن يقاطعه الظفيري معلنا انتهاء الحلقة.

يلاحظ مجددا أن الاستفاضة في شتم السعودية لم يعد محتملا في الجزيرة بعد التوافق القطري السعودي، فـــ عبد الباري، لم يعد بإمكانه الإمعان في شتم السعودية عبر الجزيرة إلا في مناسبات معينة وبشكل سطحي. وبالعودة إلى استضافة جمال فهمي في الحصاد، يتبين طبيعة النقاش ومحاوره، وكذلك اختيار الضيف كمعارض للوثيقة بحيث غيب الرأي الآخر مجددا، بل وسعت الجزيرة عبر أسئلة جمال ريان ومداخلة الضيف إلى ربط الموضوع بالأزمات العربية وتصوير الفشل العربي الرسمي في كل القضايا باستثناء تكميم الأفواه.

ولم تكتف الجزيرة باستضافة عبد الباري عطوان في برنامج ما وراء الخبر، فقد أتاحت له مجددا شاشتها بشكل منفرد في برنامج منبر الجزيرة بتاريخ 17 شباط، حيث ربط بين الوثيقة الإعلامية، ووثيقة وزراء الخارجية العرب في تونس حول الإرهاب، وزيارة الرئيس بوش إلى المنطقة، ثم عاد مجددا للحديث عن

[264] - أنظر برنامج ما وراء الخبر على الجزيرة بتاريخ: 12-2-2008.

بطولات الجزيرة ودورها في فك الحصار الجزئي عن قطاع غزة، وتأثيرها في الحرب على أفغانستان والعراق([265]).

وللتأكيد على الإعداد المسبق للحلقة واختيار الضيف وطبيعة التساؤلات، ينبغي ربط حلقة منبر الجزيرة وقبلها برنامج ما وراء الخبر، بحلقة برنامج الاتجاه المعاكس بهذا الخصوص، بحيث تتضح مجددا تقنيات خطاب الجزيرة والإستراتيجيات التي تحولت خلالها مجموعة من الشعارات التي أوجدتها القناة وضيوفها الدائمون، إلى ظاهرة لها تأثيرها وقيمتها الإخبارية، في مقابل حجب أحداث ووقائع أخرى([266]).

في حلقة الاتجاه المعاكس بتاريخ 19 شباط 2008، سعى فيصل القاسم للربط بين زيارة بوش للمنطقة، واجتماع وزراء الخارجية العرب في تونس قبل زيارته بشهر، بهدف تحديد مفهوم الإرهاب، وابتدأ قائلا:" ثم ما لبث وزراء " الإعتام والإلجام العرب – كما يسميهم أحد الساخرين، أن توافدوا على القاهرة لإخراس الإعلام الحر؟ الم يكن الشارع العربي محقا حينما سما الوثيقة الصادرة عن وزراء الإعلاك العرب بأنها من بركات زيارة بوش– يضيف آخر؟ أليست وثيقة اللا شرف؟ لماذا تحدث بعض وزراء الإعلام عند إصدار الفرمان بلهجة ضباط المخابرات؟ وهل هم سوى موظفين أمنين أصلا– يضيف آخر؟ كيف يزعمون أنهم يريدون الحفاظ على كرامة المواطن، وهل ترك أسيادهم الطغاة للمواطن أي كرامة وأي شرف؟ كيف يريدون مكافحة الإرهاب وهم رأس الأفعى، يضيف أستاذ فلسطيني؟ ألم تصبح الحرب على الإرهاب ذريعة لدى أصحاب الفخامة والكروش للحفاظ على العروش؟.. وهل هم سوى رموز للفساد والسمسرة والطغيان، يتساءل أحدهم؟ الم تصدر وثيقة الإعلام العربية عن جبناء... الخ.

يكمل فيصل لكن في سياق الرأي الآخر قائلا:" لكن في المقابل الم تصبح الساحة الإعلامية الفضائية شغل من لا شغل له؟ أليس حريا بنا أن نبارك الخطوة التي أقدم عليها وزراء الإعلام لتنظيم البث، حتى لا يصبح

---

[265] - لقراءة نص حلقة برنامج منبر الجزيرة، ينظر رابط الحلقة على موقع الجزيرة : (استرجعت بتاريخ: 18-3-2008)
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/28A9CA83-FD4D-49D7-84AB-EA24CF94589F

[266] - أنظر تقنيات الخطاب في الفصل الأول.

الفضاء يعج بالفوضى الإعلامية؟ ما العيب من إسكات البرامج المشاكسة..؟ ما العيب في إسكات الإعلاميين المشاغبين..الخ([267]).

بعيدا عن تقنيات توزيع الوقت واختيار الضيوف ومقاطعتهم، وحجم الأسئلة وطبيعتها، يلاحظ أن التساؤلات التي بدأ بها فيصل حلقته ذيلت كالعادة بقوله:" قال آخر، أو يضيف آخر"، لكن المفارقة كانت في أن الآخر هو نفسه الأول عبد الباري عطوان، وبالعودة إلى حلقة منبر الجزيرة السابقة الذكر، يتبين أن جميع مداخلات عطوان بلا استثناء هي محور حلقة فيصل وتساؤلاته، سواء في بداية الحلقة أم في نقاشاته للضيوف، خصوصا الربط بين زيارة بوش ووثيقة الشرف الإعلامي وقبلها وثيقة الإرهاب، مما لا يدع مجالا للشك بأن خيارات العرض في الجزيرة هي عمل منظم ومؤسس وفق استراتيجيات معدة مسبقة، تحدد منظومات العرض والحجب.

واستكمالا لتغطية الجزيرة لموضوع وثيقة الشرف الإعلامي العربي وبعد 24 ساعة من عرض حلقة الاتجاه المعاكس، خصص أحمد منصور حلقة برنامجه بلا حدود بتاريخ 20 شباط للحديث إلى الفنان الساخر أحمد السنوسي حول وثيقة الشرف الإعلامي العربي، واستهزأ السنوسي بالزعماء العرب، مقلدا صوت وسلوك بعضهم دون تحديد مسمياتهم، كما تضمنت الحلقة استضافة الفنان المصري محمد صبحي ليكمل المسرحية الهزلية، على اعتبار أن التمثيل هو أفضل نموذج لإرسال رسائل مضمرة عبر قالب التسلية والسخرية([268]).

---

[267] - أنظر حلقة برنامج الاتجاه المعاكس، حول وثيقة شرف الإعلام العربي بتاريخ 19-2-2008.
كما يمكن مراجعة نص الحلقة على موقع الجزيرة، بحيث يمكن بسهولة تطبيق إستراتيجيات الخطاب وتحليله على تقنيات وسلوك مقدم البرنامج وطبيعة توجيهه للتساؤلات وتوزيع الوقت على الضيوف. (استرجعت بتاريخ: 16-3-2008)
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/28A9CA83-FD4D-49D7-84AB-EA24CF94589F

[268] - اختيار ضيوف الحلقة وطبيعتها ومداخلات مقدم البرنامج أحمد منصور تعكس مجددا خطورة الرسالة التي تحملها الحلقة في قالبها الهزلي، إلى جانب خطورة التكرار وتكثيف التغطية من خلال ربط الحلقة بالبرامج السابقة حول نفس الموضوع، بحيث يمكن القول أن جميع استراتيجيات وتقنيات الخطاب وظفت في الجزيرة لغرض توجيه الاستهجان الشعبي لرفض وثيقة الإعلام العرب، وقد استطاعت الجزيرة تصوير قرار وزراء الخارجية العرب على اعتبار أنه موجه لها، فيما كانت قطر الحلقة الأولى في إستراتيجية توجيه القرار لصالح الجزيرة حينما تحفظت على الوثيقة.
ينظر حلقة برنامج بلا حدود بتاريخ: 20 -2-2008.

بات واضحا التوافق بين رسالتي قطر والجزيرة، بحيث اعترضت الأولى على الوثيقة ومهدت للجزيرة استغلالها وتحويلها إلى مكسب، باعتبارها المستهدف الأول من الوثيقة، فيما سعت الجزيرة للتعرض إلى خصوم الدوحة كالسعودية ومصر، ولكن بدرجات متفاوتة، خصوصا حديث عبد الباري عطوان واستضافته الدائمة وكلامه المتكرر عن السعودية ومصر وإدارتهما لقمري النايل سات وعربسات، في إشارة إلى أن الدولتان مسئولتان عن القنوات" الخلاعية".

وفي سياق الإفادة والإفادة المتبادلة، تروج الجزيرة لقطر بين الفينة والأخرى، فقد بثت مقابلة مع الدكتور فاروق الباز، مدير معهد أبحاث الفضاء بجامعة بوسطن، في برنامج بلا حدود بتاريخ 12 كانون الأول 2007، وردا على سؤال احمد منصور، وما أسماه العداء بين الأنظمة العربية والمبدعين في إشارة إلى النظام المصري، يستطرد الباز في حديثه عن تجربته في مصر ودوافعه للهجرة، أما مكان قطر فكان في حديث منصور والباز عن مؤتمر العلماء المغتربين الذي دعت له الدوحة، واستهل منصور كلامه بالقول:" قطر هذه الدولة الصغيرة التي تناطح الكبار دائما بمشاريعها المختلفة..الخ"، فيما رد عليه ألباز في سياق التفاؤل، قائلا:" أن قطر مختلفة عن الدول العربية كلها، فقد خصصت بئر نفط للمعرفة"، ثم سأله منصور عن ما هو ممكن إنجازه ضمن المشروع القطري، فيجيب البارز:" سنبني مجموعة من الشباب في قطر وندعمهم"، يقاطعه منصور قائلا:" قطر دولة " أد كده"، هل بابها مفتوح لدول الخليج؟ يبدو من السؤال فاتحة لدفع الضيف لمزيد من التفاؤل والحديث حول المشروع، بحيث يسأله مجددا عن أهمية الدعوة القطرية، ودورها في إمكانية تحقيق تغيير في العالم العربي لو توفرت الإرادة السياسية كما هي في قطر، وحينما يتردد الباز في الحديث عن الإرادة السياسية باعتبارها الدافع الأول حسب تصنيف منصور، يتدخل الأخير مقاطعا ومجيبا على سؤاله لضيفه بنفسه، مؤكدا أن الإرادة السياسية هي كل شي في العالم العربي([269]).

وفي سياق آخر من سياقات الإفادة والإفادة المتبادلة بين الجزيرة وقطر، خصصت الأولى برنامج ما وراء الخبر في 17 شباط 2008، للحديث عن الدورة الخامسة لمنتدى أمريكيا والعالم الإسلامي في الدوحة، وقال فيه مقدم البرنامج علي الظفيري:" أنه يبحث العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي من أجل تضييق

[269] - أنظر برنامج بلا حدود على الجزيرة بتاريخ: 12-12-2007.

الفجوة التي اتسعت بين الطرفين منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ويهدف المنتدى الذي ينعقد في الدوحة منذ عام 2004، إلى تنظيم حوار بين الشخصيات المرموقة من العالم الإسلامي في مجال السياسية والاقتصاد والإعلام بنظرائهم في الولايات المتحدة"([270]).

عرضت الجزيرة في سياق الحلقة وقبل بدأ الضيوف نقاشهم، مقتطفات من تصريح لرئيس مجلس الوزراء القطري، تحدث فيها عن النجاح في إشاعة الديمقراطية في العلاقات الدولية، في إشارة إلى الولايات المتحدة، ويضيف متسائلا: " إذا كان الانفراد في السلطة غير مقبول على الصعيد الداخلي، فمن باب أولى أن تنتهي السياسات الانفرادية على الساحة الدولية، وما يصاحبها من سياسات الكيل بمكيالين وانعدام الشفافية واستخدام القوة".

يتدخل علي الظفيري معلقا بعد التصريح قائلا:" كلام الشيخ حمد اعتقد يختصر" كثيييير" من المواقف في العالم الإسلامي، يعني يقول لك د. زياد أي شخص بسيط، فلتتوقف الولايات المتحدة الأمريكية عن الاستفراد بالعالم، فلتتوقف عن استخدام الدول الإسلامية، ولتساعد على حل القضية الفلسطينية، ولينتهي الأمر، لا توجد لدينا مشكلة مع الأمريكيين".

يجيبه ضيف الحلقة د. زياد أبو عمرو، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني قائلا:" هذا الموضوع لا يحتاج إلى منتديات حوار، لأنه موضوع قديم وجديد، مع أنني أؤيد موضوع الحوار والمنتديات..الخ".

يتضح من الاقتباسات السابقة سعي الجزيرة لعرض كلام الوزير حمد مقطوعا عن سياقه، ووفق تحليل الظفيري له، وزيادة على ذلك، عنونت على شريط المعلومات الخاص بالحلقة، بعضا من كلمات الوزير:" قطر تنتقد النزعات الانفرادية وسياسة الكيل بمكيالين"، " قطر: التحدي الأكبر للعلاقات الأمريكية الإسلامية هو قضية فلسطين".

[270] - أنظر برنامج ما وراء الخبر على الجزيرة بتاريخ: 17-2-2008.

يلاحظ من طبيعة التغطية السابقة، سعي الجزيرة لتعزيز موقف جماهيري إيجابي من تصريحات الوزير حمد، فقد علق الظفيري بالقول أن كلام الوزير لخص كل ما يجري في العالم الإسلامي، وبالتالي هو يوصي وقناة الجزيرة الولايات المتحدة لتغيير سياستها، والتوقف عن الكيل بمكيالين، لكن كلام الوزير السابق هو الشق الأول من مقولة الرأي والرأي الآخر، فقد غاب عن الجزيرة التأكيد على حديث الأمير حمد في كلمته باللغة الانجليزية من أن بلادة تتمتع بعلاقات متينة مع الولايات المتحدة، وأن هنالك تحالفا قويا بينهما، وأن استمرار متانة هذه العلاقات أمر مهم جدا بالنسبة لقطر– على حد قوله([271]).

كما حجبت الجزيرة على جمهورها خبر مشاركة كل من القرضاوي والرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون في المؤتمر، إلى جانب تجاهلها أبعاد المؤتمر ذاته، باعتباره مخصصا" للبحث في وضع حلول لزيادة معدلات الكراهية للسياسات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بشكل لم يسبق له مثيل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وغزو العراق"([272])، تماما كما تجاهلت دعوة الوزير حمد حركة حماس" للسير في عملية السلام والإصلاح بما يحقق الأمن والاستقرار للشعب الفلسطيني"([273])، كما جاء في كلمة افتتاحه للمؤتمر.

ولغرض التأكيد مجددا على أهداف خطاب الجزيرة، يمكن مقارنة سعيها للربط بين زيارة بوش للدول العربية وسقوط عشرات الشهداء في غزة، وذات الربط أقامته في تغطيتها لمؤتمر أنابوليس، في مقابل تجاهلها البحث في أبعاد منتدى ضخم لتطبيع العلاقات العربية والإسلامية الأمريكية سياسيا واقتصاديا وإعلاميا، من خلال حجب بعض المواقف والسعي لإبراز أخرى، إلى جانب تغييب ضيوف شاشاتها الدائمين من التعليق على المؤتمر، أيام انعقاده، خصوصا: عبد الباري عطوان وعبد الحليم قنديل وآخرون.

تعكس الأمثلة السابقة تقنيات خطاب الجزيرة، بحيث عمدت إلى إخفاء أحداث وأخبار مقابل التركيز على أحداث أخرى، وضمن نفس الأخبار التي سعت لإظهارها مارست عليها عمليات حجب وإعادة قولبة، بحيث صورت الوزير القطري بالناقم على السياسات الأمريكية، وأكثر من ذلك تدخل المذيع علي الظفيري بوصف

---

[271] - للمزيد حول تصريح الأمير حمد باللغة الانجليزية، ينظر تغطية الفضائية القطرية للمنتدى بتاريخ: 17-2-2008.

[272] - ينظر الموقع الرسمي لمنتدى أمريكيا والعالم الإسلامي في الدوحة : (استرجع بتاريخ 23-3-2008)
http://www.qatar-conferences.com/usislamic2007/arabic/viewlastnews.php?id=3

[273] - أنظر كلمة الأمير حمد في افتتاح منتدى أمريكا والعالم الإسلامي على الموقع الرسمي للمؤتمر:
(استرجعت بتاريخ: 23-3-2008) http://www.us-islamic.com/new-us-islamic/arabic/news8.html

كلام الوزير بأنه لخص كل مما يجري في العالم العربي، وأن رأيه يتفق مع أي شخص في الشارع حول سياسة أمريكيا تجاه المسلمين، وكأن الظفيري بتعليقاته إلى جانب صياغة تساؤلاته ومداخلاته للضيوف أعاد فرض منطق جديد للأحداث، بحيث يخدم التكرار والتكثيف فعل التعزيز ودوره في التأثير على المتلقي من خلال رسائل محددة و ممنهجة([274]).

ولغرض المقارنة المنهجية بين تغطية الجزيرة للخبر المصري والخبر القطري، يمكن التوسع في عرض تغطيتها زيارة الرئيس بوش للقاهرة، بحيث ربطتها تاريخيا بزيارات الرئيس مبارك السنوية إلى الولايات المتحدة، أو ما أسمتها الجزيرة" رحلات الحج السنوية لمبارك إلى واشنطن".

صاغ مدير مكتب الجزيرة في القاهرة حسين عبد الغني، عباراته بشكل ملفت في تقريره حول زيارة بوش لمصر بتاريخ 16 كانون الثاني، قائلا:" أحبط الرئيسان المصري والأمريكي آمال المعارضة المصرية بأن تعمق زيارة الرئيس بوش من أزمة ثنائية عزف فيها مبارك عن رحلة الحج السنوية لواشنطن منذ 4 سنوات، وشهدت تجميدا لجزء من المعونة العسكرية الحساسة لمصر، وواجه الرئيسان دعوة هذه المعارضة إلى إعادة النظر إلى هذه العلاقة والتخلي عن ما تسميه التبعية لواشنطن، بالقول معا بأنها علاقة إستراتيجية، وغير قابلة للتخلي عنها"، واتبع عبد الغني كلامه باقتباس لمبارك قال فيه:" لقد اكتسبت العلاقات المصرية الأمريكية أهمية مضطرة عبر العقود الماضية، وحققت مصالح متبادلة للبلدين والشعبين الصديقين، والقضايا الإقليمية في الشرق الأوسط"، ثم اتبع تقريره بكلام لبوش قائلا:" صداقتنا قوية، وهي تمثل جحر الزاوية لسياستنا لهذه المنطقة، كما أنها مبنية على الحرية والأمن والرخاء"([275]).

يلاحظ مما سبق، خطورة استخدام التقنيات في خطاب الجزيرة، خصوصا استعمال الرموز كقول عبد الغني:" رحلة الحج السنوية لمبارك إلى واشنطن"، فالدلالة الرمزية– الحج– تحمل معنّى هائلا، ذا شحنة قيمية غير

---

[274] - تمارس الجزيرة عبر منظومة الحجب وإعادة صياغتها، سلطة على المتلقي يتم خلالها تعزيز صورة خطاب القناة لدى المشاهدين بشكل غير ملموس، وتحديدا في ظل منظومة قطع الأحداث عن سياقها، أو ما سبق الاصطلاح عليه بمفهوم القطائع المعرفية المخففة، للمزيد حول الموضوع ينظر الفصل الأول في الدراسة ، وتحديدا مبحثه الثاني: سلطة خطاب المرئي.

[275] - أنظر تقرير حسين عبد الغني ضمن نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ 16-1-2008.

متوفرة في كلمات وعبارات أخرى([276])، إضافة إلى خطورة التسطيح في صياغة التقارب في التصريحات السابقة، في مقابل تجاهل التعمق في الأسباب الحقيقية للخلافات الأمريكية المصرية.

كما استخدمت الجزيرة تقنية التقارب، من خلال إلصاق تصريح الرئيس مبارك حول متانة علاقات بلاده بأمريكا بتصريحات الرئيس بوش، وهذا ما لم تفعله الجزيرة في تقريرها حول منتدى الدوحة، بحيث لم تسع لاصطفاف تصريحات الأمير حمد حول متانة علاقات بلاده بالولايات المتحدة، بجوار حديث الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون الذي لم يتم ذكر حضوره أصلا، وفي ذلك دلالة أخرى([277]).

والرسالة الأخرى التي حملتها تغطية الجزيرة، كانت في التحفيز الشعبي لصالح حركة الإخوان المسلمين وتصوير زيارة بوش وفهمها من منطلق رفض الإخوان لها، إضافة إلى التركيز على تظاهرات الإخوان احتجاجا على الزيارة، وتتسع دائرة الدلالات حينما تحيل الجزيرة المشاهدين إلى الحلقة الأوسع التي رسمتها في ربطها زيارة بوش باعتداءات إسرائيل على الفلسطينيين، واستمرار حصار غزة، وتحميل مصر مسؤولية الحصار، فيما المعارضة تتظاهر رافضة زيارة بوش وحصار غزة.

تأكد الأمثلة السابقة، ما ذهبت له الدراسة على امتداد صفحاتها في الحديث عن السياسة الخارجية القطرية ودور قناة الجزيرة في تعظيمها عبر توظيفها لتقنيات الخطاب، لكن الجديد في الموضوع، محاولة البحث في العلاقات القطرية الأمريكية الإسرائيلية، وانعكاساتها على جهود الدوحة للوساطة في القضايا العربية، وتحديدا قضيتي لبنان وفلسطين.

---

[276] - أشار الفصل الأول من الدراسة إلى خطورة الرمز في تشكيل المعرفة، كونه يتضمن حكما ومعرفة جاهزة قابلة للتفاعل مع المخزون المعرفي لذاكرة وذهنية المتلقي، مما يدفعه إلى استصدار الأحكام السطحية بفضل عمليات الحجب والتضليل التي مارسها الرمز وما يحمله من شحنة معرفية تحمل عقلنة بذاتها. أنظر المبحث الأول ضمن الفصل الأول من الدراسة.

[277] - يلاحظ في المقارنة بين تغطية الجزيرة لخبري زيارة بوش ومنتدى أمريكيا والعالم الإسلامي، خطورة تقنيات الخطاب خصوصا منظومة الحجب والإخفاء، بحيث يتم التركيز على أحداث في مقابل حجب أحداث أخرى، للمزيد ينظر الفصل الأول من الدراسة، خصوصا المبحث الثاني: المرئي وتصويرات الواقع.

من اللافت تذكر أن توتر العلاقات القطرية السعودية، هو الدافع الأول للسياسة الخارجية القطرية، فمنذ أن وصل الأمير حمد إلى الحكم سعى لتمتين علاقاته بالولايات المتحدة، لضمان عدم دعمها إلى جانب الدول العربية للأمير الأب وإعادته للحكم، وتلقائيا ترتب على ذلك اتصالات قطرية إسرائيلية انتهت إلى فتح مكتب تمثيل تجاري إسرائيلي في الدوحة، إضافة إلى التنسيق السياسي ودخول قطر على خط الوساطة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويعتبر اللقاء التاريخي الذي جمع وزير الخارجية القطري بنظيرة الإسرائيلي شمعون بيريز في كانون الثاني1994 في لندن، المحطة الأبرز في علاقات البلدين، فبعد أسبوع على اللقاء، وفي معرض رده على سؤال وجه له في زيارته لواشنطن بخصوص الاجتماع، عما إذا كانت بلاده تلعب بالنار مع جيرانها في سياستها مع إسرائيل، والمقصود استفزاز السعودية، أجاب الوزير القطري:" من المثير في بعض الأحيان اللعب بالنار.. اللعب بالنار يجب أن يتم بأمان"([278])، ويبدو أن جرأة الوزير القطري مستمدة من تشجيع وزير الخارجية الأمريكي الذي قال:" سأشجعه على اتخاذ إجراءات تخفف آثار المقاطعة لإسرائيل، وعلى إقامة علاقات اقتصادية وثقافية وثيقة بين بلاده والدولة العبرية، تمهيدا لسلام حقيقي في الشرق الأوسط"([279]).

وكانت صحيفة الشرق القطرية أجرت مقابلة مع بيريز في 15 تشرين الأول عام 1993، ونشرتها على الصفحة الأولى بمناشييت عريض وصورة ليبريز، وتعتبر هذه المقابلة السابقة الأولى في الصحافة الخليجية، إلا أن الصحيفة القطرية بررت ذلك بالقول:" أن الأمور تسير باتجاه صلح شامل تفرضه علينا الظروف والتحولات السياسية شئنا أم أبينا"([280])!

بعد مضي 15 عاما على العلاقات القطرية الإسرائيلية، استضافت قطر بعيد القمة العربية في دمشق، وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني، للمرة الثانية في منتدى الدوحة الثامن للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة بتاريخ 14 نيسان 2008.

---

[278] - الريس، رياض نجيب. **رياح السَموم: السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج 1991-1994**. مصدر سابق، ص 300. انظر أيضا صحيفتي الحياة والنهار 28-1-1994.

[279] - المصدر السابق، ص 302. انظر أيضا صحيفة الحياة 29-1-1994.

[280] - المصدر السابق، ص 303.

ودعت ليفني في كلمتها الدول العربية لإقامة علاقات متينة مع بلادها، كما تفعل قطر– حسب ما ذكرت الجزيرة الناطقة بالإنجليزية، لكن في تغطية القناة الناطقة بالعربية، عرضت المذيعة إيمان عياد في نشرة الحصاد ملخصا لتصريحات ليفني وقولها أن الصراع في المنطقة هو صراع مع من وصفتهم بالمتطرفين، وأن الأوضاع في غزة تمثل عقبة في قيام دولة فلسطينية، وأن أي خطوات تطلب من القيادة الفلسطينية في عملية التسوية لن تتم دون دعم القادة العرب، وقد تجاهلت الجزيرة ما قالته ليفني عن متانة علاقات بلدها بقطر([281]).

وتغطية على ما يجري في منتدى الدوحة، كثفت الجزيرة من عرض تهديدات مسؤولي حركة حماس بانفجار الأوضاع في غزة، بحيث شغل الخبر الملف الأول في نشرات الجزيرة الإخبارية، ففي نشرة الحصاد استضافت القناة المتحدث باسم حماس إسماعيل رضوان مهددا بان انفجار غزة وشيك وسيطال جميع الجهات، لكن الجزيرة لم تسأله عن تصريحات ليفني من الدوحة حول حماس، أو حتى موقفهم من استضافتها في قطر، فيما كثفت من عرض صور المعاناة الإنسانية في القطاع، وتجاهلت إدانة حركة الجهاد الإسلامي لاستقبال ليفني في الدوحة، ولم تسعى لاستضافه متحدث عن الحركة لسؤاله عن اعتبار حركته زيارة ليفني تمثل تجاهلا للمعاناة الفلسطينية، كما فعلت في تغطيات وملفات سابقة([282]).

وكانت ليفني التقت الأمير حمد بن جاسم على مائدة العشاء، وفي اليوم التالي زارت مقر الجزيرة وتحدثت إلى المسؤولين فيها، خصوصا بعد توتر العلاقات بين الجزيرة والحكومة الإسرائيلية على خلفية تغطيتها لاعتداءات إسرائيل في غزة، إلا أن الجزيرة لم تذكر الخبرين ولم تورد صورا للقاءين، وبالتالي غياب عملية الإخبار تعكس غياب الحدث، بمعنى أن لا حدث بدون إخبار، على عكس حالات أخرى يكون فيها الإخبار من لا حدث([283]).

---

[281] - أنظر تغطية الجزيرة الناطقة بالعربية والناطقة بالانجليزية لزيارة ليفني لقطر بتاريخ: 14-4-2008.

[282] - أنظر نشرة أخبار الجزيرة حصاد اليوم بتاريخ: 14-4-2008.
حول إدانة حركة الجهاد الإسلامي لاستقبال ليفني في قطر، ينظر مجلة البيادر السياسي على موقعها الإلكتروني:
http://www.al-bayader.com/readnews.aspx?newsid=1268

[283] - يتأكد فعل الجزيرة مجددا في حجب أخبار معينة لصالح إبراز أحداث أخرى، وعملية الحجب إستراتيجية مهمة ضمن إستراتيجيات تحليل الخطاب، فقد حجبت الجزيرة لقاء ليفني بالأمير حمد و مسؤولي الجزيرة، مقابل إبراز خبر غزة، ومن الدقة القول أن الجزيرة استغلت خبر غزة وإبرازه لتغطية وحجب الخبر القطري.
أنظر الصور التي بثتها قناة العربية حول لقاء الأمير حمد بالوزيرة ليفني في نشرة أخبار آخر ساعة بتاريخ: 14-4-2008.

إن تجاهل الجزيرة تغطية الأخبار السابقة، يعني تقديم خدمة لقطر في تضليلها الجمهور العربي، فقد وصلت العلاقات القطرية الإسرائيلية إلى درجة رضا الأخيرة عن سياسية قطر، وجاء على لسان مندوب التلفزيون الإسرائيلي المرافق لـ ليفني، والذي أنهى تقريره من أمام فندق في الدوحة وباللغة العبرية قوله: هنا في الدوحة في قطر وصلت وزيرة خارجية إسرائيل في إطار زيارة علنية رسمية وحظيت باستقبال رسمي وسوف تلقي كلمة أمام الحضور في المؤتمر، وأضاف : آلا تدركون أن هذا انجاز كبير للدبلوماسية الإسرائيلية([284]).

وللمفارقة، وتأكيدا على جدلية السياسة القطرية، لا يغيب عن الباحث خبر اتصال القيادي في حركة حماس إسماعيل هنية واختياره لأمير قطر من بين الزعماء العرب، لتوصيته بعدم نسيان قضية حصار قطاع غزة في القمة العربية المنعقدة في دمشق 2008، وما كان من أمير قطر إلا القول بأن" القضية الفلسطينية هي قضية قطر الأولى، وأن قطر ستحمل إلى جانب أشقائها العرب ملف الحصار إلى القمة القادمة"([285])!

وعودة لزيارة ليفني للجزيرة، فقد جاءت بعد أقل من شهر على رسالة بعثها مجلي وهبي، نائب وزيرة الخارجية الإسرائيلية إلى الجزيرة، يدعوها فيها إلى التركيز على معاناة الإسرائيليين جراء سقوط الصواريخ الفلسطينية محلية الصنع على المستوطنات الإسرائيلية القريبة من قطاع غزة، وليس فقد عرض صور الضحايا الفلسطينيين، وثمّن مجلي في رسالته دور الجزيرة وأهميتها رغم القرار الإسرائيلي بمقاطعة المتحدثين الرسمين للقناة، ووفقا لما ذكرته صحيفة هأرتس الإسرائيلية، فإن ليفني وعدت" ببدء مباحثات رفيعة المستوى بين الجزيرة والخارجية الإسرائيلية خلال الأيام القادمة من اجل إزالة الحظر الجزئي المفروض علي القناة إسرائيليا، وذلك خلال لقائها مع مراسلين ومحررين بارزين بالقناة"([286]).

---

[284] - أنظر ترجمه وكالة معا لتقارير عرضتها وسائل الإعلام الإسرائيلية حول زيارة ليفني لقطر، على موقعها الإلكتروني بتاريخ: 13-4-2008. الساعة: 8:35 بالتوقيت المحلي. وعلى الرابط الإلكتروني: Maannews.net

[285] - أنظر تغطية وكالة معا للاتصال التلفوني بين هنية والأمير حمد بتاريخ: 17-3-2008
http://www.maannews.net/ar/index.php?opr=ShowDetails&ID=104370

[286] - أنظر خبر زيارة ليفني على موقع شبكة الأخبار العربية- محيط- بتاريخ: 20-4-2008
http://us.moheet.com/show_news.aspx?nid=113088&pg=2
أنظر أيضا: http://www.islammemo.cc/akhbar/arab/2008/04/08/62171.html

كما أشارت صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية في افتتاحية عددها الصادر بتاريخ 19 نيسان إلى أن المقاطعة الإسرائيلية للجزيرة في جوهرها شبه مقاطعة، والحقيقة أنه ليس هنالك أحد في إسرائيل منزعج من الجزيرة، وتساءل الصحفي الإسرائيلي" سمدار بيري" عن" منح قطر قيادات حماس بيتا حميما"، إلى جانب الثناء على قيادات إيران، فيما تستضيف الدوحة القاعدة الأمريكية الأكبر في المنطقة إلى جواز ممثليه دبلوماسية إسرائيلية." الجزيرة، مثل إمارة قطر تدار بلسان مزدوج..." ([287]).

المبحث الثاني: الجزيرة: حارس البوابة القطرية

تعكس الأمثلة السابقة متانة العلاقات القطرية الإسرائيلية، وتظهر التناقض في سياسة قطر ووساطتها في الملف الفلسطيني، على العكس مما قاله الأمير حمد من أن قضية فلسطين هي قضية قطر الأولى، فقد استضافت الدوحة وزيرة الخارجية الإسرائيلية في ذروة العدوان على غزه، ورغم أن الأمير حمد وعد هنية بحمل قضية حصار غزة إلى القمة العربية، إلا أن الجزيرة وغيرها من وسائل الإعلام لم تذكر، أن حمد تحدث لليفني حول حصار غزة، وكان دور الجزيرة واضحا في حجبها وتسطيحها لأخبار المؤتمر، وإثارتها وتكثيفها لموضوع حصار غزة، إضافة إلى عدم سعيها الربط بين الموضوعين، مما يؤكد مجددا أن فعل الجزيرة تأثيرها، لا يخرج عن مماسات دائرة خطاب السياسة الخارجية القطرية.

واستكمالا لجدلية أدوار الجزيرة وقطر، يلاحظ في الأولى تجاهلها تغطية الشأن الداخلي القطري، على عكس ما تفعل مع غالبية الدول العربية، خصوصا عدم تغطيتها لانتهاكات حقوق الإنسان، مثل موضوع سحب الجنسية من عائلة آل الغفران في أكتوبر 2004، حيث قامت السلطات القطرية بتسريح جنسية 5200 شخص من أفراد العائلة إلى جانب تسريحهم من وظائفهم و سجن بعضهم، إلا أن العائلة ترد السبب إلى اتهامات السلطات القطرية لبعض أفرادها العاملين في جهاز الشرطة، بالمشاركة في المحاولة الانقلابية لإعادة الأمير

[287] - بيري، سمدار. **الجزيرة- وجه مزدوج في المرآة**. صحيفة القدس نقلا عن صحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ 20-4-2008.
أنظر الرابط الإلكتروني: http://www.alquds.com/node/14091

جاسم بن خليفة إلى الحكم بعد أقل من عام على انقلاب الأمير حمد، فيما تبرر الدوحة القرار بحجة ازدواجية الجنسية القطرية السعودية ([288]).

وأشارت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان في تقرير لها، إلى أن قرار سحب الجنسية من عائلة آل المري، يتنافى مع القانون والعدالة، على اعتبار أن السبب الحقيقي ليس ازدواجية الجنسية، نظرا لأن العديد من القبائل والعائلات القطرية تحمل أكثر من جنسية سواء سعودية أم كويتية أم بحرينية، ومؤكدة على أن القرار سياسي بالأساس، ومرتبط باتهامات السلطات القطرية لبعض أفراد العائلة في الاشتراك في المحاولة الانقلابية([289]).

وفي سؤال وجهه الباحث لمدير مكتب الجزيرة في عمان ياسر أبو هلاله حول أسباب تجاهل الجزيرة تغطية موضوع سحب الجنسية من آل الغفران، أشار إلى أنها تعاملت مع الموضوع بنوع من الارتباك على عكس تغطية قناة العربية، التي حاولت تمثيل الرأي السعودي الرسمي، لكن السؤال يكتسب أهمية جديدة من إجابة أبو هلاله حول ارتباك الجزيرة في تغطية خبر يخص أكثر من 5000 شخص، فيما تهتم الجزيرة بخبر اعتقال 5 أو 10 أشخاص من الإخوان المسلمين في مصر مثلا، وغالبا ما تخصص برنامج ما وراء الخبر وغيره للحديث عن انتهاكات حقوق الإنسان، لكن في السياق القطري تغيب انتهاكات حقوق الإنسان التي لا تختلف عن أي قطر عربي، حسب تقارير الأمم المتحدة .

يشير موقع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى وضع حقوق الإنسان في الدول العربية، وفي الزاوية المخصصة لقطر، حديث عن انتهاكات حقوق الإنسان في أكثر من صعيد، أهمها: قانون مكافحة الإرهاب الذي أقر في 2002، والذي يتيح للجهات الأمنية سلطات واسعة في القبض والتحفظ دون التقيد بقانون الإجراءات القضائية القطري، وقد وسع قانون العقوبات ليشمل عقوبة الإعدام، مما يشكل في مجمله مخالفة

---

[288] - ينظر موقع حقوق الإنسان في قطر على شبكة الانترنت، والذي يتضمن ما يزيد عن 70 تقريرا وخبرا مصورا حول موضوع سحب الجنسية من آل الغفران. http://www.alghfran.us/INT-press.php (استرجعت بتاريخ: 10-2-2008).

[289] - أنظر موقع الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان على موقعها الإلكتروني:
http://www.hrinfo.net/press/05/pr0413.shtml

لحقوق الإنسان. كما نوه التقرير إلى نقص الضمانات القانونية لحماية العمال الأجانب([290])، فيما لم تعط الجزيرة من جانبها اهتماما لمثل هذه القضايا، خصوصا ما سبق الإشارة له من تسريح العمال المصريين من الدوحة بعد تصاعد الأزمة السياسية بين البلدين.

وأوضح التقرير أيضا معوقات حرية الصحافة في قطر، من خلال استمرار العمل بقانون المطبوعات والنشر لعام 1979، باعتباره من القوانين المقيدة للحريات العامة، ورغم الادعاء بإزالة الرقابة المباشرة عن وسائل الإعلام، إلا أن مجرد نقد الجزيرة باعتبارها جهازا يتبع الدولة أدى إلى إقالة مستشار المجلس الأعلى للثقافة احمد عبد الملك من منصبه، كما سبق إيضاح ذلك في الفصل الثاني.

تقسيم الأدوار، خلق عالم

أن فهم السياسة القطرية بعد انقلاب الأمير حمد على والده، مرتبط بفهم النظام الجديد لمفهوم التحديث، وكان من جملة المشاريع التحديثية التي ابتدأها الأمير تمتين علاقاته بالولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، بهدف تأمين الحماية لنظامه، وفي الوقت ذاته، أطلق قناة الجزيرة لتصفية حساباته مع دول الجوار على وجه خاص، والدول العربية على وجه عام؛ لوقوفها إلى جانب السعودية والبحرين في نزاعهما مع الدوحة، سيما أن غالبية الدول العربية رفضت انقلاب الأمير الابن على والده([291]) .

كما انه من غير الممكن دراسة بنية النظام القطري وسياسته الخارجية دون إدراك التكامل بين المشاريع الاقتصادية والسياسية القطرية، ومشروع الجزيرة، فتشجيع الاستثمار السياسي والاقتصادي بحاجة إلى منبر إعلامي لا ينفصل بأي شكل من الأشكال عن البنية الكبرى المؤسسة لأسطرة الجزيرة الدولة، دون إغفال كون الجزيرة القناة علة الأسطرة الأولى" المعلول"، وهنا التأكيد مجددا على التخطيط القطري للجزيرة بشكلها الحالي، وليس فهمها ضمن صيرورة تحولات بمفهوم القطائع، على اعتبار غياب القصدية الأولى– وإن شئت الدلالة الأولى.

---

[290] - أنظر الجزء الخاص بحقوق الإنسان في قطر ، ضمن تقرير الأمم المتحدة على الرابط الإلكتروني:
http://www.arabhumanrights.org/countries/humanrights.asp?cid=15 (استرجعت بتاريخ: 5-3-2008)

[291] - ينظر الفصل الثاني من الدراسة، وتحديدا مبحثه الأول، الذي يختص بموضوع التحديث القطري وارتباطه بالجزيرة.

يؤكد المذيع في الجزيرة محمد كريشيان، على ما سبق قائلا:" أن انطلاق الجزيرة كمشروع قطري جاء نتيجة خيبة قطر ومرارتها من تفاقم المشكلة الحدودية بينها وبين السعودية"، فقد كان للأخيرة منابر تبين رأيها وتتبناه في الموقف الخلافي مثل: فضائية MBC وجريدي الحياة والشرق الأوسط([292]).

ويتطابق كلام كريشيان أيضا على تغطية الجزيرة للملف الفلسطيني، وتحديدا في الشواهد التي عرضها الفصل الثالث، بحيث تتضح بواطن الالتقاء بين وساطة الأمير حمد وبين تغطية الجزيرة، وفي ربط الموضوع بأزمة قيادة حماس في الأردن، ودخول قطر على خط الوساطة، كما جاء في المبحث الأول من الفصل الرابع، يتأكد فعل الجزيرة وحصادها الكبير لصالح قطر، فقد عززت في تغطيتها المكثفة للأزمة مكانة قطر في وساطتها، كما حولت التأييد الشعبي للمتعاطفين مع الإخوان المسلمين وحماس إلى قطر باعتبارها المخلص.

ولم تحاول الجزيرة البحث في دوافع الوساطة القطرية وأهدافها في حينه، واكتفت بتلميحات محمد كريشيان في حلقة برنامج أكثر من رأي بتاريخ 26 تشرين الثاني 1999، قوله إن تفاصيل الوساطة القطرية غير معروفه، مما يعني أن هنالك قصدية لعدم استضافة متحدث قطري لاستيضاح دوافع الوساطة وأهدافها، تماما كما تجاهلت الوساطة الليبية ورفض حماس مقترح الرئيس القذافي لإرسال طائرة إلى عمان لنقل غوشه إلى قطر مجددا وحل الأزمة، وذات الأمر ينطبق على تجاهل الجزيرة اعتقال السلطات القطرية الصحفي الأردني فراس المجالي واتهامه بالتجسس، ومن ثم إطلاق سراحه بعد زيارة الملك عبد الله الثاني إلى الدوحة، بحيث اقتضت الصفقة إعادة فتح مكتب الجزيرة في عمان، مقابل إطلاق سراح الصحفي المجالي.

---

[292] - انظر مداخلة محمد كريشيان ضمن ندوة بعنوان: الفضائيات العربية وقضايا الأمة. من كتاب عبد الرحمن عزي وآخرون. (2004). **العرب والإعلام الفضائي**. ط1.. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 8+169.

تأكد وساطات قطر سواء المباشرة أم غير المباشرة– عبر الجزيرة، ما ذهبت له الاستخلاصات السابقة من حديث عن تكامل الدبلوماسيتين بما يخدم الدبلوماسية الجمعية؛ ففي حين تُحّمل الطائرات الأمريكية بالقنابل الذكية متوجهة إلى إسرائيل لاستخدامها في حرب لبنان، تحجب الجزيرة الخبر وتستبدله بتكثيف عرض صور الضحايا اللبنانيين، تماما كما تجاهلت الجزيرة خبر وصول الأمير حمد إلى اجتماع وزراء الخارجية العرب في بيروت قادما من إسرائيل، بعد السماح لطائرة بالهبوط في مطار بيروت، فيما ركزت على عرض صور من زيارته للضاحية الجنوبية وتصويره كبطل عربي يدعم المقاومة.

لا تناقض في ثنائية الخطاب القطري، بل إن ذكاء النظام يدفعه إلى توزيع انساق فرعية من خطابه إلى كل جماعة أو فاعل دولي، ترى الدوحة بأنه يحقق لها مصلحة ما، وبالتالي فإن ثنائية اللغة وثنائية الخطاب تعزز من تأثير وفعالية البنية الأكبر لقطر في جميع أنساقها الفرعية، وفي مختلف السياقات، بحيث تبقى الجزيرة العماد الرئيسي للخطاب الجمعي عبر تقنياتها في العرض، **فالجزيرة هي حارس البوابة القطرية**.

ومجددا يتأكد تفكيك جدلية ثنائية خطاب الجزيرة وقطر، كون أسباب صعود التأثير القطري في منطقة الشرق الأوسط، عائد إلى عاملين: أولا: سمعة وسيط قطر كبيئة استثمارية، وقدرتها الكبيرة على جذب الاستثمارات الخارجية بشكل أكبر من إيران والسعودية وروسيا، ثانيا: إطلاق الجزيرة وتأثيرها، كونها بطاقة اعتماد الأمير الاستثمارية، ومن خلالها وضع دولته على الخارطة([293]).

الترجمة الفعلية للكلام السابق هي إن الجزيرة وعبر ترويجها لشركة الغاز القطرية، وشركة الخطوط الجوية، وشركة..الخ، روجت فعلا لقطر وشجعت المستثمرين للقدوم إليها، فالجزيرة تركز على مناطق الصراع في العالم العربي، وفي غمرة تغطيتها لأي حادث بسيط في دولة يمكن اعتبارها مستقرة مثل الجزائر أم المغرب

[293] - Eliades, Nicolas**. the rise of Al Jazeera**. University of peace & conflict. Electronic version. PDF file. p.4 (retrieved March 15,2008) from: www.monitor.upeace.org/pdf/Jazeera.pdf:

أم الأردن، تجد القناة تذهب في فاصل إعلاني تروج فيه لقطر، وكأن رسالتها تقول: قطر جزيرة الاستقرار والهدوء، فهي تجلب الأمريكان والإسرائيليين على أرضها وشاشتها، كما تجلب" أعدائهم" من الإسلاميين والمعارضين للأنظمة العربية على أرضها وشاشتها، هي إذن رسالة الجزيرة: قطر الصدر الواسع لكل المتعارضات في السياسة العالمية، " قطر: مركز العالم".

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية

أ. شيلر، هربرت.(1999). **المتلاعبون بالعقول**. ترجمة: عبد السلام رضوان. الكويت المجلس: الوطني للثقافة والفنون والآداب.

أبل، كارل.(2005). **التفكير مع هابرماس ضد هابرماس**. ترجمة: عمر مهيبل.ط1. الجزائر دار الاختلاف.

ألول، جاك.(2004). **خدعة التكنولوجيا**. ترجمة: د.فاطمة نصر. القاهرة: مكتبة الأسرة.

أوكان، عمر.(2001). **اللغة والخطاب**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

إسماعيل، جمال. (2001). **بن لادن والجزيرة و..أنا**. بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

بارت، رولان. (1987). **مبادئ في علم الأدلة**. ترجمة: محمد البكري. اللاذقية: دار الحوار.

بنعبد العالي، عبد السلام.(2000). **الفكر في عصر التقنية**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

براون، ج.ب. و ج. يول.(1997). **تحليل الخطاب**. ترجمة وتقديم: محمد الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود.

بودريار، جان.(2006). **الفكر الجذري: أطروحة موت الواقع**. ترجمة: منير الحجوجي وأحمد القصوار ط1. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

بورديو، بيير(2004). **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. ترجمة: درويش الحلوجي، ط1. دمشق: دار كنعان

----------.(2001). **السيطرة الذكورية**. ترجمة: أحمد حسان.ط1. القاهرة: دار العالم الثالث.

تشومسكي، ناعوم.(2003). **السيطرة على وسائل الإعلام**. ترجمة: أميمه عبد اللطيف. ط1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

التلفزيون خطر على الديمقراطية.(2005). مقالات مختارة. ترجمة ودراسة: مجدي عبد الحافظ. القاهرة: المشروع القومي للترجمة.

الدواي، عبد الرزاق.(1992) . **موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر**،ط1 بيروت: دار الطليعة.

دوبريه، ريجيس. (2002) . **حياة الصورة وموتها**، ترجمة: فريد الزاهي. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

---------- **محاضرات في علم الإعلام العام: الميديولوجيا**. ترجمة: د.فؤاد شاهين،و د.جورجيت حداد. بيروت: دار الطليعة.

الريس، رياض نجيب.(1998). رياح **السَموم: السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج** 1991-1994. ط 4. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

ريفوسر، أوبيرد و بول رابينوف. **ميشيل فوكو مسيرة فلسفية**، ترجمة جورج أبي صالح. بيروت: مركز الإنماء القومي. لا يوجد سنة نشر.

ريكور، بول. (2003). **نظري التأويل: الخطاب وفائض المعنى**. ترجمة: سعيد الغانمي. ط1 . بيروت: المركز الثقافي العربي.

الزيدي، مفيد. (2003). قناة الجزيرة: كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي. ط1. بيروت: دار الطليعة.

ستروك، جون.(1996). **البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى دريدا**. ترجمة : د. محمد عصفور. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

سعيد، إدوارد.(1983). **تغطية الإسلام**. ترجمة: سميرة خوري. ط1. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

الشمري، طارق. (2007). **الجزيرة قناة.. أم حزب.. أم دولة**. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

شومان، محمد.(2007) . **تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

عبد الحميد، شاكر.(2005). **عصر الصورة**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

عبد الكريم سيف، أحمد و محمد سالم المزروعي .(2004). **التطورات السياسية الداخلية في** دول مجلس التعاون الخليجي. من كتاب:" الخليج في عام 2003".

العفيفي، فتحي.(2003)" **الديمقراطية والليبرالية في الممارسة السياسية لدولة قطر**". المستقبل العربي. مج 26. ع 292. ص 45-68.

الغذامي، عبد الله.(2004). **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

عزي، عبد الرحمن.(2003). **دراسة في نظرية الاتصال**. ط ا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

فوكو، ميشيل.(1984). **نظام الخطاب**. ترجمة د. محمد سبيلا، ط1.بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.

----------.(1987). **حفريات المعرفة**. ترجمة: سالم يافوت .ط 2بيروت: المركز الثقافي العربي.

فيشر، جلين. **دور الثقافة والإدراك في تشكيل العلاقات الدولية**، ترجمة: أسعد حليم. القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

كريب، إيان.(1999). **النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**. ترجمة: د. محمد سعيد غلوم، مراجعة د. محمد عصفور الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

كوش، دنيس.(2007). **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**. ترجمة: منير السعيداني. ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

ماريايي، إرميتي.(2003) **يوسف القرضاوي: سلطة إعلامية واقتصادية ورمزية**. من كتاب: الفضاء العربي. ترجمة ، فريدريك معتوق. ط1. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع.

محمد كرم، جاسم.(2002) " **النزاع الحدودي بين دولتي قطر والبحرين**". العلوم الإنسانية. مج 30. ع 2. ص. 231 -257 .

منصور، أشرف.(2003). **صنمية الصورة: نظرية بودريار في الواقع الفائق**. مجلة فصول ع. 62 . ملف العدد: ثقافة الصورة.

ميرلوبونتي، موريس.(1989). **العين والعقل**. ترجمة وتقديم: د. حبيب الشاروني. الإسكندرية: منشأة المعارف.

يافوت، سالم. (1997). **"هابرماس ومسألة التقنية"**، فكر ونقد. ع 1. ص 38-56.

وين، ماري. (1999). **الأطفال والإدمان التلفزيوني**. ترجمة: عبد الفتاح الصبحي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

المصادر باللغة الانجليزية

BOURDIO, PIEER. (1998) .**ON TELEVION**: LONDON: PLUTO. PRESS.Cotter,.Colleen.(2005). **Discourse and Media.** From The handbook Of **Discourse analysis**. rd1 .Edited by: Deborah schiffrin , Deborah Tannen & Heidi E. Hamitton.UK: Blackwell Publishing.

el-Nawawy, Mohammed and Adel Iskander. (2006). **Al-Jazeera: How the Free Arab News Network Scooped the World and Changed the Middle East**. Cambridge: Westview.

Elmasry, Mohamed. "**Don't censor Al-Jazeera"**. Media Monitors Network. July 22, 2004.

FISKE, JOHN. (1982)**. Introduction to mass communication studies.** LONDON: Met Buena and Co.ltd.

FISKE, JOHN and JOHN HARTLEY.(1982). **Reading TELEVISION.** New York: Methuen& Co.ltd.

Gabriel, Judith.(2001). "**Aljazeera Remains in the Hot Seat"**. Al Jadid, Vol. 7, no. 37 .

Halliday, Freed. **"Aljazeera: The matchbox that roaded"**. Open Democracy. 23 - 03 – 2007.

Lynch, Marc.(2006).**voice of the new Arab public: IRAQ, ALJAZEERA and middle east policy today** .New York :Columbia university press.

MOHAMMAD ZAYANI and others.(2005). **Aljazeera Phenomenon: critical perspective**. London: Pluto.

MCLUHAN, MARSHALL.(2001) .**THE Medium Is The Message**. Ed3.Gorle Madera: Gingko PRESS.

Mcluhan, Marshall.(1964). **Understanding Media**. New York: McGraw-hill.

Mohammed, el-Nawawy. Adel Iskander.(2003). **ALjazeera: How the free Arab news Network Scooped the World and Changed The Middle East**. Cambridge: Perseus Book Group

Rushing, Josh. (2007). **MISSION AL-JAZEERA: Build a Bridge, Seek the Truth, and Change the World.** New York: Palgrave Macmillan.

Suskind, Ron.(2006). **The One Percent Dectorine.** New York: Thorndike. Press

Ustad Figenchou, Tine: C**ourting, Criticism, Censorship and Bombs: The Push Administration Troubled Relations With Al- Jazeera Channel From September 11 to the war in Iraq.** Nordicom Review.27(2006) 1, PP.81-96

المصادر الإلكترونية

www.aljazeera.net

sociology.berkeley.edu

www.annaqed.com

www.arabia.pl/english

www.questia.com

www.foreignpolicy.com

www.globalsecurity.org

www.news.bbc.co

www.sarayaalquds.org

www.ikhwanonline.com

www.aim.org

www.fastcompany.com

www.ikhwanonline.com

www.watan.com

www.cceia.org

www.alquds.com

www.al-ayyam.ps

www.paltoday.com

www.elaph.com

www.assabeel.info

www.gia.gov.ae

www.alarab.com

syriantime.com
www.qatar-conferences.com
www.maannews.net
www.us.moheet.com
www.monitor.upeace.org

صحف

صحيفة الراية القطرية. 5-2-2007.
صحيفة الشرق الأوسط 4 أكتوبر. 2004.
صحيفة الراية القطرية. 8-1-2008.
صحيفة الجاردينز البريطانية 27 -3 -2002.
جريدة الرياض. 27 -2- 2005.
صحيفة النيويورك تايمز. 6 -2- 2008
صحيفة الشرق الأوسط. 17 يونيو 2001
صحيفة الأخبار. 6-11-2006
صحيفة العرب القطرية 28-2-2008.

مقابلات أجراها الباحث

مقابلة مدير مكتب الجزيرة في الأردن ياسر أبو هلاله. عمان.5-2-2008
مقابلة مراسل قناة MBC سابقا، ومدير مكتب العربية سعد السيلاوي. عمان 2-2-2008.
مقابلة مع د. عادل اسكندر أستاذ الإعلام في جامعة جورج تاون. جامعة بيرزيت 20-2-2008
مقابله مع وزير الإعلام الأردني السابق صالح القلاب . عمان 2-2-2008.
مقابله مع المحلل السياسي ياسر الزعاترة. عمان . 5-2-2008.

قنوات فضائية

قناة الجزيرة الناطقة بالعربية.
قناة الجزيرة الناطقة بالانجليزية.
قناة NBN الفضائية اللبنانية.
قناة العربية.
قناة ابوظبي الفضائية.